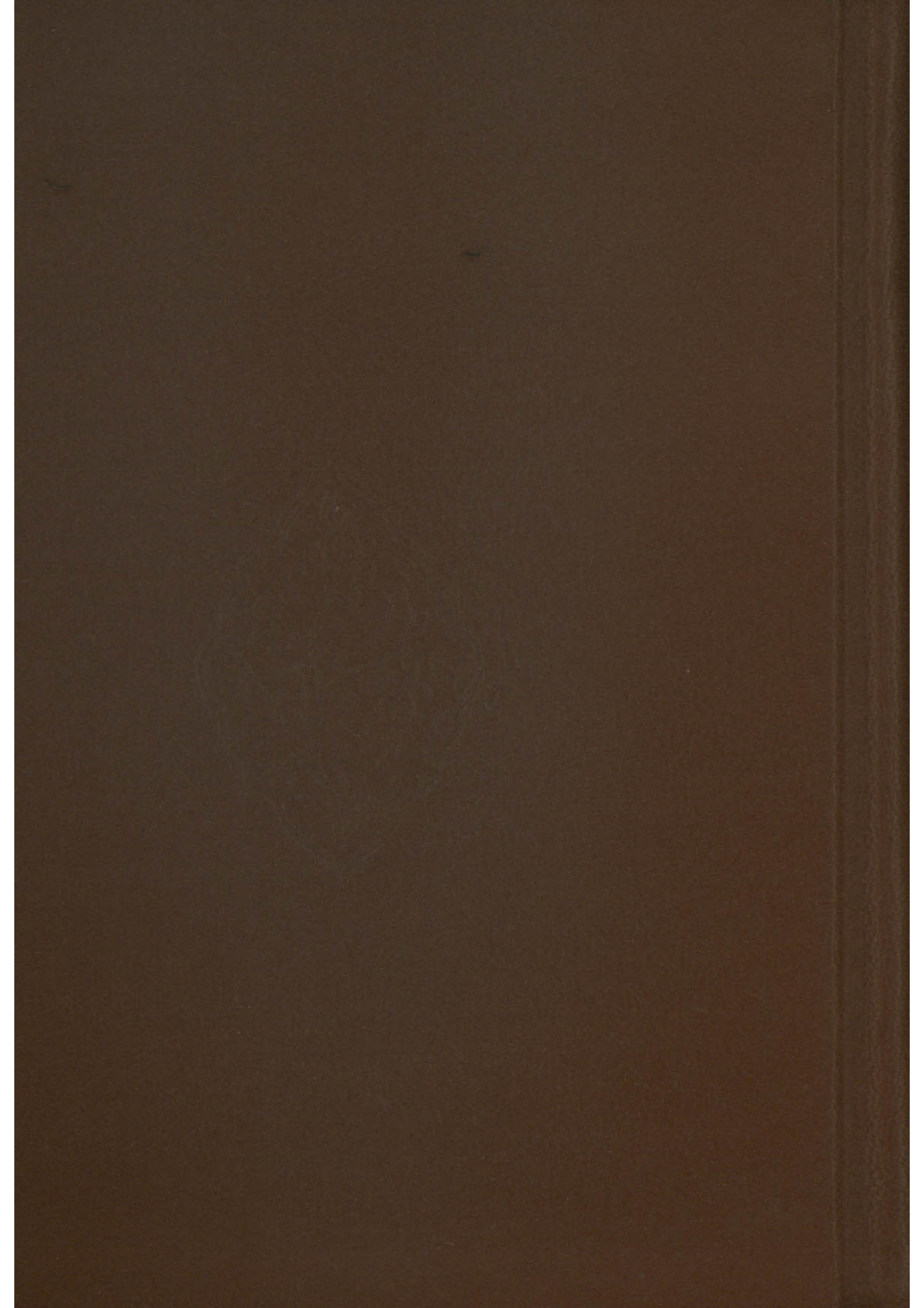
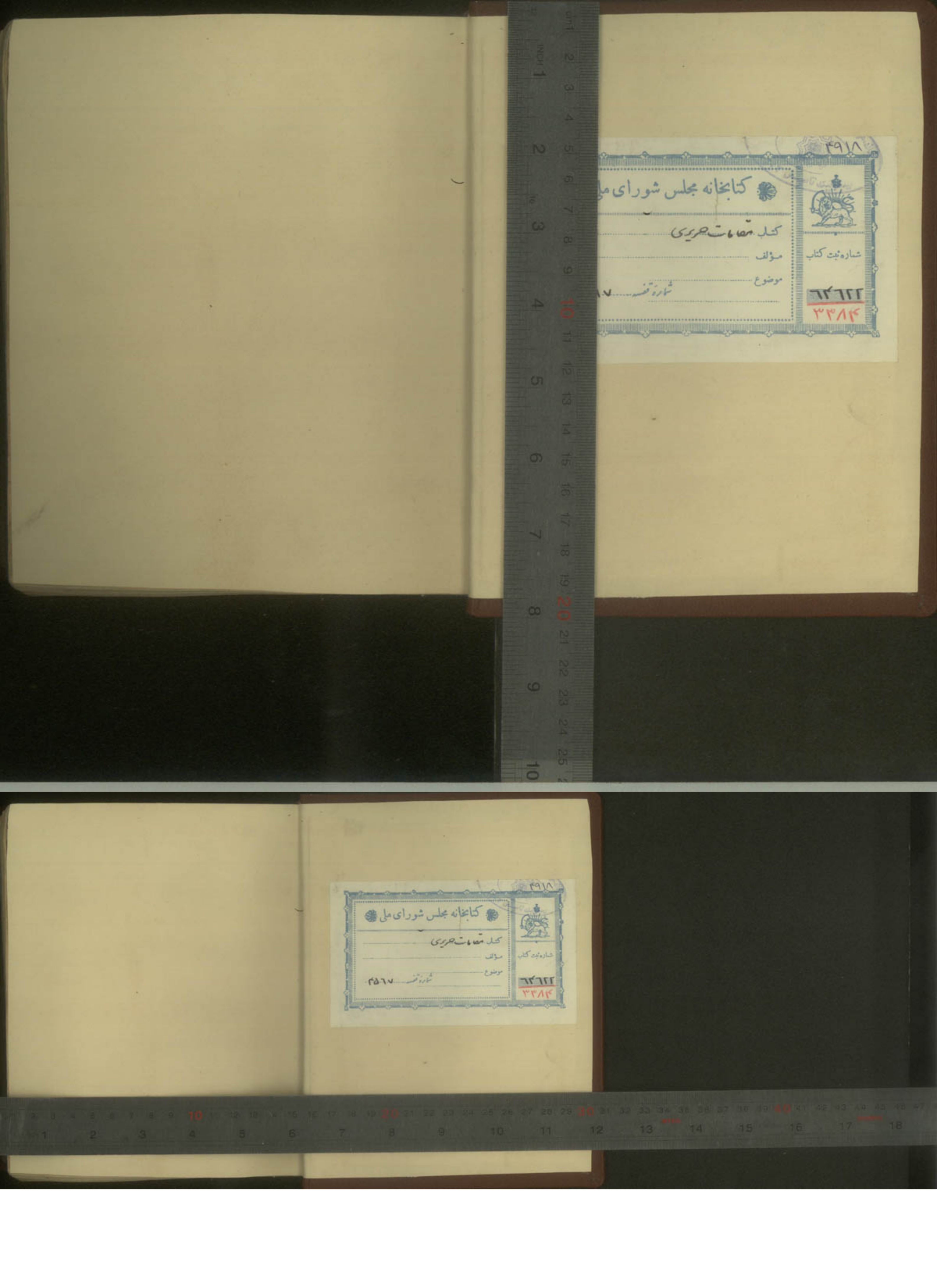
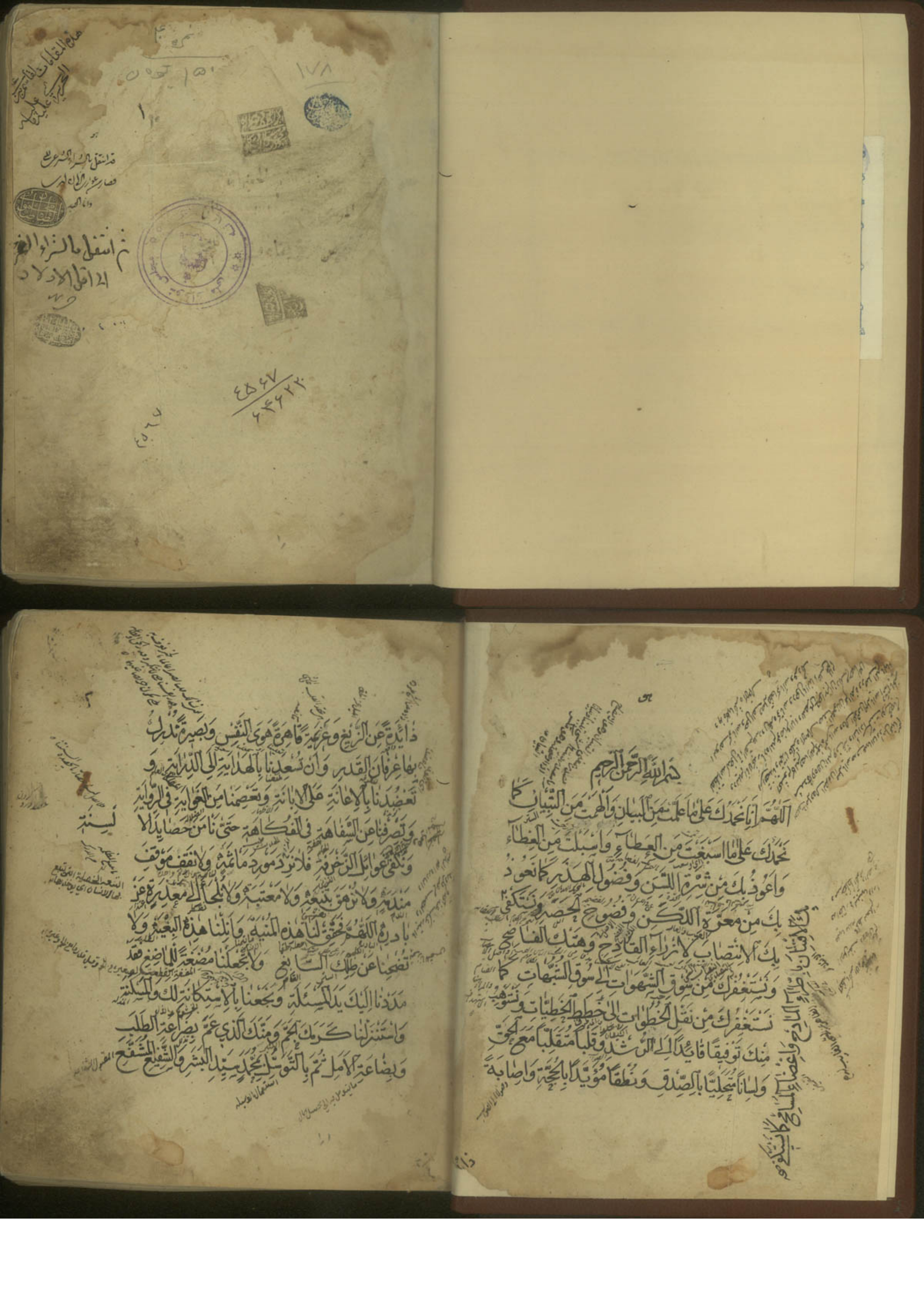




۴۹۱۸
کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب مقامات حریری
مؤلف
موضوع
شمارهٔ ثبت کتاب
۶۴۶۲۲
۳۳۸۴
شمارهٔ قفسه ۴۵۶۷



بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان والهمت من التبيان كما
نحمدك على ما اسبغت من العطاء واسبلت من الغطاء
واعوذ بك من شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ
بك من معرة اللكن وفضوح الحصر ونستكفي
بك الانتصاب لازراء القادح وهتك الفاضح
ونستغفرك من سوق الشهوات الى سوق الشبهات كما
نستغفرك من نقل الخطوات الى خطط الخطيات ونستوهب
منك توفيقا قايدا الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق
ولسانا متحليا بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة واصابة

الافتتان باطراء المادح واغضاء المسامح كما نستكفي

ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك
بها عرفان القدر وان تسعدنا بالهداية الى الدراية و
تعضدنا بالاعانة على الابانة وتعصمنا من الغواية في الرواية
وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة حتى نامن حصايد الا
ونكفى غوائل الزخرفة فلا نرد مورد مأثمة ولا نقف موقف
مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة ولا نلجأ الى معذرة عن
بادرة اللهم فحقق لنا هذه المنية وانلنا هذه البغية ولا
تضحنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد
مددنا اليك يد المسئلة وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة
واستنزلنا كرمك الجم ومنك الذي عم بضراعة الطلب
وبضاعة الامل ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع

نبي المختار الذي ختمت به النبيين، وأعليت درجته في عليين، و
وصفته في كتابك المبين، فقلت وأنت أصدق القائلين
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، إنه لقول رسول كريم ذي
قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين. اللهم فصل عليه وعلى
آله الهادين، وأصحابه الذين شادوا الدين، واجعلنا
لهديه وهديهم متبعين، وانفعنا بمحبته ومحبتهم أجمعين، إنك
على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير. وبعد
فإنه جرى ببعض أندية الأدب الذي ركدت في هذا
العصر ريحه، وخبت مصابيحه، ذكر المقامات التي ابتدعها
بديع الزمان، وعلامة همذان رحمه الله، وعزا إلى أبي الفتح
الإسكندري نشأتها، وإلى عيسى بن هشام روايتها، وكلاهما مجهول

لا يعرف، ونكرة لا تتعرف. فأشار من إشارته حكم، وطاعته
غنم، إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع، وإن لم يدرك الظالع
شأو الضليع. فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين، أو نظم بيتا
أو بيتين، واستقلت من هذا المقام الذي فيه يحار الفهم،
ويفرط الوهم، ويسبر غور العقل، ويتبين فيه قيمة المرء في الفضل،
ويضطر صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل، أو جالب رجل وخيل،
وقلما سلم مكثار، أو أقيل له عثار. فلما لم يسعف بالإقالة،
ولا أعفى من المقالة، لبيت دعوته تلبية المطيع، وبذلت في
مطاوعته جهد المستطيع، وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة،
وفطنة خامدة، وروية ناضبة، وهموم ناصبة، خمسين مقامة تحتوي
على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودرره،

وملح الأدب ونوادره، إلى ما وشحتها به من الآيات، ومحاسن
الكنايات، ورصعته فيها من الأمثال العربية، واللطائف الأدبية،
والأحاجي النحوية، والفتاوى اللغوية، والرسائل المبتكرة، والخطب
المحبرة، والمواعظ المبكية، والأضاحيك الملهية، مما أمليت جميعه
على لسان أبي زيد السروجي، وأسندت روايته إلى الحارث بن همام
البصري. وما قصدت بالإحماض فيه إلا تنشيط قارئيه، وتكثير سواد
طالبيه، ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذين
أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية، وآخرين توأمين ضمنتهما
خواتم المقامة الكرجية، وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره، و
مقتضب حلوه ومره. هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله
سباق غايات، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء

مقامة

مقامة، ولو أوتي بلاغة قدامة، لا يغترف إلا من فضالته، ولا يسري
ذلك المسرى إلا بدلالته. ولله در القائل
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم
وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته، والمورد الذي
توردته، كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه
بكفه، فألحق بالأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. على أني وإن أغمض لي الفطن
المتغابي، ونضح عني المحب المحابي، لا أكاد أخلص من غمر جاهل،
أو ذي غمر متجاهل، يضع مني لهذا الوضع، ويندد بأنه من مناهي
الشرع. ومن نقد الأشياء بعين المعقول، وأنعم النظر في

مباني الأصول، نظم هذه المقامات في سلك الإفادات، وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات، ولم يُسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات، أو أثّم رواتها في وقت من الأوقات، ثم إذا كانت الأعمال بالنيّات، وبها انعقاد العقود الدينيّات، فأيّ حرج على من أنشأ مُلَحاً للتنبيه لا للتمويه، ونحا بها منحى التهذيب لا الأكاذيب، وهل هو في ذلك إلا بمنزلة من انتدب لتعليم، أو هدى إلى صراط مستقيم. قال:

على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى ... وأخلص منه لا عليّ ولا ليا

وما زلت حتى قيل لله درّه ... غدا بعد ذاك الوجد والحزن ساليا

وبالله أعتضد فيما أعتمد، وأعتصم فيما يَصِم، وأسترشد إلى ما يُرشد، فما المفزع إلا إليه، ولا الاستعانة إلا به، ولا التوفيق إلا منه، ولا الموئل إلا هو، عليه توكلت وإليه أنيب.

المقامة الأولى الصنعانية

حدّث الحارث بن همّام قال: لمّا اقتعدت غارب الاغتراب، وأنأتني المتربة عن الأتراب، طوّحت بي طوائح الزمن، إلى صنعاء اليمن، فدخلتها خاوي الوفاض، بادي الإنفاض، لا أملك بُلغة، ولا أجد في جرابي مضغة، فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم، وأجول في حوماتها جولان الحائم، وأرود في مسارح لمحاتي، ومسايح غدواتي وروحاتي، كريماً أُخلِق له ديباجتي، وأبوح له بحاجتي، أو أديباً تفرّج رؤيته غمّتي، وتروّي روايته غُلّتي، حتى أدّتني خاتمة المطاف، وهدتني فاتحة الألطاف، إلى نادٍ رحيب، محتوٍ على زحام ونحيب، فولجت غابة الجمع، لأسبر مَجلبة الدمع، فرأيت في بُهرة الحلقة، شخصاً شخت الخلقة، عليه أهبة السياحة، وله رنّة النياحة،

وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه، وقد أحاطت به أخلاط الزمر، إحاطة الهالة بالقمر، والأكمام بالثمر، فدلفت إليه لأقتبس من فوائده، وألتقط بعض فرائده، فسمعته يقول حين خبّ في مجاله، وهدرت شقاشق ارتجاله: أيها السادر في غلوائه، السادل ثوب خيلائه، الجامح في جهالاته، الجانح إلى خزعبلاته، إلامَ تستمرّ على غيّك، وتستمرئ مرعى بغيك، وحتّامَ تتناهى في زهوك، ولا تنتهي عن لهوك، تبارز بمعصيتك، مالك ناصيتك، وتجترئ بقبح سيرتك، على عالم سريرتك، وتتوارى عن قريبك، وأنت بمرأى رقيبك، وتستخفي من مملوكك، وما تخفى خافية على مليكك، أتظن أن ستنفعك حالك، إذا آن ارتحالك، أو ينقذك مالك، حين توبقك أعمالك، أو يغني عنك ندمك،

إذا زلّت بك قدمك، أو يعطف [عليك] معشرك، يوم يضمّك محشرك، هلّا انتهجت محجّة اهتدائك، وعجّلت معالجة دائك، وفللت شباة اعتدائك، وقدعت نفسك فهي أكبر أعدائك، أما الحِمام ميعادك، فما إعدادك، وبالمشيب إنذارك، فما إعذارك، وفي اللحد مقيلك، فما قيلك، وإلى الله مصيرك، فمن نصيرك، طالما أيقظك الدهر فتناعست، وجذبك الوعظ فتقاعست، وتجلّت لك العبر فتعاميت، وحصحص لك الحق فتماريت، وأذكرك الموت فتناسيت، وأمكنك أن تؤاسي فما آسيت، تؤثر فلساً توعيه، على ذكر تعيه، وتختار قصراً تُعليه، على برّ توليه، وترغب عن هادٍ تستهديه، إلى زاد تستهديه، وتغلّب حبّ ثوب

تشتهيه على قوات تستريه يواقيت الصلات اعلق بقلبك من
مواقيت الصلوة ومغالات الصدقات آثر عندك من موالات
الصدقات وصحاف الالوان اشهى اليك من صحائف الاديان
ودعابة الاقران آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالعرف
وتنتهك حماه وتحمي عن النكر ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم
ثم تغشاه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ثم انشد

تبا لطالب دنيا / ثنى اليها انصبابه
ما يستفيق غراما / بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه / مما يروم صبابه

ثم انه لبد عجاجته وغيض مجاجته واعتضد شكوته وتأبط هراوته
فلما رنت الجماعة الى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة مركزه ادخل
كل منهم يدا في جيبه وافعم له سجلا من سيبه وقال اصرف

هذا في نفقتك او فرقه على رفقتك فقبله منهم مغضيا وانثنى عنهم
مثنيا وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليهم مهيعه ويسرب
من يتبعه لكي يجهل مربعه قال الحارث بن همام فاتبعته
مواريا عنه عياني وقفوت اثره من حيث لا يراني حتى انتهى الى
مغارة فانساب فيها على غرارة فامهلته ريثما خلع نعليه وغسل
رجليه ثم هجمت عليه فوجدته مثافنا بالتلميذ على خبز سميد
وجدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا ايكون
ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز
من الغيظ ولم يزل يحملق الي حتى خفت ان يسطو علي فلما
ان خبت ناره وتوارى اواره انشد

لبست الخميصة ابغي الخبيصة / وانشبت شصي في كل شيصة
وصيرت وعظي احبولة / اريغ القنيصة والقنيصة
والجاني الدهر حتى ولجت / بلطف احتيالي على الليث عيصه
على اني لم اهب صرفه / ولا نبضت لي منه فريصة
ولا شرعت بي على مورد / يدنس عرضي نفس حريصة
ولو انصف الدهر في حكمه / لما ملك الحكم اهل النقيصة

ثم قال لي ادن فكل وان شئت فقم وقل فالتفت الى تلميذه
وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الاذى لتخبرني من ذا
فقال هذا ابو زيد السروجي سراج الغرباء وتاج الادباء
فانصرفت من حيث اتيت وقضيت العجب مما رأيت

الثانية

حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم ونيطت بي

العمائم بان اغشى معاني الادب وانضي اليه ركاب الطلب لاعلق منه بما
يكون لي زينة بين الانام ومزنة عند الاوام وكنت لفرط اللهج
باقتباسه والطمع في تقمص لباسه اباحث كل من جل وقل واستسقي
الوبل والطل واتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان وقد بلوت
الاخوان وسبرت الاوزان وخبرت ما شان وزان الفيت بها
ابا زيد السروجي يتقلب في قوالب الانتساب ويخبط في اساليب الاكتساب
فيدعي تارة انه من آل ساسان ويعتزي مرة الى اقيال غسان و
يبرز طورا في شعار الشعراء ويلبس حينا كبر الكبراء بيد انه مع
تلون حالته وتبين مخالته يتحلى برواء ورواية ومداراة و
دراية وبلاغة رائعة وبديهة مطاوعة وآداب بارعة و
قدم للعلوم فارعة فكان لمحاسن آلاته يلبس على علاته ولسعة

رواية يصبي الى رؤيته وحلاوة عارضة يرغب في معارضته
ولعذوبة ايراده يسعف بمراده فتعلقت باهدابه لخصايص
آدابه ونافست في مصافاته لنفايس صفاته شعر

فكنت به اجلو همومي واجتلي ... زماني طلق الوجه ملتمع الضيا
ارى قربه قربى ومغناه غنية ... ورؤيته ريا ومحياه لي حيا

ولبثنا على ذلك برهة ينشي لي في كل يوم نزهة ويدرا عن قلبي شبهة
الى ان جدحت له الاملاق كاس الفراق واغراه عدم العراق
بتطليق العراق ولفظته معاوز الارفاق الى مفاوز الآفاق
ونظمه في سلك الرفاق خفوق راية الاخفاق فشحذ للرحلة غرار
عزمته وظعن يقتاد القلب بازمته

فما راقني من لاقني بعد بعده ... ولا شاقني من ساقني لوصاله

ولا لاح لي مذ ند ند بفضله ... ولا ذو خلال حاز مثل خلاله

واستسر عني حينا لا اعرف له عرينا ولا اجد عنه مبينا فلما
ابت من غربتي الى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي
منتدى المتادبين وملتقى القاطنين منهم والمتغربين فدخل ذو
لحية كثة وهيئة رثة فسلم على الجلاس وجلس في اخريات
الناس ثم اخذ يبدي ما في وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه
فقال لمن يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال ديوان ابي عبادة
المشهود له بالاجادة فقال هل عثرت له فيما لمحته على بديع
استملحته فقال نعم قوله

كانما تبسم عن لؤلؤ ... منضد او برد او اقاح

فانه ابدع في التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب ولضيعة الادب

لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت في غير ضرم اين انت من البيت
النادر الجامع مشبهات الثغر وانشد

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه ... وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد ... وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستملاه وسئل لمن هذا
البيت وهل حي قائله ام ميت فقال ايم الله للحق احق ان يتبع وللصدق
حقيق بان يستمع انه يا قوم لنجيكم منذ اليوم قال فكان الجماعة ارتابت
بعزوته وابت تصديق دعوته فتوجس ما هجس في افكارهم
وفطن لما بطن من استنكارهم وحاذر ان يفرط اليه ذم فقرا
ان بعض الظن اثم ثم قال يا رواة القريض واساة القول المريض
ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل

فيما غبر من الزمان عند الامتحان يكرم الرجل او يهان وها انا قد
عرضت خبيئتي للاختبار وعرضت حقيبتي على الاعتبار فابتدر
احد من حضر وقال اعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة
بمثاله فان آثرت اجتلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب وانشد

فامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن الا كلمح البصر او اقرب حتى انشد فاغرب

سالته حين زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي اطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا قمر ... وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا بنزاهته فلما آنس استئناسهم
بكلامه وانصبابهم الى شعب اكرامه اطرق كطرفة العين ثم قال
دونكم بيتين آخرين وانشد

وأقبلت يوم جد البين في حلل سود تعض بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صبح أقلهما غصن وضرست البلور بالدرر

فحينئذ استنشى القوم ميته واستغزروا ديمته وأجمعوا عشرته وجلوا قشرته قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته أمعنت في توسمه وسرحت الطرف في ميسمه فإذا هو شيخنا السروجي وقد أقمر ليله الدجوجي فهنأت نفسي بموردة وابتدرت استلام يده وقلت له ما الذي حال صفتك حتى جهلت معرفتك وأي شيب شيب لحيتك حتى أنكرت حليتك فأنشأ يقول

وقع الشوائب شيب ... والدهر بالناس قلب
إن دان يوماً لشخص ... ففي غد يتغلب
فلا تثق بوميض ... من برقه فهو خلب

واصبر إذا هو أضرى بك الخطوب وألب ... فما على التبر عار في النار حين يقلب

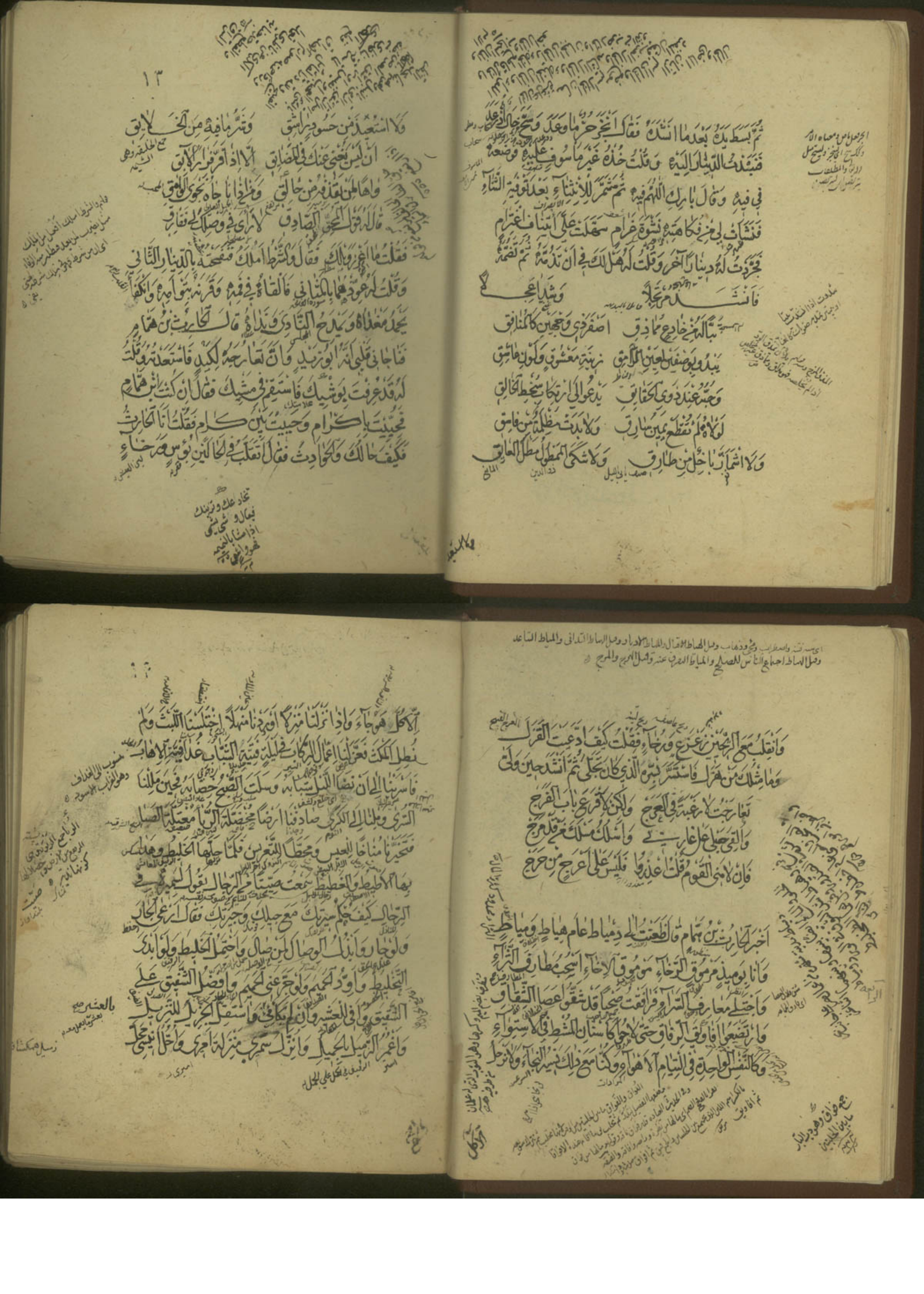
ثم نهض مفارقاً موضعه ومستصحباً القلوب معه

روى الحارث بن همام قال نظمني وأخدان لي ناد لم يخب فيه مناد ولا كبا فيه قدح زناد ولا ذكت فيه نار عناد فبينما نحن نتجاذب أطراف الأناشيد ونتوارد طرف الأسانيد إذ وقف علينا شخص عليه سمل وفي مشيته قزل فقال يا أخاير الذخائر وبشائر العشائر عموا صباحاً وأنعموا اصطباحاً وانظروا إلى من كان ذا ندي وندى وجدة وجدى وعقار وقرى ومقار وقرى فما زال به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشرر شر الحسود وانتياب النوب السود حتى صفرت الراحة وقرعت

الساحة وغار المنبع ونبا المربع وأقوى المجمع وأقض المضجع واستحالت الحال وأعول العيال وخلت المرابط ورحم الغابط وأودى الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت وآل بنا الدهر الموقع والفقر المدقع إلى أن احتذينا الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا الجوى وطوينا الأحشاء على الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنا الوهاد واستوطأنا القتاد وتناسينا الأقتاد واستطبنا الحين المجتاح واستبطأنا اليوم المتاح فهل من حر آس أو سمح مواس فوالذي استخرجني من قيلة لقد أمسيت أخا عيلة لا أملك بيت ليلة قال الحارث بن همام فأويت لمفاقره ولويت إلى استنباط فقره فأبرزت له ديناراً وقلت له اختباراً إن مدحته نظماً فهو لك حتماً فانبرى ينشد

في الحال من غير انتحال

أكرم به أصفر راقت صفرته ... جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته ... قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته ... وحببت إلى الأنام غرته
كأنما من القلوب نقرته ... به يصول من حوته صرته
وإن تفانت أو توانت عترته ... يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته ... كم آمر به استتبت إمرته
ومترف لولاه دامت حسرته ... وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أنزلته بدرته ... ومستشيط تتلظى جمرته
أسر نجواه فلانت شرته ... وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته ... وحق مولى أبدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته



ثم بسط يده بعدما أنشد فقال أنجز حرٌّ ما وعد وسحّ خالٌ إذ رعد
فنبذت الدينار إليه وقلت خذه غير مأسوف عليه فوضعه
في فيه وقال بارك اللهم فيه ثم شمّر للانثناء بعد توفية الثناء
فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام سهّلت عليّ ائتناف اغترام
فجرّدت له دينارا آخر وقلت له هل لك في أن تذمّه ثم تضمّه
فأنشد مرتجلا وشدا عجلا

تبًّا له من خادعٍ مماذقِ ... أصفر ذي وجهين كالمنافقِ
يبدو بوصفين لعين الرامقِ ... زينة معشوقٍ ولون عاشقِ
وحبّه عند ذوي الحقائقِ ... يدعو إلى ارتكاب سخط الخالقِ
لولاه لم تقطع يمين سارقِ ... ولا بدت مظلمةٌ من فاسقِ
ولا اشمأزّ باخلٌ من طارقِ ... ولا شكا الممطول مطل العائقِ

ولا استعيذ من حسودٍ راشقِ ... وشرّ ما فيه من الخلائقِ
أن ليس يغني عنك في المضايقِ ... إلا إذا فرّ فرار الآبقِ
واهًا لمن يقذفه من حالقِ ... ومن إذا ناجاه نجوى الوامقِ
قال له قول المحقّ الصادقِ ... لا رأي في وصلك لي ففارقِ

فقلت له ما أغزر وبلك فقال والشرط أملك فنفحته بالدينار الثاني
وقلت له عوّذهما بالمثاني فألقاه في فيه وقرنه بتوأمه وانكفأ
يحمد مغداه ويمدح النادي ونداه قال الحارث بن همام
فناجاني قلبي بأنه أبو زيد وأنّ تعارجه لكيد فاستعدته وقلت
له قد عرفت بوشيك فاستقم في مشيك فقال إن كنت ابن همام
فحيّيت بإكرام وحييت بين كرام فقلت أنا الحارث
فكيف حالك والحوادث فقال أتقلّب في الحالين بؤسٍ ورخاءٍ

وأنقلب مع الريحين زعزعٍ ورخاءٍ فقلت كيف ادّعيت القزل
وما مثلك من هزل فاستسرّ بشره الذي كان تجلّى ثم أنشد حين ولّى

تعارجت لا رغبةً في العرج ... ولكن لأقرع باب الفرج
وألقي حبلي على غاربي ... وأسلك مسلك من قد مرج
فإن لامني القوم قلت اعذروا ... فليس على أعرجٍ من حرج

أخبر الحارث بن همام قال ظعنت إلى دمياط عام هياطٍ ومياط
وأنا يومئذ مرموق الرخاء موموق الإخاء أسحب مطارف الثراء
وأجتلي معارف السرّاء فرافقت صحبا قد شقّوا عصا الشقاق
وارتضعوا أفاويق الوفاق حتى لاحوا كأسنان المشط في الاستواء
وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء وكنّا مع ذلك نسير النجاء ولا نرحل

إلا كلّ هوجاء وإذا نزلنا منزلا أو وردنا منهلا اختلسنا اللبث ولم
نطل المكث فعنّ لنا إعمال الركاب في ليلة فتيّة الشباب غدافيّة الإهاب
فأسرينا إلى أن نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا
السرى وملنا إلى الكرى صادفنا أرضا مخضلّة الربا معتلّة الصبا
فتخيّرناها مناخا للعيس ومحطّا للتعريس فلما حلّها الخليط وهدأ
بها الأطيط والغطيط سمعت صيّتا من الرجال يقول لسميره في
الرحال كيف حكم سيرتك مع جيلك وجيرتك فقال أرعى الجار
ولو جار وأبذل الوصال لمن صال وأحتمل الخليط ولو أبدى
التخليط وأودّ الحميم ولو جرّعني الحميم وأفضّل الشفيق على
الشقيق وأفي للعشير وإن لم يكافئ بالعشير وأستقلّ الجزيل للنزيل
وأغمر الزميل بالجميل وأنزل سميري منزلة أميري وأحلّ أنيسي محلّ

رُتبتي وأودع معارفي عوارفي وأولي مرافقي مرافقي وألين مقالي
للقالي وأديم تسآلي عن السالي وأرضى من الوفاء باللفاء وأقنع من الجزاء
بأقل الأجزاء ولا أتظلم حين أُظلم ولا أنقم ولو لدغني الأرقم فقال له
صاحبه ويك يا بني إنما يُضنّ بالضنين وينافس في الثمين لكنني أنا لا آتي
غير المواتي ولا أسم العاتي بمراعاتي ولا أصافي من يأبى إنصافي ولا
أواخي من يلغي الأواخي ولا أمالي من يخيّب آمالي ولا أبالي بمن
صرم حبالي ولا أداري من جهل مقداري ولا أعطي زمامي من
يخفر ذمامي ولا أبذل ودادي لأضدادي ولا أدع إيعادي
للمعادي ولا أغرس الأيادي في أرض الأعادي ولا أسمح بمواساتي
لمن يفرح بمساءتي ولا أرى التفاتي إلى من يشمت بوفاتي ولا أخص
بحبائي إلا أحبائي ولا أستطب لدائي غير أودائي ولا أملك خُلّتي

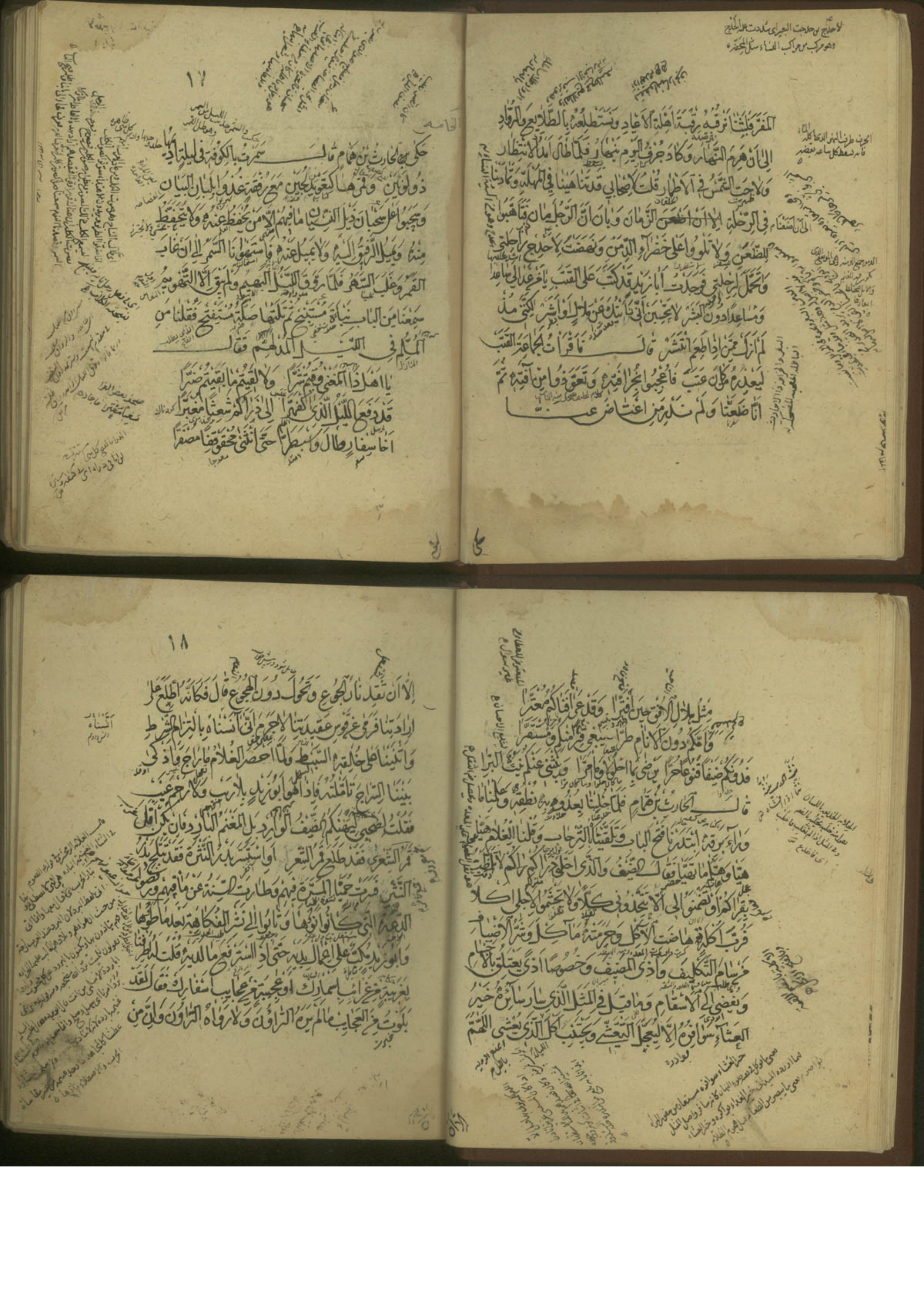
من لا يسد خلتي ولا أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي ولا أخلص دعائي
لمن لا يعم وعائي ولا أفرغ ثنائي على من يفرغ إنائي ومن حكم بأن أبذل
وتخزن وألين وتخشن وأذوب وتجمد وأذكو وتخمد لا والله بل
نتوازن في المقال وزن المثقال ونتحاذى في الفعال حذو النعال
حتى نأمن التغابن ونكفي التضاغن وإلا فلم أعلك وتعلني وأقلك
وتستقلني وأجترح لك وتجرحني وأسرح إليك وتسرحني وكيف
يجتلب إنصاف بضيم وأنى تشرق شمس مع غيم ومتى أصحب ود بعسف
وأي حر رضي بخطة خسف ولله أبوك إذ يقول

جزيت من أعلق بي وده ... جزاء من يبني على أسه
وكلت للخل كما كال لي ... على وفاء الكيل أو بخسه
ولم أخسّره وشر الورى ... من يومه أخسر من أمسه

وكل من يطلب عندي جنى ... فما له إلا جنى غرسه
لا أبتغي الغبن ولا أنثني ... بصفقة المغبون في حسه
ولست بالموجب حقا لمن ... لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالني ... أصدقه الود على لبسه
وما درى من جهله أنني ... أقضي غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى ... وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة ... لباس من يرغب عن أنسه
ولا ترج الود ممن يرى ... أنك محتاج إلى فلسه

قال الحارث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت إلى أن
أعرف عينهما فلما لاح ابن ذكاء وألحف الجو الضياء غدوت قبل
استقلال الركاب ولا اغتداء الغراب وجعلت أستقري صوب

الصوت الليلي وأتوسم الوجوه بالنظر الجلي إلى أن لمحت أبا زيد وابنه
يتحادثان وعليهما بردان رثان فعلمت أنهما نجيا ليلتي وصاحبا
روايتي فقصدتهما قصد كلف بآدابهما راث لرثاثتهما وانحتهما
التحول إلى حلتي والتحكم في كثري وقلي وطفقت أسير بين السيارة
فضلهما وأهز الأعواد المثمرة لهما حتى عمرا بالخلال واتخذا
من الخلان وكنا بمعرس ينتجي منه بنيان القرى وتنور نيران
القرى فلما رأى أبو زيد امتلاء كيسه وانجلاء بؤسه قال لي إن بدني
قد اتسخ ودرني قد ترسخ أفتأذن لي في قصد قرية لأستحم وأقضي
هذا المهم فقلت إذا شئت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة فقال ستجد
مطلعي عليك أسرع من ارتداد طرفك إليك ثم استن استنان
الجواد في المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم نخل أنه غر وطلب



المفر فلبثنا نرقبه رقبة أهلة الأعياد ونستطلعه بالطلائع والرواد
إلى أن هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار فلما طال أمد الانتظار
ولاحت الشمس في الأطمار قلت لأصحابي قد تناهينا في المهلة وتمادينا
في الرحلة إلى أن أضعنا الزمان وبان أن الرجل مان فتأهبوا
للظعن ولا تلووا على خضراء الدمن ونهضت لأحدج رحلتي
وأحمل راحلتي فوجدت أبا زيد قد كتب على القتب يا من غدا لي ساعدا
وساعدا دون البشر لا تحسبن أني نأيت عن ملال أو أشر لكنني مذ
لم أزل من إذا طعمت انتشر قال فأقرأت الجماعة القتب
ليعذره من كان عتب فأعجبوا بخرافته وتعوذوا من آفته ثم
إنا ظعنا ولم ندر من اعتاض عنا

١٧

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة أديمها
ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان
وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم إلا من يحفظ عنه ولا يتحفظ
منه ويميل الرفيق إليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر إلى أن غاب
القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق إلا التهويم
سمعنا من الباب نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا من
الملم في الليل المدلهم فقال

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا ... ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذي اكفهرا ... إلى ذراكم شعثا مغبرا
أخا سفار طال واسبطرا ... حتى انثنى محقوقفا مصفرا

مثل هلال الأفق حين افترا ... وقد عرا فناءكم معترا
وأمكم دون الأنام طرا ... يبغي قرى منكم ومستقرا
فدونكم ضيفا قنوعا حرا ... يرضى بما احلولى وما أمرا
وينثني عنكم ينث البرا

قال الحارث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما
وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا
هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذي أحلني ذراكم لا تلمظت
بقراكم أو تضمنوا لي أن لا تتخذوني كلا ولا تجشموا لأجلي أكلا
فرب أكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر الأضياف
من سام التكليف وآذى المضيف خصوصا أذى يعتلق بالأجسام
ويفضي إلى الأسقام وما قيل في المثل الذي سار سائره خير
العشاء سوافره إلا ليعجل التعشي ويجتنب أكل الليل الذي يعشي اللهم

١٨

إلا أن تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع قال فكأنه اطلع على
إرادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لا جرم أنا آنسناه بالتزام الشرط
وأثنينا على خلقه السبط ولما أحضر الغلام ما راج وأذكى
بيننا السراج تأملته فإذا هو أبو زيد بلا ريب ولا رجم غيب
فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فإن يكن أفل
قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر أو استسر بدر النثر فقد تبلج بدر
النثر فسرت حميا المسرة فيهم وطارت السنة عن مآقيهم ورفضوا
الدعة التي كانوا نووها وثابوا إلى نشر الفكاهة بعدما طووها
وأبو زيد مكب على إعمال يديه حتى إذا استرفع ما لديه قلت له أطرفنا
بغريبة من غرائب أسمارك أو عجيبة من عجائب أسفارك فقال لقد
بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون ولا رواه الراوون وإن من

أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم ومصيري إلى بابكم فاستخبرناه
عن طرفة مرآه في مسرح مسراه فقال إن مرامي الغربة لفظتني إلى
هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبؤسى وجراب كفؤاد أم موسى
فنهضت حين سجى الدجى على ما بي من الوجى لأرتاد مضيفا أو أقتاد
رغيفا فساقني حادي السغب والقضاء المكنى أبا العجب إلى أن وقفت
على باب دار فقلت على بدار

حييتم يا أهل هذا المنزل ... وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل ... نضو سرى خابط ليل أليل
جوي الحشا على الطوى مشتمل ... ما ذاق مذ يومان طعم مأكل
ولا له في أرضكم من موئل ... وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ ... فهل بهذا الربع عذب المنهل

يقول لي ألق عصاك وادخل ... وابشر ببشر وقرى معجل

قال فبرز إلي جؤذر عليه شوذر وقال

وحرمة الشيخ الذي سن القرى ... وأسس المحجوج في أم القرى
ما عندنا لطارق إذا عرى ... سوى الحديث والمناخ في الذرى
وكيف يقري من نفى عنه الكرى ... طوى برى أعظمه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرت ما ترى

فقلت له ما أصنع بمنزل قفر ومنزل حليف فقر ولكن يا فتى ما
اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشئي فيد ووردت إلى هذه
المدرة أمس مع أخوالي من بني عبس فقلت له زدني إيضاحا عشت
ونعشت زادك الله صلاحا فقال أخبرتني أمي برة وهي كاسمها برة أنها
نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس
منها الإثقال وكان بالأقعة على ما يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا

فما يعرف أحي هو فيتوقع أم أودع اللحد البلقع قال أبو زيد فعرفت بصحة
العلامات أنه ولدي وصدفني عن التعرف إليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد
مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا أولي الألباب بأعجب من هذا
العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب فقال أثبتوها في عجائب الاتفاق
وخلدوها بطون الأوراق فما سير مثلها في الآفاق فأحضرنا الدواة و
أساودها ورقشنا الحكاية على ما سردها ثم استنبطناه عن مرتآه
في استضمام فتاه فقال إذا ثقل ردني خف علي أن أكفل ابني فقلنا إن كان
يكفيك نصاب من المال ألفناه لك في الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب
وهل يحتقر قدره إلا مصاب قال الراوي فالتزم كل منا قسطا وكتب له
به قطا فشكر عند ذلك الصنع واستنفد في الثناء الوسع حتى أنا
استطلنا القول واستقللنا الطول ثم إنه نشر من وشي السمر ما أزرى

بالحبر إلى أن أظل التنوير وجشر الصبح المنير فقضيناها ليلة غابت
شوائبها إلى أن شابت ذوائبها وكمل سعودها إلى أن انفطر عمودها
ولما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات
ونستنض الإحالات فقد استطارت صدوع كبدي من الحنين إلى ولدي
فوصلت جناحه حتى سنيت نجاحه فحين أحرز العين في صرته برقت
أسارير مسرته وقال لي جزيت خيرا عن خطى قدميك والله خليفتي عليك
فقلت أريد أن أتبعك لأشاهد ولدك النجيب وأناقيه لكي يجيب فنظر إلي
نظر الخادع إلى المخدوع وضحك حتى تغرغرت عيناه بالدموع وأنشد

يا من تظنى السراب ماء ... لما رويت الذي رويت
ما خلت أن يستسر مكري ... وأن يخيل الذي عنيت
والله ما برة بعرسي ... ولا لي ابن به اكتنيت
وإنما لي فنون سحر ... أبدعت فيها وما اقتديت





واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين والأروع يثيب والمعور يخيب والحلاحل
يضيف والماحل يخيف والسمح يغذي والحر يجزي والإلطاط يخزي واطراح ذي
حرمة غي ومحرمة بني الآمال بغي وما ضن إلا غبين ولا غبن إلا ضنين
ولا خزن إلا شقي ولا قبض راحة تقي وما فتئ وعدك يفي وآراؤك تشفي
وحلمك يغضي وهلالك يضيء وآلاؤك تغني وأعداؤك تثني وحسامك يفني
وسؤددك ينمي ومواصلك يحتمي ومادحك يقتني وسماحك يغيث وسماؤك
تغيث ودرك يفيض ورفدك يغيض ومؤملك شيخ حكاه فيء ولم يسوله
شيء أملك بظن حرصه يخيب ومدحك نخب مهرها تحج ومعراه يخف
وأوامره تشف وطراوة يجدب بنوء عطاء ضعف منهم شظف وحصهم جنف
وعمهم قشف وهو في دمع يجب وله يذيب وهم لضيف ونكد نيف للمولد
خيب آماله شيب وعدو نيب وهذا تعتب فلم يزع وهو يغضب

ولا جنت عوده فيقضب ولا تنتصيه فينقض ولا تتر وصله فيبغض وما يقتضي كرمك
نبذ حرمه فبيض أمله بتخفيف ألمه بقيت حمدك بين عالمه بقيت لإماطة شجب وإعطاء
نشب ومداواة شجن ومراعاة نفس موصوكا بخفض وسرور غض ما غني معهد غني
أو خشي وهم فني والسلام فلما فرغ من إملاء رسالته وجلى في هيجاء البلاغة عن بسالته ملأته
أرضية الجماعة فعلا وقولا وأوسعته حفاوة وطولا ثم سئل عن أي الشعوب نجاره
وفي أي الشعاب وجاره فقال

غسان أسرتي الصميمه ... وسروج تربتي القديمه
فالبيت مثل الشمس إشراقا ... ومنزلة جسيمه
والربع كالفردوس مطـ ... ـيبة ومنزهة وقيمه
واها لعيش كان لي ... فيها ولذات عميمه
أيام أسحب مطرفي ... في روضها ماضي العزيمه
أختال في برد الشباب ... وأجتلي النعم الوسيمه
لا أتقي نوب الزمان ... ولا حوادثه الملمه
فلو ان كربا متلفا

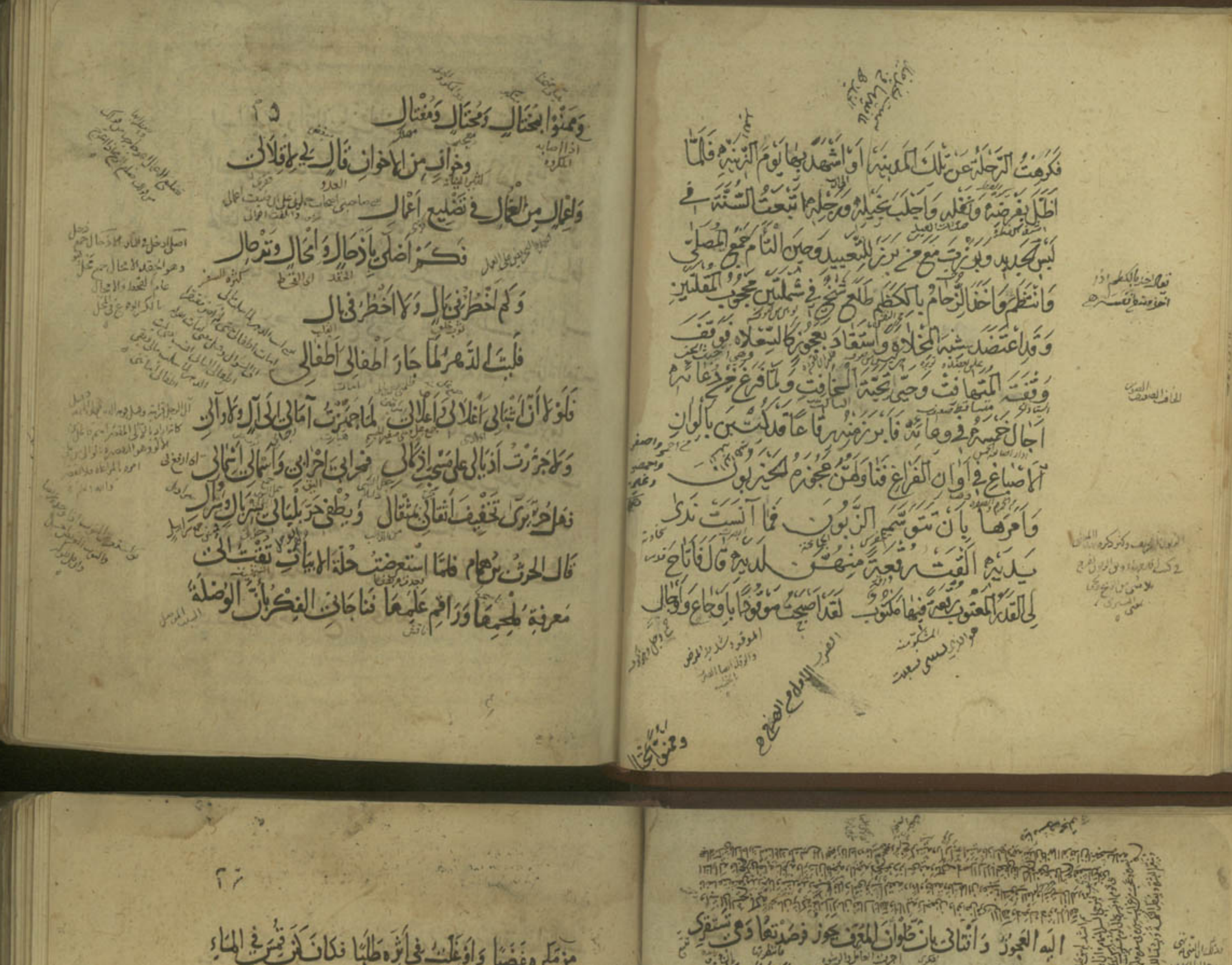
لتلفت من كربي الحميمه ... أو ينبري عيش مضى لفدته مهجتي الكريمه
فالموت خير للفتى ... من عيشه عيش البهيمه
تقتاده برة الصغار ... إلى العظيمة والهضيمه
وترى السباع تنوشها ... أيدي الضباع المستضيمه
والذنب للأيام لولا ... شؤمها لم تنب شيمه
ولو استقامت كانت الـ ... أحوال فيها مستقيمه

ثم إن خبره نمي إلى الوالي فملأ فاه باللآلي وسامه أن ينضوي إلى
أحشائه ويلي ديوان إنشائه فاحسبه الحباء وظلفه عن الولاية الإباء
قال الراوي وكنت عرفت عود شجرته قبل
إيناع ثمرته وكدت أنبه على علو قدره قبل
استنارة بدره فأوحى إلي بإيماض جفنه ألا أجرد

عضبه من جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزا
بالفلج شيعته قاضيا حق الرعاية ولاحيا له على
رفض الولاية فأعرض متبسما وأنشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربه ... أحب إلي من المرتبه
لأن الولاة لهم نبوة ... ومعتبة يا لها معتبه
وما فيهم من يرب الصنيع ... ولا من يشيد ما رتبه
فلا يخدعنك لموع السراب ... ولا تأت أمرا إذا ما اشتبه
فكم حالم سره حلمه ... وأدركه الروع لما انتبه

حكى الحارث بن همام قال أزمعت
الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد



فكرهت الرحلة عن تلك المدينة أو أشهد بها يوم الزينة فلما
أظل بفرضه وتخلّى وأجلب بخيله ورجله أتبعت السنة في
لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم جمع المصلّى
وانتظم وأخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين
وقد اعتضد شبه المخلاة واستقاد لعجوز كالسعلاة فوقف
وقفة المتهافت وحيّا تحية الخافت ولما فرغ من دعائه
أجال خمسه في وعائه فأبرز منه رقاعا قد كتبن بألوان
الأصباغ في أوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون
وأمرها بأن تتوسم الزبون فما آنست ندى
يديه ألقت رقعة منهن لديه قال فأتاح
لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب لقد أصبحت موقوذا بأوجاع وأوجال

وممنوّا بمختال ومحتال ومغتال
وخوّان من الإخوان قالٍ لي وقتّال
وإعمال من العمّال في تضييع أعمالي
فكم أصلى بإذحال لإخلال وترحال
وكم أخطر في بال ولا أخطر في بال
فليت الدهر لما جار ما فالى أطفالي
فلولا أن أشبالي أغلالي وأعلالي
لما جرّت آمالي إلى الآل ولا الآل
ولا جرّرت أذيالي على مسحب إذلالي
فمحرابي أحرى بي وأسمالي أسمى لي
فهل حرّ يرى تخفيف أثقالي بمثقال
ويطفي حرّ بلبالي بسربال وسربال
قال الحارث بن همام فلما استعرضت حلة الأبيات تقت إلى
معرفة منشئها وراقم علمها فناجاني الفكر بأن الوصلة

إليه العجوز وأنبأني بأن حلوان المعرفة يجوز فرصدتها وهي تستقري
الصفوف صفا صفا وتستوكف الأكف كفا كفا وما أنجح
لها عناء ولا رشح على يدها إناء فلما أكدى استعطافها وأكداها
مطافها عاذت بالارتجاع ومالت إلى ارتجاع الرقاع وأنساها
الشيطان ذكر رقعتي فلم تعج إلى بقعتي نقبت الراحل محروبة النيل
أسفة الشكل مذعاة إلى الأكل لها خافة العصب وشقاوة العصب
وآلة الحرب ولدونة الغصن الرطب قال فتمحّضت فيما
أمر ما أدراه عنه الغمر ولم أهم إلى أنه قصد أن يخدع بإدخال
المخدع ولا تظنيت أنه يخرز من الرسول باسترعاء الحلاوة و
الفضل فلما عدت بالملتمس أقرب من رجع النفس
وجدت الجو قد خلا والشيخ والنجعة قد أجفلا فاستشطت

من مكره غضبا وأوغلت في إثره طلبا فكان كمن قمص في الماء
أو عرج به إلى عنان السماء

المقامة الثامنة

حكى الحارث بن همام قال رأيت من أعاجيب الزمان أن تقدم
خصمان إلى قاضي معرّة النعمان أحدهما قد ذهب منه الأطيبان
والآخر كأنه قضيب البان فقال الشيخ أيد الله القاضي كما أيد
به المتقاضي إنه كانت لي مملوكة رشيقة القد أسيلة
الخد صبور على الكد تخب أحيانا كالنهد وترقد أطوارا في
المهد وتجد في تموز مس البرد ذات عقل وعنان وحد
وسنان وكف ببنان وفم بلا أسنان تلدغ بلسان نضناض
وترفل في ذيل فضفاض وتجلى في سواد وبياض وتسقى ولكن
من غير حياض ناصحة خدعة خبأة طلعة مطبوعة على المنفعة

مطواعة في الضيق والسعة إذا قطعت وصلت ومتى فصلتها عنك
انفصلت وطالما أخذت منك فجملت وربما جنت عليك فآلمت و
ملمت وإن هذا الفتى استخدمنيها لغرض فأخدمته إياها بلا عوض
على أن يجتني نفعها ولا يكلفها إلا وسعها فأولج فيها متاعه
وأطال بها استمتاعه ثم أعادها وقد أفضاها وبذل عنها
قيمة لا أرضاها فقال الحدث أما الشيخ فأصدق من القطا وأما
الإفضاء ففرط عن خطا وقد رهنته على أرش ما أوهنته مملوكا لي
متناسب الطرفين منتسبا إلى القين نقيا من الدرن والشين
يقارن محله سواد العين يفشي الإحسان وينشي الاستحسان
ويغذي الإنسان ويتحامى اللسان إن سود جاد أو وسم
أجاد وإذا زود وهب الزاد ومتى استزيد زاد لا يستقر

بمغنى

بمغنى وقلما ينكح إلا مثنى يسخو بموجوده ويسمو عند جوده وينقاد
مع قرينته وإن لم تكن من طينته ويستمتع بزينته وإن لم تطمع
في لينته فقال لهما القاضي إما أن تبينا وإلا فبينا فابتدر الغلام

فقال

أعارني إبرة لأرفو أطمارا أعفاها البلى وسودها
فانخرمت في يدي على خطإ مني لما جذبت مقودها
فلم ير الشيخ أن يسامحني بأرشها إذ رأى تأودها
بل قال هات إبرة تماثلها أو قيمة بعد أن تجودها
واعتاق ميلي رهنا لديه وناهيك بها سبة تزودها
فالعين مني لرهنه وبكية تعصر عن أن تفك مزودها
فاستبر ما شرحت عن رشكي وارث لمن لم يلق تعودها

فأقبل القاضي على الشيخ وقال إيه بغير تمويه فقال

أقسمت بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين خيف منى
لو ساعفتني الأيام لم ترني مرتهنا ميله الذي رهنا
ولا تصديت أبتغي بدلا من إبرة غالها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني بمصميات من هاهنا وهنا
وخبر حالي كخبر حالته ضرا وبؤسا وغربة وضنا
قد عدل الدهر بيننا فأنا نظيره في الشقاء وهو أنا
لا هو يستطيع فك مزوده لما غدا في يدي مرتهنا
ولا مجالي الضيق ذات يدي فيه اتساع للمعفوين جنا
فهذه قصتي وقصته فانظر إلينا وبيننا ولنا

فلما وعى القاضي قصصهما وتبين خصاصتهما وتخصصهما أبرز
لهما دينارا من تحت مصلاه وقال اقطعا به الخصام وافصلاه

فتلقفه

فتلقفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجد دون العبث
وقال للحدث نصفه لي بسهم مبرتي وسهمك لك عن أرش إبرتي
ولست عن الحق أميل فقم وخذ الميل فعرا الحدث لما حدث
اكتئاب وجم له قلب القاضي وهيج أسفه على الدينار الماضي
إلا أنه جبر بال الفتى وبلباله بدريهمات رضخ بها له وقال
لهما اجتنبا المعاملات وادرآ المخاصمات ولا تحضراني في
المحاكمات فما عندي كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده
مفصحين بحمده والقاضي ما يخبو ضجره مذ بض حجره ولا ينصل كمده
مذ رشح جلمده حتى إذا أفاق من غشيته أقبل على غاشيته وقال
قد أشرب حسي ونبأني حدسي أنهما صاحبا دهاء لا خصما ادعاء
فكيف السبيل إلى سبرهما واستنباط سرهما فقال له نحرير زمرته

وشرارة جمرته انه لن يتم استخراج خبأهما الا بعيهما فقفاهما القاضي
عونا يرجعهما اليه فلما مثلا بين يديه قال لهما اصدقاني سن
بكركما ولكما الامان من تبعة مكركما فاحجم الحدث واستقال واقدم
الشيخ وقال انا السروجي وهذا ولدي والشبل في المخبر مثل الاسد

وما تعدت يده ولا يدي في ابرة يوما ولا في مرود
وانما الدهر المسيء المعتدي مال بنا حتى غدونا نجتدي
كل ندي الراحة عذب المورد وكل جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكل مقصد بالجد ان اجدى والا بالدد
لنجلب الرشح الى الحظ الصدي وننفد العمر بعيش انكد
والموت من بعد لنا بالمرصد ان لم يفاج اليوم فاجا في غد

فقال له القاضي لله درك فما اعذب نفثات فيك واها لك

لولا

لولا خداع فيك واني لك من المنذرين وعليك من الحذرين فلا
تماكر بعدها الحاكمين واتق سطوة المتحكمين فما كل مسيطر
يقيل ولا كل اوان يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتباع مشورته
والارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن جهته والخبث يلمع عن جبهته
قال الحرث فلم ار اعجب منها في تصاريف الاسفار ولا قرأت
مثلها في تصانيف الاسفار

المقامة التاسعة

قال الحرث بن همام طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب
الى ان جبت ما بين فرغانة وغانة اخوض الغمار لاجتني الثمار
واقتحم الاخطار لكي ادرك الاوطار وكنت لقفت من افواه
العلماء وثقفت من وصايا الحكماء انه يلزم الاديب الاريب اذا
دخل البلد الغريب ان يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه

ليشتد ظهره عند الخصام ويامن في الغربة جور الحكام
فاتخذت هذا الادب اماما وجعلته لمصالحي زماما فما دخلت
مدينة ولا ولجت عرينة الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح
وتقويت بعنايته تقوي الاجساد بالارواح فبينما انا عند حاكم
الاسكندرية في عشية عرية وقد احضر مال الصدقات ليفضه على
ذوي الفاقات اذ دخل شيخ عفرية تعتله امراة مصبية
فقالت ايد الله القاضي وادام به التراضي اني امراة من اكرم
جرثومة واطهر ارومة واشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون
وشيمتي الهون وخلقي نعم العون وبيني وبين جاراتي بون وكان ابي
اذا خطبني بناة المجد وارباب الجد سكتهم وبكتهم و
عاف وصلتهم وصلاتهم واحتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة الا

يصاهر

يصاهر غير ذي حرفة فقيض القدر لنصبي ووصبي ان حضر هذا الخدعة
نادي ابي فاقسم بين رهطه انه وفق شرطه وادعى انه طالما نظم
درة الى درة فباعهما ببدرة فاغتر ابي بزخرفة محاله وزوجنيه
قبل اختبار حاله فلما استخرجني من كناسي ورحلني عن اناسي
ونقلني الى كسره وحصلني تحت اسره وجدته قعدة جثمة و
الفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزي واثاث
وري فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف ثمنه في الخضم
والقضم الى ان مزق مالي باسره وانفق مالي في عسره فلما انساني
طعم الراحة وغادر بيتي انقى من الراحة قلت له يا هذا انه
لا مخباء بعد بوس ولا عطر بعد عروس فانهض للاكتساب
بصناعتك واجتن ثمرة براعتك فزعم ان صناعته قد رميت بالكساد

لما ظهر في الأرض الفساد، ولي منه سلالة كأنه خلالة، فكلانا
ما ينال معه شبعة، ولا يرقأ له من الطوى دمعة، وقد قدته
إليك، وأحضرته لديك، لتعجم عود دعواه، وتحكم بيننا بما أراك الله.
فأقبل القاضي عليه وقال: قد وعيت قصص عرسك، فبرهن
عن نفسك، وإلا كشفت عن لبسك، وأمرت بحبسك. فأطرق إطراق
الأفعوان، ثم شمر للحرب العوان، **وقال**:

اسمع حديثي فإنه عجب ... يضحك من شرحه وينتحب
أنا امرؤ ليس في خصائصه عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها والأصل غسان حين أنتسب
وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض والخطب

اغوص

أغوص في لجة البيان فأختار اللآلي منها وأنتخب
وأجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود محتطب
وآخذ اللفظ فضة فإذا ما صغته قيل إنه ذهب
وكنت من قبل أمتري نشبا بالأدب المقتنى وأحتلب
ويمتطي أخمصي لحرمته مراتبا لين فوقها رتب
وطالما زفت الصلات إلى ربعي فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به أكسد شيء في سوقه الأدب
لا عرض أبنائه يصان ولا يرقب فيهم إل ولا نسب
كأنهم في عراصهم جيف يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما منيت به من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي وساورتني الهموم والكرب

وقادني دهري المليم إلى سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لي لبد ولا أثاث إليه أنقلب
وادنت حتى أثقلت سالفتي حمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشا على سغب خمسا فلما أمضني السغب
لم أر إلا جهازها عرضا أجول في بيعه وأضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت إذ عبثت به حد التراضي فيحدث الغضب
فإن يكن غاظها توهمها أن بناني بالنظم تكتسب
أو أنني إذ عزمت خطبتها زخرفت قولي لينجح الأرب
فوالذي سارت الرفاق إلى كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من خلقي ولا شعاري التمويه والكذب

ولا يدي

ولا يدي مذ نشأت نيط بها إلا مواضي اليراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا كفي وشعري المنظوم لا السخب
وهذه الحرفة المشار إلى ما كنت أحوي بها وأجتلب
فأذن لشرحي كما أذنت لها ولا تراقب واحكم بما يجب

قال: فلما أحكم ما شاده، وأكمل إنشاده، عطف القاضي
إلى الفتاة، بعد أن شغف بالأبيات، وقال: أما إنه قد ثبت
عند جميع الحكام، وولاة الأحكام، انقراض جيل الكرام
وميل الأيام إلى اللئام، وإني لأخال بعلك صدوقا في الكلام
بريا من الملام، وها هو قد اعترف لك بالقرض، وصرح عن
المحض، وبين مصداق النظم، وتبين أنه معروق العظم، و
إعنات المعذر ملامة، وحبس المعسر مأثمة، وكتمان

الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبر عبادة، فارجعي إلى خدرك، واعذريني بعذرك، ونهنهي من غربك، وسلّمي لقضاء ربك. ثم إنه فرض لهما في الصدقات حصة، وناولهما من دراهمها قبضة، وقال: تعلّلا بهذه العلالة، وتندّيا بهذه البلالة، واصبرا على كيد الزمان وكدّه، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده. فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الإسار، وهزّة الموسر بعد الإعسار. **قال الراوي:** وكنت عرفت أنه أبو زيد ساعة بزغت شمسه، ونزغت عرسه، وكدت أفصح عن افتنانه، وأثمار أفنانه، ثم أشفقت من عثور القاضي على بهتانه، وتزويق لسانه، فلا يرى عند عرفانه أن يرشّحه لإحسانه، فأحجمت عن القول إحجام المرتاب،

وطويت

وطويت ذكره كطيّ السجلّ للكتاب. إلا أني قلت بعد ما فصل، ووصل إلى ما وصل: لو أن لنا من ينطلق في أثره، لأتانا بفصّ خبره، وما ينشر من حبره. فأتبعه القاضي أحد أمنائه، وأمره بالتجسس على أنبائه، فما لبث أن رجع متدهدها، وتهافت مقهقها، فقال له القاضي: مهيم يا أبا مريم؟ فقال: لقد عاينت عجبا، وسمعت ما أنشأ لي طربا. فقال له: ماذا رأيت؟ وما الذي وعيت؟ قال: لم يزل الشيخ مذ خرج، يصفّق بيديه، ويخالف بين رجليه، ويغرّد بملء شدقيه، **ويقول:**

كدت أصلى بليّه ... من وقاح شمّريّه

وأزور السجن لولا ... حاكم الإسكندريّه

فضحك القاضي حتى هوت دنّيته، وذوت سكينته، فلما

فاء إلى الوقار، وعقّب الاستغراب بالاستغفار، قال: اللهم بحرمة عبادك المقرّبين، حرّم حبسي على المتأدّبين. ثم قال لذلك الأمين: عليّ به. فانطلق مجدّا في طلبه، ثم عاد بعد لأيه مخبرا بنأيه. فقال القاضي: أما إنه لو حضر لكفي الحذر، ثم لأوليته ما هو به أولى، ولأريته أن الآخرة خير له من الأولى. قال الحارث: فلما رأيت صغو القاضي إليه، وفوت ثمرة التنبيه عليه، غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار، والكسعيّ لما استبان النهار.

المقامة العاشرة الرحبية

حكى الحارث بن همّام قال: هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك بن طوق، فلبّيته ممتطيا شملة، ومنتضيا عزمة مشمعلّة، فلما ألقيت بها المراسي، وشددت

أمراسي

أمراسي، وبرزت من الحمّام بعد سبت رأسي، رأيت غلاما أفرغ في قالب الجمال، وألبس من الحسن حلّة الكمال، وقد اعتلق شيخ ببردته، يدّعي أنه فتك بابنه، والغلام ينكر معرفته، ويكبر قرفته، والخصام بينهما متطاير الشرار، والزحام عليهما يجمع بين الأخيار والأشرار، إلى أن تراضيا بعد اشتطاط اللدد بالتنافر إلى والي البلد، وكان ممّن يزنّ بالهنات، ويغلّب حبّ البنين على البنات، فأسرعا إلى ندوته، كالسليك في عدوته، فلما أحضراه جدّد الشيخ دعواه، واستعدى على عدواه، فاستنطق الغلام وألان له الكلام، وقد فتنه بمحاسن غرّته، وطرّ عقله بتصحيف طرّته، فقال: إنها لأفيكة أفّاك على غير سفّاك، وعضيهة محتال على من ليس بمغتال. فقال الوالي للشيخ

ان تعدْ لك عدلان من المسلمين والّا فتوقَّ منه اليمين

فقال الشيخ اتجد له حانثاً واراح دمه خالياً فانّى

لى شاهد ولم يكن ثمّ مشاهد ولكن ولِّنى تلقينه اليمين

ليبين لك ايصدق ام يمين فقال له انت المالك لذلك

مع وجدك المتهالك على ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام

قل والذى زيّن الجباه بالطُرر والعيون بالحَوَر والحواجب

بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والانوف بالشمم

والخدود باللهب والثغور بالشَنَب والبنان بالترف

والخصور بالهيف انّى ما قتلت ابنك سهواً ولا عمداً ولا

جعلت هامته لسيفى غمداً والّا فرمى الله جفنى بالعمش

وخدّى بالنمش وطُرّتى بالجلح وطلعتى بالكلح ووردتى بالبهار

ومسكتى

ومسكتى بالبخار وبدرى بالمحاق وفضّتى بالاحتراق وشعاعى

بالظلام ودواتى بالاقلام فقال الغلام الاصطلاء بالبليّة

ولا الايلاء بهذه الاليّة والانقياد للقود ولا الحلف بما لم يحلف

به احد وابى الشيخ الّا تجريعه اليمين التى اخترعها وامقر لها

جُرعها فلم يزل التلاحى بينهما يستعر ومحجّة التراضى تعر و

الغلام فى ضمن تأبّيه يخلب الوالى بتلوّيه ويطمعه فى ان

يلبّيه الى ان ران هواه على قلبه والتبّ بلبّه وسوّل له الوجد

الذى تيّمه والطمع الذى توهّمه ان يخلّص الغلام ويستخلصه

وان ينقذه من حبالة الشيخ ثمّ يقتنصه فقال للوالى

هل لك فيما هو اليق بالاتقى واقرب الى التقوى فقال

الامَ تشير لاقتفيه ولا اقف فيه فقال ارى ان تقصر عن

القيل والقال

وتقتصر على مائة مثقال لاتحمّل منها بعضاً واجبى لك الباقى

عرضاً فقال الشيخ ما منّا من يخالف فلا يكن لوعدك اخلاف فنقده

الوالى عشرين ووزّع على وزعته تكملة خمسين ورقّ ثوب

الاصيل وانقطع لاجله صوب التحصيل فقال له خذ

ما راج ودع اللجاج وعلىّ غداً ان اتوصّل الى ان انضّ

لك الباقى وتحصّل فقال الشيخ اقبل منك ذلك على ان الازمه

ليلتى ويرعاه انسان مقلتى حتّى اذا اعطى بعد انسفار الصبح

ما بقى من مال الصلح خلصت ذاته من قوبه وبرئ براءة

الذئب من دم ابن يعقوب فقال له الوالى ما اراك تتعدّى

شططاً ولا رمت فرطاً قال الحارث فلمّا رأيت

حجج الشيخ كحجج الرجبيّة علمت انّه علم السروجيّة

فلبثت

فلبثت الى ان زهرت نجوم الظلام وانتثرت عقود الزحام

ثمّ قصدت فناء الوالى فاذا الشيخ للفتى كالى فناشدته

بالله اهو ابو زيد فقال اى ومحلّ الصيد فقلت

من هذا الغلام الذى هفت له الاحلام فقال هو فى النسب فرخى

وفى المكتسب فخّى فقلت فهلّا اكتفيت بمحاسن فطرته

وكفيت الوالى الافتتان بطرّته فقال لو لم تبرز جبهته

لما تنفّثت الخمسين ثمّ قال بت الليلة عندى

لنطفئ نار الجوى وننيل الهوى من التوى فقد اجمعت

على ان انسلّ بسحرة واصلى قلب الوالى نار حسرة

قال فبتّ الليلة معه فى سمر آنق من حديقة

زهر وخميلة نهر حتّى اذا لألأ الافق ذنب السرحان

وإن نهاك النهى فحاد ركبه عن الطريق وإذاق الوالي
عذاب الحريق وسلم إلى ساعة الفراق رقعة محكمة الإلصاق
وقال ادفعها إلى الوالي إذا شط المزار وتحقق منا الفرار
ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس وإذا فيها مكتوب
قل لوال غادرته بعد بيني نادما ينعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين أعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنى فما يجديك طلاب أثر من بعد عين
ولئن جل ما عراك كما جل لدى المسلمين رزء الحسين
فقد اعتضت عنه فقها وحزنا والبيب الأريب يجزي ذين
فاغض من بعدها المطامع واعلم أن صيد الظباء ليس بهين



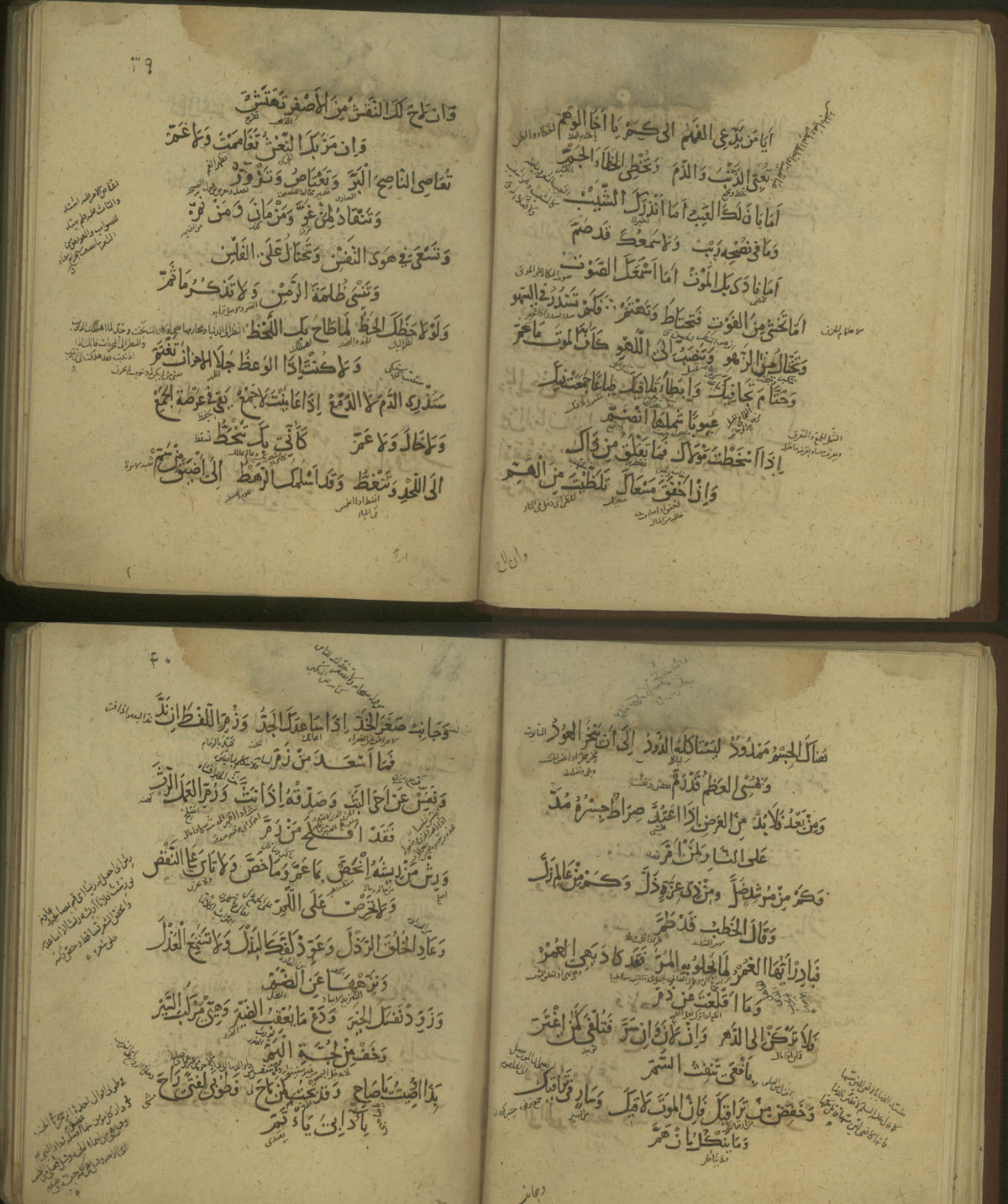
لا ولا كل طائر يلج الفخ ولو كان محكما بالحجين
فلكم من سعى ليصطاد فاصطيد ولم يلق غير خفي حنين
فتبصر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين
قال الراوي فعرفت وقعته شذر مذر ولم أبل أعذر أم غدر

المقامة الحادية عشرة

حكى الحارث بن همام قال آنست من قلبي القساوة حين حللت
ساوة فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور
فلما صرت إلى محلة الأموات وكفات الرفات رأيت
جمعا على قبر يحفر ومجنوز يقبر فانحزت إليهم متفكرا

في المآل ومتذكرا من درج من الآل فلما ألحدوا الميت
وفات قول ليت أشرف شيخ من رباوة متخصرا بهراوة
وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه فقال
لمثل هذا فليعمل العاملون فاذكروا أيها الغافلون
وشمروا أيها المقصرون وأحسنوا النظر أيها المبصرون
ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب ولا يهولكم هيل التراب
ولا تعبأون بنوازل الأحداث ولا تستعدون لنزول الأجداث
ولا تستعبرون لعين تدمع ولا تعتبرون بنعي يسمع ولا
ترتاعون لإلف يفقد ولا تلتاعون لمناحة تعقد يشيع
أحدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد
مواراة نسيبه وفكره في استخلاص نصيبه ويخلي بين

ودوده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده طالما أسيتم
على انثلام الحبة وتناسيتم اخترام الأحبة واستكنتم
لإعواز العلقة واستهنتم بانقراض الأسرة وضحكتم
عند الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن وتبخترتم خلف الجنائز
ولا تبختركم يوم قبض الجوائز وأعرضتم عن تعديد النوادب
إلى إعداد المآدب وعن حرق الثواكل إلى التأنق
في المآكل لا تبالون بمن هو بالك ولا تخطرون ذكر الموت
ببالكم حتى كأنكم قد ظلفتم من إلحاق حمام بذمام أو حصلتم
من الزمان على أمان أو وثقتم بسلامة الذات
أو تحققتم مسالمة هادم اللذات كلا ساء ما
تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون ثم أنشد



أيا من يدّعي الفهمَ إلى كم يا أخا الوهمِ
تعبّي الذنبَ والذمَّ وتخطي الخطأ الجمَّ
أما بان لك العيبُ أما أنذرك الشيبُ
وما في نصحه ريبٌ ولا سمعك قد صمَّ
أما نادى بك الموتُ أما أسمعك الصوتُ
أما تخشى من الفوت فتحتاطَ وتهتمَّ
فكم تسدر في السهو وتختال من الزهو
وتنصبّ إلى اللهو كأنّ الموت ما عمَّ
وحتّام تجافيك وإبطاء تلافيك
طباعًا جمعت فيك عيوبًا شملها انضمَّ
إذا أسخطت مولاك فما تقلق من ذاك
وإن أخفق مسعاك تلظّيت من الهمِّ

وان لاح

وإن لاح لك النقش من الأصفر تهتشُّ
وإن مرّ بك النعش تغاممت ولا غمَّ
تعاصي الناصحَ البرَّ وتعتاص وتزورُّ
وتنقاد لمن غرَّ ومن مانَ ومن نمَّ
وتسعى في هوى النفس وتحتال على الفلس
وتنسى ظلمة الرمس ولا تذكر ما ثَمَّ
ولو لاحظك الحظُّ لما طاح بك اللحظُ
ولا كنت إذا الوعظ جلا الأحزان تغتمُّ
ستذري الدم لا الدمع إذا عاينت لا جمعَ يقي في عرصة الجمع
ولا خالَ ولا عمَّ
كأنّي بك تنحطُّ إلى اللحد وتنغطُّ وقد أسلمك الرهطُ إلى أضيق من سمِّ

هناك الجسم ممدودٌ ليستأكله الدودُ إلى أن ينخر العودُ
ويمسي العظم قد رمَّ
ومن بعدُ فلا بدَّ من العرض إذا اعتُدَّ صراطٌ جسره مُدَّ
على النار لمن أمَّ
فكم من مرشدٍ ضلَّ ومن ذي عزةٍ ذلَّ وكم من عالمٍ زلَّ
وقال الخطب قد طمَّ
فبادر أيها الغمرُ لما يحلو به المرُّ فقد كاد يهي العمرُ
وما أقلعت عن ذمِّ
ولا تركن إلى الدهر وإن لان وإن سرَّ فتلفى كمن اغترَّ
بأفعى تنفث السمَّ
وخفّض من تراقيك فإنّ الموت لاقيك وسارٍ في تراقيك
وما ينكل إن همَّ

وجانب

وجانب صعر الخدّ إذا ساعدك الجدُّ وزمّ اللفظ إن ندَّ
فما أسعد من زمَّ
ونفّس عن أخي البثّ وصدّقه إذا نثَّ ورمّ العمل الرثَّ
فقد أفلح من رمَّ
ورِش من ريشه انحصَّ بما عمَّ وما خصَّ ولا تأس على النقص
ولا تحرص على اللمِّ
وعادِ الخلق الرذل وعوّد كفك البذل ولا تستمع العذل
ونزّهها عن الضمِّ
وزوّد نفسك الخير ودع ما يعقب الضير وهيّئ مركب السير
وخف من لجة اليمِّ
بذا أوصيت يا صاح وقد بحت كمن باح فطوبى لفتى راح
بآدابي يأتمُّ



ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الأسر وقد شدّ عليه جبائر المكر
با الكرّ متعرضا للاستماحة في معرض الوقاحة فما صلبت أولئك
الملأ حتى انتزع كُمّه وملء أكمّه وانحدر من الربوة جذلا
بالحبوة قال الراوي فجاذبته من ورائه حاشية ردائه فالتفت
إليّ مستسلما وواجهني مسلما فإذا هو أبو زيد بعينه ومينه
فقلت له إلى كم يا أبا زيد أفانين الكيد تقتنص بها الصيد
ولا تبالي بمن ذمّ فأجاب من غير استحياء ولا ارتياء وقال
تبصّر ودع اللوم وقل لي هل ترى اليوم فتى لا يقمر القوم
إذا ما دسته نمّ
فقلت له بعدا لك يا شيخ النار وزاملة العار فما مثلك
في طلاوة علانيتك وخبثة نيتك إلا مثل روث مفضض

اوكنيف

أو كنيف مبيّض ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين وانطلق
ذات الشمال وناوحت مهبّ الجنوب وناوح مهبّ الشمال

المقامة الثانية عشرة

حكى الحرث بن همام قال تحمّلت من العراق إلى الغوطة وأنا
ذو جُرد مربوطة وجِدة مغبوطة يلهيني خلوّ الذرع
ويزدهيني حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق الأنفس وإنضاء
الأعنس ألفيتها كما تصفها الألسن وفيها ما تشتهي الأنفس
وتلذ الأعين فشكرت يد النوى وجريت طلق الهوى
وطفقت أفتضّ بها أبكار الشهوات وأجتني قطوف اللذات
إلى أن شرع سفر في العراق وقد استفقت من الإغراق
فعادني عيد من تذكار الوطن والحنين إلى العطن فقوّضت

خيام الغيبة وأسرجت جواد الأوبة ولما تأهب الرفاق واستتب
الاتفاق أحجمنا عن المسير دون استصحاب الخفير فرُدناه من كل قبيلة
وأعملنا في تحصيله كل حيلة فأعوز وجدانه في الأحياء حتى خلنا
أنه ليس من الأحياء فحارت لعوزه عزوم السيارة فما زالوا بين عقد
وحلّ وشزر وسحل إلى أن نفد التناجي ويئس الراجي وكان بحذائهم
شخص ميسمه ميسم الشبان ولبوسه لبوس الرهبان وبيده سبحة
النسوان وفي عينه ترجمة النشوان وقد قيّد لحظه بالجمع وأرهف أذنه
لاستراق السمع فلما آنى نكفاؤهم وقد برح له خفاؤهم قال لهم
يا قوم ليفرخ كربكم وليأمن سربكم فسأخفركم بما يسرّ روعكم
ويبدّد الوعكم قال الراوي فاستطلعنا منه طلع الخفارة
وأثبتنا له الجعالة عن السفارة فزعم أنها كلمات لقنها

في المنام

في المنام ليحترس بها من كيد الأنام فجعل بعضنا يومض إلى بعض
ويقلّب طرفيه بين لحظ وغض وتبيّن له أنا استضعفنا الخبر
واستشعرنا الخور فقال ما لكم اتخذتم جدّي عبثا وجعلتم تبري خبثا
وايم الله لطالما جبت مخاوف الأقطار وولجت مقاحم الأخطار
ثم إني سأنفي ما رابكم وأستلّ الحذر الذي نابكم بأن
أوافقكم في البداوة وأرافقكم في السماوة فإن صدّقكم دعواي
فأجدّوا إسعادي وأسعدوا إجدائي وإن كذبكم فيّ فمزّقوا أديمي
وأريقوا دمي قال الحرث فألهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه
فنزعنا عن مجادلته واستهمنا على معادلته وفصمنا بقوله
عرى الريث وألغينا اتقاء العائث والعابث ولما علمت
الرحال وأزف الترحال استنزلنا كلماته الراقية لنجعلها

فقال ليقرأ كل منكم أم القرآن كلما أظل الملوان بعد قراءات
من الجان ثم ليقل بلسان خاضع وقلب خاشع اللهم
يا محيي الرفات ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات ويا كريم
المكافات ويا موئل العفاة ويا ولي العفو والمعافات
صل على محمد خاتم أنبيائك ومبلغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته
ومفاتيح نصرته وأعذني من نزغات الشياطين ونزوات
السلاطين وإعنات الباغين ومعاناة الطاغين ومعاداة
العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين وسلب السالبين
وحيل المحتالين وغيل المغتالين وأجرني اللهم
من جور المجاورين وسطوة الجائرين وكف عني أكف الضائمين
وأخرجني من ظلمات الظالمين وأدخلني برحمتك في عباد الصالحين

اللهم

٣

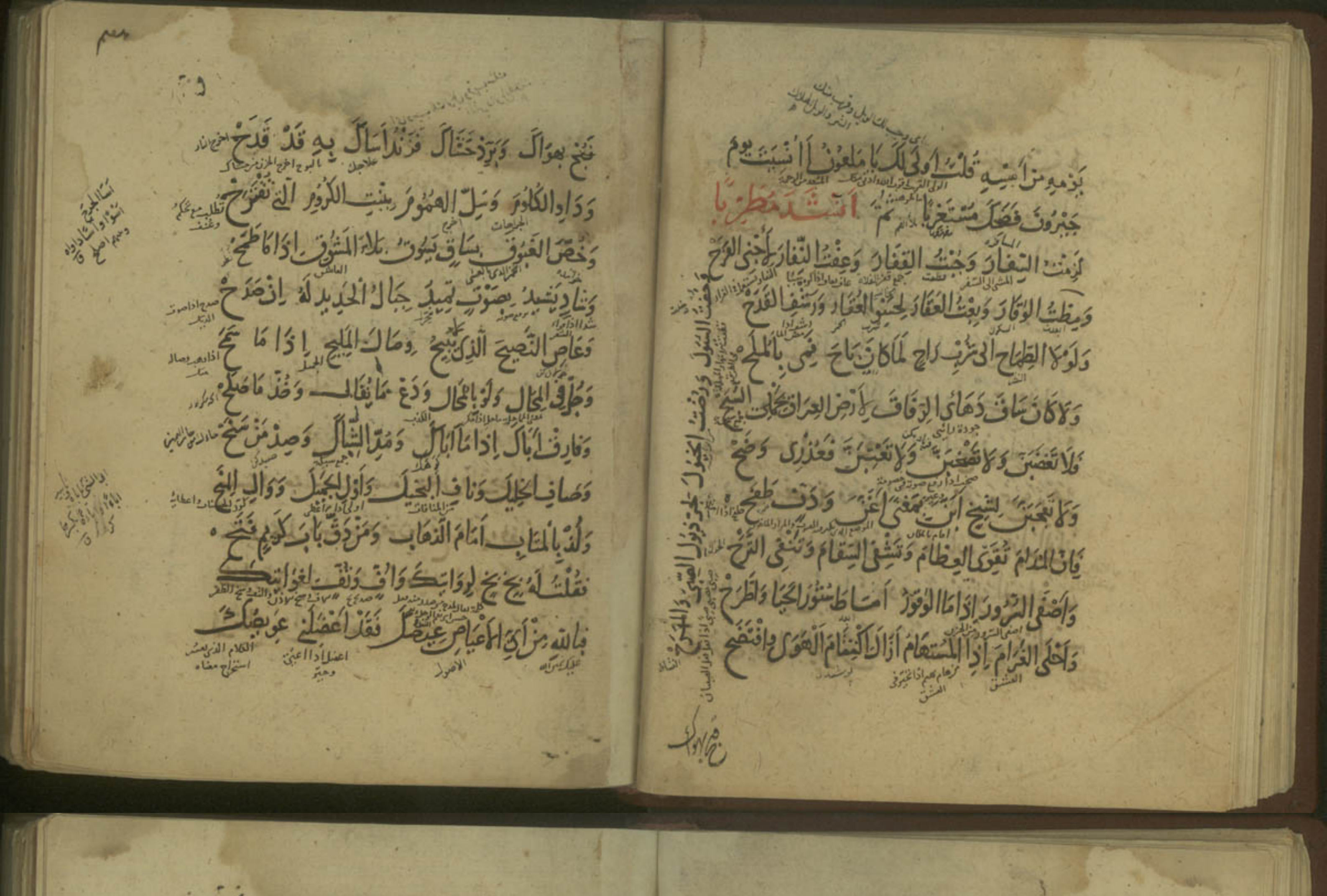
اللهم حطني في تربتي وغربتي وغيبتي وأوبتي ونجعتي
ورجعتي وتصرفي ومنصرفي وتقلبي ومنقلبي واحفظني في
نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي وعددي وعددي وسكني
ومسكني وحولي وحالي ومآلي ومالي ولا تلحق بي تغييرا
ولا تسلط علي لصا مغيرا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
اللهم احرسني بعينك وعونك واخصصني بأمنك ومنك
وتولني باختيارك وخيرك ولا تكلني إلى كلاءة غيرك وهب لي عافية
غير عافية وارزقني رفاهية غير واهية واكفني مخاوف
اللأواء واكنفني بغواشي الآلاء ولا تظفر بي أظفار الأعداء
إنك سميع الدعاء ثم أطرق لا يدير لحظا ولا يحير لفظا
حتى قلنا قد أبلسته خشية أو أخرسته غشية ثم أقنع

رأسه وصعد أنفاسه وقال أقسم بالسماء ذات الأبراج والأرض
ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج
والهواء والعجاج إنها لمن أيمن العوذ وأغنى عنكم من لابس الخوذ
من درسها عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب إلى الشفق
ومن ناجى بها طليعة الغسق أمن ليلته من السرق قال الراوي
فتلقفناها حتى أتقناها وتدارسناها لكي لا ننساها ثم سرنا
نزجي الحمولات بالدعوات لا بالحداة ونحمي الحمولات بالكلمات
لا بالكماة وصاحبنا يتعهدنا بالعشي والغداة ولا يستنجز
منا العداة حتى إذا أتينا أطلال عانة قال لنا الإعانة الإعانة
فأحضرناه المعلوم والمكتوم وأريناه المعلوم والمختوم و
قلنا له اقض ما أنت قاض فما تجد فينا غير راض فما استخفه

سوى الخف

٤

سوى الخف ولا حلي بعينه غير العين فاحتمل منهما وقره
وفارقنا بما يبس فقره ثم خالسنا مخالسة الطرار وانصلت
منا انصلات الفرار فأوحشنا فراقه وأدهشنا امراقه
ولم نزل ننشده بكل ناد ونستخبر عنه كل مغد وهاد إلى
أن قيل إنه مذ دخل عانة ما زايل الحانة فأغراني خبث هذا
القول بسبكه والانسلاك فيما لست من سلكه فادلجت
إلى الدسكرة في هيئة منكرة فإذا الشيخ في حلة ممصرة
بين دنان ومعصرة وحوله سقاة تبهر وشموع تزهر
وآس وعبهر ومزمار ومزهر وهو تارة يستبزل الدنان
وطورا يستنطق العيدان ودفعة يستنشق الريحان
وأخرى يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه وتفاوت



بزعمه من اشياعه قلت اولى لك يا ملعون أنسيت يوم جيرون فضحك مستغربا ثم انشد مطربا

لزمت السفار وجبت القفار وعفت النفار لأجني الفرح

وخضت السيول ورضت الخيول لجر ذيول الصبا والمرح

ومطت الوقار وبعت العقار لحسو العقار ورشف القدح

ولولا الطماح الى شرب راح لما كان باح فمي بالملح

ولا كان ساق دهائي الرفاق لأرض العراق بحمل السبح

فلا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن فعذري وضح

ولا تعجبن لشيخ أبن بمغنى أغن ودن طفح

فإن المدام تقوي العظام وتشفي السقام وتنفي الترح

وأصفى السرور إذا ما الوقور أماط ستور الحيا واطرح

وأحلى الغرام إذا المستهام أزال اكتتام الهوى وافتضح

تنخ بهواك وبرد حشاك فزند أساك به قد قدح

وداو الكلوم وسل الهموم ببنت الكروم التي تقترح

وخص الغبوق بساق يسوق بلاء المشوق إذا ما طمح

وشاد يشيد بصوت يبيد جبال الحديد له إن صدح

وعاص النصيح الذي لا يبيح وصال المليح إذا ما سمح

وجز في المجال ولو بالمحال ودع ما يقال وخذ ما ملح

وفارق أباك إذا ما أباك ومد الشباك وصد من سنح

وصاف الخليل وناف البخيل وأول الجميل ووال المنح

ولذ بالمتاب أمام الذهاب فمن دق باب كريم فتح

فقلت له بخ بخ لروايتك وأف وتف لغوايتك فبالله من أي الأعياص عيصك فقد أعضلني عويصك

فقال ما أحب أن أفصح عني ولكني سأكني

أنا أطروفة الزمان وأعجوبة الأمم

وأنا الحول الذي اختال في العرب والعجم

غير أني ابن حاجة هاضه الدهر واهتضم

وأبو صبية بدوا مثل لحم على وضم

وأخو العيلة المعيل إذا احتال لم يلم

قال الحرث فعرفت حينئذ أنه أبو زيد ذو الريب والعيب ومسود وجه الشيب عضلة العضل وأثخنا به من جايل الجبل وساءني عظم تمرده وقبح ترزده فقلت له بلسان الأنفة وإدلال المعرفة ألم يأن لك يا شيخنا أن تقلع عن الخنا فتنحى وزمجر وتنكر وفكر ثم

قال

قال إنها الليلة مراح لا ملاح ونعرة شرب راح لا إفلاج فعد عائدا إلى أن ثلاثي غدا فغادرته فرقا من عربدته لا تعلقا بعدته وبت ليلتي لابسا حداد الندم على خطى القدم إلى ابنة الكرم لا الكرم وعاهدت الله تعالى أن لا أحضر بعدها حانة نباذ ولو أعطيت ملك بغداذ وأن لا أشهد معصر الشراب ولو رددت على عصر الشباب ثم إنا رحلنا العيس وقت التغليس وخلينا بين الشيخين أبي زيد وإبليس

المقامة الثالثة عشرة

حكى الحرث بن همام قال تنديت بضواحي الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبار بغبار ولا يجري معهم ممار في مضمار فأفضنا في حديث يفضح الأزهار إلى أن نصفنا النهار

فلما غاض در الانكار وصبت النفوس الى الاوكار لمحت عجوزا
تقبل من البعد وتحضر احضار الجرد وقد استتلت
صبية انحف من المغازل واضعف من الجوازل فما كذبت
اذ رأتنا ان عرتنا حتى اذا ما حضرتنا قالت حيا الله المعارف
وان لم يكن معارف اعلموا يا مآل الآمل وثمال الارامل انى
من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل اهلى وبعلى
يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون
اليد فلما اردى الزمان الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد
وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين
وفقدت الراحة وصلد الزند ووهت اليمين وبانت
المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش الاخضر

داود

وازور المحبوب الاصفر واسود يومى الابيض وابيض
فودى الاسود حتى رثى لى العدو الازرق فحبذا الموت
الاحمر وتلوى من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره
قصوى بغية احدهم ثردة وقصارى منيته بردة وقد
كنت آليت ان لا ابذل الحر الا للحر ولو اننى مت من
الضر وقد ناجتنى القرونة بان توجد عندكم المعونة
وآذنتنى فراسة الحوباء بانكم ينابيع الحباء فنضر الله
امرءا ابر قسمى وصدق توسمى ونظر الىّ بعين يقذيها
الجمود ويقذيها الجود قال الحرث فهمنا لبراعة
عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك
فكيف الحامك فقالت نفجر الصخر ولا فخر فقلنا ان جعلتنا

من رواتك لم نبخل من مواساتك فقالت لاريتكم اولا شعاري
ثم لاورينكم اشعارى فابرزت ردن درع دريس
وبرزت برزة عجوز دردبيس وانشأت تقول

اشكو الى الله اشتكاء المريض ريب الزمان المتعدى البغيض
يا قوم انى من اناس غنوا دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة اعوزت فى السنة الشهباء روضا اريض
تشب للسارين نيرانهم ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا ولا لروع قال جريض
فغيضت منهم صروف الردى بحار جود لم اخلها تغيض
واودعت منهم بطون الثرى اسد التحامى واساة المريض

فحولى

فحملى بعد المطايا المطا وموطنى بعد اليفاع الحضيض
وافرخى ما تأتلى تشتكى بؤسا له فى كل يوم وميض
اذا دعا القانت فى ليله مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب فى عشه وجابر العظم الكسير المهيض
اتح لنا اللهم من عرضه من دنس الذم نقى رحيض
يطفى نار الجوع عنا ولو بمذقة من حازر او مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم ويغنم الشكر الطويل العريض
فوالذى تعنو النواصى له يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبد لى صفحة ولا تصديت لنظم القريض

قال الراوى فوالله لقد صدعت بابياتها اعشار القلوب
واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الاشياح

وارتياحٌ لرفدها من لم يخلُه براح فلما افعوعم جيبها تبرًا
وأولاها كلٌّ منّا برًّا تولّت يتلوها الأصاغر وفوها بالشكر فاغر
فاشرأبّت الجماعة بعد ممرّها إلى سبرها لتبلو مواقع برّها
فكفلتُ لهم باستنباط السرّ المرموز ونهضتُ أقفو أثر العجوز
حتى انتهت إلى سوقٍ مغتصّةٍ بالأنام مختصّةٍ بالزحام
فانغمست في الغُمار وامّلست من الصبية الأغمار ثم عاجت
بخلوّ بالٍ إلى مسجدٍ خالٍ فأماطت الجلباب ونضت النقاب
وأنا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ما ستبدي من
العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيّا أبي زيدٍ قد سفر
فهممت بأن أهجم عليه لأعنّفه على ما أجرى إليه فاستلقى
استلقاء المتمردين ثم رفع عقيرة المغرّدين وأنشأ يقول

يا ليت

يا ليت شعري أدهري أحاط علمًا بقدري
وهل درى كنه غوري في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنيه بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرفٍ عليهم وبنكر
أصطاد قومًا بوعظٍ وآخرين بشعر
وأستفزّ بخلٍّ عقلًا وعقلًا بخمر
وتارةً أنا صخرٌ وتارةً أخت صخر
ولو سلكت سبيلًا مألوفةً طول عمري
لخاب قدحي وقدحي ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هذا عذري فدونك عذري
قال الحارث فلما ظهرت على جليّة أمره وبديعة أمره وما

زخرف في شعره من عذره علمت أن شيطانه المريد لا يسمع
التفنيد ولا يفعل إلا ما يريد فثنيت إلى أصحابي عناني
وأطلعتهم على ما عناني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا
على حرمة العجائز

المقامة الرابعة عشر

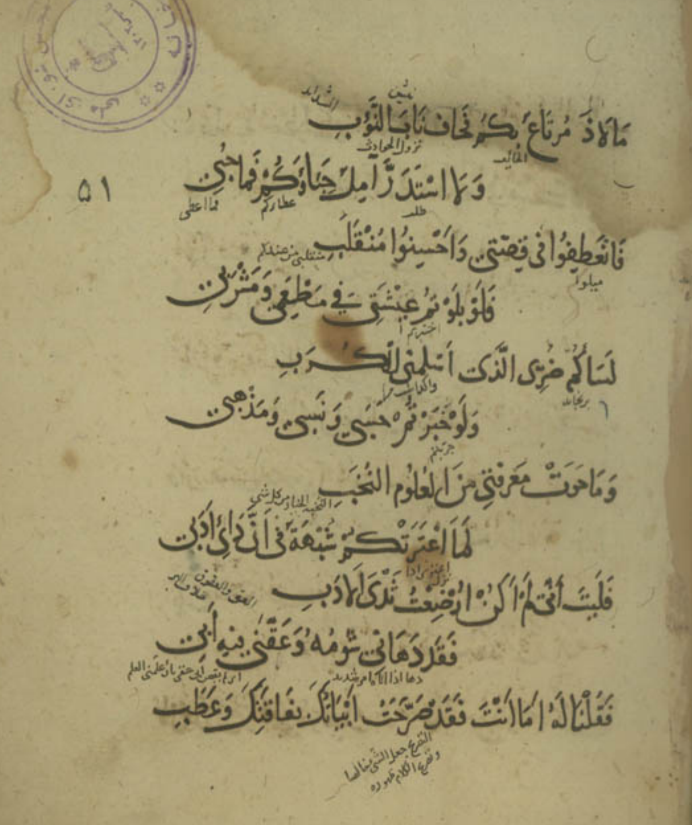
حكى الحارث بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة الإسلام
فلما قضيت بعون الله التفث واستبحت الطيب والرفث
صادف موسم الخيف معمعان الصيف فاستظهرت للضرورة
بما يقي حرّ الظهيرة فبينما أنا تحت طراف مع رفقة ظراف
وقد حمي وطيس الحصباء وأعشى الهجير عين الحرباء إذ هجم
علينا شيخ يتبعه فتى مترعرع فسلّم الشيخ
تسليم أديب أريب وحاور محاورة قريب لا غريب

فأعجبنا بما نثر من سمطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه
وقلنا له ما أنت وكيف ولجت وما استأذنت فقال
أما أنا فعافٍ وطالب إسعاف وسرّ ضرّي غير خاف
والنظر إليّ شفيعٌ لي كاف وأما الانتياب الذي علق
به الارتياب فما هو بعجاب إذ ما على الكرماء من حجاب
فسألناه أنّى اهتدى إلينا وبم استدلّ علينا فقال إن
للكرم نشرًا تنمّ نفحاته وترشد إلى روضه فوحاته فاستدللت
بأرج عرفكم على بلج عرفكم وبشّرني نضوع رندكم
بحسن المنقلب من عندكم فاستخبرناه حينئذٍ عن لبانته
لنكفل بإعانته فقال إن لي لبانةً ولفتاي مطلبًا
فقلنا كلا المرامين سيقضى وكلاكما سوف يرضى ولكن الكرم

الكبر فقال اجل ومن دجا الشيخ الغبر ثم وثب للمقال
كالمنشط من العقال شعر

إني امرؤ ابدعني بعد الوجى والتعب
وشقة شاسعة يقصر عنها خببي
وما معي خردلة مطبوعة من ذهب
فحيلتي منسدة وحيرتي تلعب بي
ان ارتحلت راجلا خفت دواعي العطب
وان تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي
فزفرتي في صعد وعبرتي في صبب
وانتم منتجع الراجي ومرمى الطلب
لكم منهل ولا انهلال السحب وجاركم في حرم ووفركم في حرب

تالاذ



ما لاذ مرتاع بكم فخاف ناب النوب
ولا استدر آمل حباءكم فما حبي
فانعطفوا في قصتي واحسنوا منقلبي
فلو بلوتم عيشتي في مطعمي ومشربي
لساءكم ضري الذي اسلمني للكرب
ولو خبرتم حسبي ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي من العلوم النخب
لما اعترتكم شبهة في انني ذو ادب
فليت امي لم اكن ارضعت ثدي الادب
فقد دهاني شؤمه وعقني بعد ابي
فقلنا له اما انت فقد صرحت ابياتك بفاقتك وعطب

نافتك فستعطيك ما يوصلك الى بلدك فاما ارينه ولدك
فقال قم يا بني كما قال ابوك وفه بما في نفسك لا فض
فوك فنهض نهوض البطل للبراز واصلت لسانا كالعضب
الجراز وانشا يقول

يا سادة في المعالي لهم مبان مشيده
ومن اذا ناب خطب قاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيده
اريد منكم شواء وجردقا وعصيده
فان غلا فرقاق به توارى الثريده
او لم يكن ذا ولا ذا فشبعة من ثريده
فان تعذر طرا فمجوة وهبيده فاخروا ما تشتهي ولو شظاظ قديده

ووجوه فنفسي لما يروح مريده
والزاد لا بد منه لرحلة لي بعيده
فانتم خير رهط تدعون عند الشديده
ايديكم كل يوم لها ايادٍ جديده
ولهم واصلات تشمل الصلات المفيده
وبغيتي في مطاوي ما ترفدون زهيده
وفي اجر وعقبى تنفيس كربي حميده
ولي نتائج فكر يفضحن كل قصيده
قال الحرث فلما راينا الشبل يشبه الاسد ارحلنا الوالد
وزودنا الولد فقابلا الصنع بشكر نشرا اردينه واذيا
له ديته ولما عزما على الانطلاق وعقد للرحلة حبك النطاق

قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب او بقيت
حاجة في نفس يعقوب فقال حاش لله وكلا بل جل معروفكم
وجلى فقلت له فدنا كما دناك وافدنا كما افدناك
اين الدويرة فقد ملكتنا فيك الحيرة فتنفس تنفس من
ادكر اوطانه وانشد والشهيق يلعثم لسانه

سروج داري ولكن كيف السبيل اليها
وقد اناخ الاعادي بها واخنوا عليها
فوالتي سرت ابغي حط الذنوب لديها
ما راق طرفي شيء مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع
فكره ان يستوكفها ولم يملك ان يكفكفها فقطع

انشاده المستحلى واوجز في الوداع وولى

المقامة الخامسة عشرة

اخبر الحرث بن همام قال ارقت ذات ليلة حالكة
الجلباب هامية الرباب ولا ارق صب طرد عن
الباب ومني بصد الاحباب فلم تزل الافكار يهجن
همي ويجلن في الوسواس وهمي حتى تمنيت لمضض ما عانيت
ان ارزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول الليلة الليلاء
فما انقضت منيتي ولا اغمضت مقلتي حتى قرع الباب
قارع له صوت خاشع فقلت في نفسي لعل غرس التمني
قد اثمر وليل الحظ قد اقمر فنهضت اليه عجلان
وقلت من الطارق الآن فقال غريب اجنه الليل

وغشيه السيل ويبتغي الايواء لا غير واذا اسحر قدم
السير فلما دل شعاعه على شمسه ونم عنوانه على
سر طرسه علمت ان مسامرته غنم ومساهرته نعم
ففتحت الباب بابتسام وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قد خنى
الدهر صعدته وبل القطر بردته فحيا بلسان عضب وبيان
عذب ثم شكر على تلبية صوته واعتذر من الطروق
في غير وقته فادنيته بالمصباح المتقد وتاملته تامل
المنتقد فالفيته شيخنا ابا زيد بلا ريب ولا رجم غيب فا
حللته محل من اظفرني بقصوى الطلب ونقلني من ودق
الكرب الى روح الطرب ثم اخذ يشكو الاين و
اخذت في كيف واين فقال ابلعني ريقي فقد اتعبني طريقي

فظننته مستبطئا نزح السغب متكاسلا لهذا السبب
فاحضرته ما يحضر للضيف المفاجي في الليل الداجي فانقبض
انقباض المحتشم واعرض اعراض البشم فسؤت ظنا بامتناعه
واحفظني حؤول طباعه حتى كدت اغلظ له في الكلام والسعه
بحمة الملام فتبين من لمحات ناظري ما خامر خاطري فقال يا
ضعيف الثقة باهل المقة عد عما اخطرته ببالك واستمع
الى [illegible] فقلت هات يا اخا الترهات فقال
اعلم اني بت البارحة حليف افلاس ونجي وسواس فلما قضى
الليل نحبه وغور الصبح شهبه غدوت وقت الاشراق
الى بعض الاسواق متصديا لصيد يسنح او ربح يسنح [illegible]
بها تمرا قد حسن تصفيفه واحسن تصنيفه يجمع على

التحقيق صنو الرحيق وتنور العقيق وتباً له لباء
قد برز كالابريز الأصفر وانجلى في اللون المزعفر
فهو يثني على طاهيه بلسان تباهيه ويصوب رأي
مشتريه ولو نقد حبة القلب فيه فأثرت الشهوة بلا
تسلطها واسلمتني العيمة الى سلطانها فبقيت أجير
من ضبة اذ هل من صبي لا وجد يوصلني الى نيل المراد
ولذة الازدراد ولا قدم تطاوعني على الذهاب
مع حرقة الالتهاب لكن حداني الغرم وجودته المتعر
وقررته على أن أتبع كالارض وأقنع من الورد بزجر
فلم أزل محاجة ذلك النهار أدلي دلوي الى أن انهار
وهي لا ترجع ببلة ولا تجلب نقع غلة الى أن صغت

الشمس

الشمس للغروب وضعفت النفس من اللغوب فوجدت
ببلد حركتي أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وبينما أنا أتبعي
وأقعد وأهب وأذكر اذ قابلني شيخ يتأوه آهة
الثكلان وعيناه تهملان فما شغلني ما أنا فيه من داء الذهب
والجوى المذيب عن تعلم مداخلته والطمع في مخايلته
فقلت يا هذا إن لبكائك سراً ووراء تحرقك شرا
فأطلعني على برحائك واجعلني من نصحائك فانك ستجدني
طباً آسياً أو عوناً مواسياً فقال والله ما تأوهي لعيش
فات ولا من دهر افتات بل لانقراض العلم وذويه
والنزل اقماره وشموسه فقلت وأي حادثة نجمت
وقضية استبهمت حتى هاجت لك الأسف على نقرتك

فأبرز رقعة من كمه وأقسم بأبيه وأمه لقد أنزلها بأعلام
المدارس فما امتازوا عن الأعلام الدوارس واستنطق
لها أخبار المحابر فخرسوا خرس سكان المقابر فقلت
أرنيها فلعلي أغنى فيها فقال ما أبعد منك المرام قرب
رمية من غير رام ثم ناولنيها فإذا المكتوب فيها
أيها العالم الفقيه الذي فاق ذكاء فما له من شبيه
أفتنا في قضية حار عنها كل قاض وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حر تقي من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها الحبر أخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها وحاز أخوها ما تبقى بالارث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا فهو نص لا خلف بين ذويه

فلما

فلما رأيت شعرها ولحت سرها قلت له على الخبير بها
سقطت وعند ابن بجدتها حططت الا انني مضطرم
الأحشاء ومضطر الى العشاء فأكرم مثواي ثم
استمع فتواي فقال لقد أنصفت في الاشتراط وتجانبت
عن الاشتطاط فصر بي الى مربعي لتظفر بما تبتغي
وتنقلب كما ينبغي قال فصاحبته الى ذراه كما
حكم الله فأدخلني بيتاً أحرج من التابوت وأوهن
من بيت العنكبوت الا أنه جبر ضيق ربعه بتوسعة
ذرعه فحكمني في القرى ومطالب ما يشترى فقلت
أريد أرزى ولكي علي أشهى مركوب وأنفع صاحب مع
أضر مصحوب فأفكر ساعة طويلة ثم قال لغلامه

فأنكر

تبغي بنت مخيلة مع لباء مخيلة فقلت أيّما غنيت
ولأجلهما تعنيت فنهض نشيطا ثم ربض متثبطا
وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق نباهة والكذب عاهة
فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء على
أن تلحى من مازن وتتخلق بالخلق الذي يجانب الإيمان فقد
تجوع الحرة ولا تأكل بثديها وتأبى الدنية ولو اضطرت
إليها ثم إني لست لك بزبون ولا أغضي على صفقة مغبون
وها أنا قد أنذرتك قبل أن ينهتك الستر وينعقد
بيننا الوتر فلا تلغ بدبر الإنذار وحذار من المكاذبة حذار
فقلت والذي حرّم أكل الربا وأحلّ أكل اللبا ما
فهت بزور ولا دلّيتك بغرور وستخبر حقيقة الأمر وتحمد

بذل

بذل اللباء والتمر فهشّ هشاشة المصدوق وانطلق
مغذّا إلى السوق فما كان بأسرع من أن أقبل بهما
يدلح ووجهه يكلح فوضعهما لديّ وضع [illegible]
عليّ وقال اضرب الجيش بالجيش تحظ بلذة العيش
فحرت عن ساعد النهم وحملت حملة الفيل الملتهم
وهو يلحظني كما يلحظ الحنق ويودّ من الغيظ لو اختنق
حتى إذا اهلقت البزعين وغادرتهما أثرا بعد عين اقورّت
حيرة في إطلال البيات وفكرة في جواب الأبيات فما
لبث أن قام وأحضر الدواة والأقلام وقال قد ملأت
الجراب فأمل الجواب وإلا فتهيأ إن نكلت للإغرام
ما أكلت فقلت ما عندي إلا التحقيق فاكتب وبالله التوفيق

قل لمن يلغز المسائل إني كاشف سرّها الذي تخفيه
إن ذاك الميت الذي قدّم الشرع أخا عرسه على ابن أبيه
رجل زوّج ابنه عن رضاه بحماة له ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه فجاءت بابن يسرّ ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى إلى الجدّ وأولى بإرثه من أخيه
فلذا حين مات أوجب للزوجة ثمن الميراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الأصل أخوها من أمها باقيه
وتخلّى الأخ الشقيق من الإرث وقلنا يكفيك أن تبكيه
هاك مني الفتيا التي يحتذيها كل قاض يقضي وكل فقيه
قال لي أهاك والليل قد شمّر الذيل وبادر السيل فقلت

اني

إني بدار غربة وفي إيوائي أفضل قربة ولا سيما وقد
أغدف جنح الظلام وبجّ الرعد في الغمام فقال
أعزب عافاك الله إلى حيث شئت ولا تطمع في أن تبيت
قلت ولم ذاك مع خلوّ ذراك فقال لأني أنعمت النظر
في التعامل ما حضر حتى لم تبق ولم تذر فرأيتك لا تنظر
في مصلحتك ولا تراعي حفظ صحتك ومن أمعن فيما أمعنت
وبطن ما بطنت لم تخلص من كظة مدنفة أو هيضة
متلفة فدعني بالله كفافا واخرج عني ما دمت معافى
فوالذي يحيي ويميت ما لك عندي مبيت فلما سمعت
أليّته وبلوت بليّته خرجت من بيته بالرغم وتزوّد
الغم تجود بي السماء وتخبط بي الظلماء وتنبحني الكلاب

وتتقاذفني الابواب حتى ساقني اليك لطف القضاء
فشكرا لليد البيضاء فقلت له اخبث بمقابلك
المتاح الى تلقي المزاح ثم اخذ يغنيني بحكاياته
ويثمط معجبا به مبكياته الى ان عطس انف الصباح
وهتف داعي الفلاح فاهب لاجابة الداعي ثم عطف
الى وداعي فعقبته عن انبعاثه وقلت الضيافة ثلاث
فناشد وخرج من ام الخروج وانشد اذ عرج
لا تزرن من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون اليه
قال الحارث فودعته بقلب دامي القرح و
وددت لو ان ليلتي بطينة الصبح . تمت

المقامة السادسة عشرة المغربية

حكى الحرث بن همام قال شهدت صلوة المغرب في بعض
مساجد المغرب فلما اديتها بفضلها وشفعتها بنفلها
اخذ طرفي رفقة قد انتبذوا ناحية وامتازوا
صافية وهم يتعاطون كاس المنافثة ويقتدحون
زناد المباحثة فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد
او ادب يستزاد فسعيت اليهم سعي المتطفل عليهم
وقلت لهم اتقبلون نزيلا يطلب جنى السمار لا جنى
الثمار ويبغي ملح الحوار لا ملحاء الحوار فحلوا لي الحبا
وقالوا مرحبا مرحبا فلم اجلس الا كلمحة بارق او خاطف
او نغبة طائر خائف حتى غشينا جواب على عاتقه جراب

فحيا بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين وقال يا اولي الالباب
والفضل اللباب اما تعلمون ان انفس القربات تنفيس الكربات
وامتن اسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات واني
ومن احلني ساحتكم واتاح لي استماحتكم لشريد محل
قاص وبريد صبية خماص فهل في الجماعة من يفثا عنا
حمى المجاعة فقالوا له يا هذا انك حضرت بعد العشاء
ولم يبق الا فضلات العشاء فان كنت بها قنوعا فما
تجد فينا ممنوعا فقال ان اخا الشدائد ليقنع بلفظات
الموائد ونفاضات المزاود فامر كل عبده بان يزوده
ما عنده فاستحسن الصنع وشكر عليه وجلس يرتقب
ما يحمل اليه وثنينا نحن الى استثارة ملح الادب

وعيونه واستنباط معينه من عيونه الى ان جلنا فيما
لا يستحيل بالانعكاس كقولك ساكب كاس فتداعينا
الى ان ننتج له الافكار ونفترع منه الابكار على
ان ينظم البادئ ثلث جمانات في عقده ثم تتدرج
الزيادة لمن بعده فيربع ذو يمينه في نظمه ويسبع
صاحب يسرته على رغمه قال الراوي وكنا
قد انتظمنا عدة اصابع الكف وتالفنا الفة اصحاب
الكهف فابتدر ليتظم عقدتي صاحب ميمنتي وقال
لم اخا مل وقال ميامنه كبر رجا اجر ربك
وقال الذي يليه من يرب اذا بر ينم
وقال الآخر سكت كل من نم لك تكس

وافضت النوبة الي وقد تعين نظم البسيط الرباعي
علي فلم يزل فكري يصوغ ويكسر ويثري ويعسر
وفي ضمن ذلك استطعم فلا اجد من يطعم الى ان ركد
النسيم وحصحص التسليم فقلت لاصحابي لو حضر
السروجي هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا لو انزلت
هذه باياس لامسك على ياس وجعلنا نفيض في استصعابها
واستغلاق بابها وذلك الضيف المعتزل يلحظنا لحظ المزدري
ويؤلف الدر ولا ندري فلما عثر على افتضاحنا ونضوب
ضحضاحنا قال يا قوم ان من العناء العظيم
استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق كل ذي علم عليم
ثم اقبل علي وقال سانوب منابك واكفيك

ما نابك

ما نابك فان شئت ان تنثر ولا تعثر فقل لمن ذم البخل
واكثر العذل لذ بكل مؤمل اذا لم ملم بك و
ان احببت ان تنظم فقل للذي تعظم شعر
أس ارملا اذا عرى وارع اذا المرء اسا
اسند اخا نباهة ابن اخاء دنسا
اسل جناب غاشم مشاغب ان جلسا
اسر اذا هب مرا ارم به اذا رسا
اسكن تقو فعسى يسعف وقت نكسا
قال فلما سحرنا بآياته وحيرنا ببعد غاياته مدحناه
حتى استعفى ومنحناه الى ان استكفى ثم شمر
ثيابه وازدفر جرابه ونهض ينشد

لله در عصابة صدقوا المقال مقاولا
فاقوا الانام فضائلا مأثورة وفواضلا
حاورتهم فوجدت سحبانا لديهم باقلا
وحللت فيهم سائلا فوجدت جودا سائلا
اقسمت لو كان الكرام حيا لكانوا وابلا
ثم خطا قيد رمح وعاد مستعيذا من الحين وقال
يا عز من عدم الآل وكثر من سلب المال
ان الغاسق قد وقب ووجه المحجة قد انتقب وبيني
وبين كني لبد دامس وطريق طامس فهل من
مصباح يؤمنني العثار ويبين لي الآثار فلما جئنا
بالملتمس وجلى الوجوه ضوء القبس صاحب صيدنا هو

ابو زيد

فقلت لاصحابي هذا الذي اشرت الا انه اذا نطق
اصاب واذا استمطر صاب فاتلعوا نحوه الاعناق
واحدقوا به الاحداق وسالوه ان يسامرهم ليلته
على ان يجبروا عيلته فقال حبا لما احببتم ورحبا بكم
اذ رحبتم غير اني قصدت نكرو اطفالي يتضورون
من الجوع ويدعون لي بوشك الرجوع وان بت اتوني خارهم
الطين ولم يصفهم العيش فدعوني لاذهب فاسد
مخمصتهم واسيغ غصتهم ثم انقلب اليكم على
الاثر متاهبا للسمر الى السحر فقلنا لاحد الغلمة اتبعه
الى فيئته ليكون اسرع لفيئته فانطلق معه مضطبنا
جرابه ومحثحثا ايابه فابطأ ابطاء جاوز حده ثم

عاد الغلام وحده فقلنا ما عندك من الحديث عن الخبيث
فقال أخذني في طرق متعبة وسبل متشعبة حتى
أفضينا إلى دويرة خربة فقال ها هنا مناخي ووكر أفراخي
ثم استفتح بابه واختلج من جرابه وقال لعمري لقد خففت
عني واستوجبت الحسنى مني فهاك نصيحة هي من
نفائس النصائح ومغارس المصالح **وأنشد**

إذا ما حويت جنى نخلة ... فلا تقربنها إلى قابل
ولا تلبثن إذا ما لقطت ... فتنشب في كفة الحابل
وإن ما سقطت على بيدر ... فحوصل من السنبل الحاصل
ولا توغلن متى ما سبحت ... فإن السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف ... وبع آجلا منك بالعاجل

ولا تكثرن على صاحب ... فما مل قط سوى الواصل

ثم قال اخزنها في تامورك واقتد بها في أمورك وبادر
إلى صحبك في كلاءة ربك فإذا أبلغتهم فأبلغهم تحيتي
واتل عليهم وصيتي وقل لهم إن السمر في الخرافات
لمن أعظم الآفات ولست ألغي احتراسي ولا أجلب
الهوس إلى رأسي **قال** الراوي فلما وقفنا من فحوى شعره على
نكره ومكره تلاومنا على تركه والاغترار بإفكه
ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

المقالة السابعة عشرة وتعرف بالقهقرية

حدث الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين
ومطامح العين فتية عليهم سيماء الحجى وطلاوة

نجوم الدجى وهم في مماراة مشتدة الهبوب ومباراة مشتطة
الألهوب فعرتني لقصدهم هوى المحاضرة واستحلاء مجنى
المناظرة فلما التحقت بوقطهم وانتظمت في سمطهم
قالوا أأنت ممن يبلي في الهيجاء ويدلي دلوه في الدلاء
بل أنا من نظارة الحرب لا من أبناء الطعن والضرب فاضربوا
عن عجاجي وأفاضوا في التحاجي وكان في بحبوحة حلقتهم و
إكليل دفيتهم شيخ قد برته الهموم ولوحته السموم
حتى عاد أنحل من قلم وأنحل من حلم إلا أنه كان يبدك
العجاب إذا أجاب ويبتني مجهان كلما أبان
فأعجبت بما أوتي من الإصابة والتبريز على تلك
العصابة وما زال يفضح كل معمى ويصمي في كل مرمى

إلى أن خلت الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما رأى انفضاض
القوم واضطرارهم إلى القوم عرض بالمطارحة واستأذن
في المفاتحة فقالوا له حبذا ومن لنا بذا فقال
أتعرفون رسالة أرضها سماؤها وصبحها مساؤها نسجت
على منوالين وتجلت في لونين وصلت إلى جهتين وبدت
ذات وجهين إن بزغت من شرقها فناهيك برونقها
وإن طلعت من مغربها فيا لعجبها قال فكأن القوم رموا
بالصمات وحقت عليهم كلمة الإنصات فما نبس منهم
إنسان ولا فاه لهم لسان فحين رآهم بكما كالأنعام
وصموا كالأصنام قال لهم قد أجلتكم أجل العدة
وأرخيت لكم طول المدة ثم ها هنا مجمع الشمل وموقف الفصل

فان سمحت خواطركم مدحنا وان صلدت زنادكم قدحنا

فقالوا له والله ما لنا في لجة هذا البحر مسبح ولا في ساحله

مسرح فأرح افكارنا من الكد وهبنا العطية

بالنقد واتخذنا اخوانا يتبعون اذا اوثبت ويثبتون

متى استثبت فاطرق ساعة ثم قال سمعا وطاعة

فاستملوا مني واتقوا عني الانسان صنيعة الاحسان ورب

الجميل فعل الندب وشيمة الحر ذخيرة الحمد و

كسب الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر

واستعمال المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبة

يقتضي النصح وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة

المنطق سحر الالباب وشرك الهوى آفة النفوس وملك

الخلايق آفة الخلايق وسوء الطمع يباين الورع والتزام

الحزامة زمام السلامة وتطلب المثالب شر المعايب

وتتبع العثرات يمحق المودات وخلوص النية خلاصة

العطية وتهنية النوال ثمن السؤال وتكلف الكلف

يسهل الخلف وتقل المعونة يسني المؤونة وفضل

الصدر سعة الصدر وزينة الرعاة مقت السعاة وجزاء

المدائح بث المنائح ومهر الوسائل تشفيع المسائل ومجلبة

الغواية استغراق الغاية وتجاوز الحد يكل الحد وتعلك

الادب يحبط القرب وتناسي الحقوق ينشي العقوق

وتحاشي الريب يرفع الرتب وارتفاع الاخطار باقتحام

الاخطار وتنوه الاقدار بمواتاة الاقدار وشرف الاعمال

في تعصية الآمال واطالة الفكرة تنقح الحكمة وراس

الرياسة تهذيب السياسة ومع اللجاجة تلغى الحاجة

وعند الانجاح تتفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت

القيم وبتزيد السفير يهن التدبير وبخلل الاحوال

تتبين الاهوال وبموجب الصبر ثمرة النصر واستحقاق الاحماد

بحسب الاجتهاد ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة

وصفاء الموالي بتعهد الموالي وتحلي المروات بحفظ الامانات

واختبار الاخوان تخفيف الاحزان ودفع الاعدا بكف

الاوداء وامتحان العقلاء بمفارقة الجهلاء وبتر العواقب

يومن المعاطب واتقاء الشنعة بنشر السمعة وقبح الجفاء

ينافي الوفاء وجوهر الاحرار عند الاسرار ثم قال هذه

ما بينا الفظة تحتوي على ادب وعظة فمن ساتها هذا

المساق فلا مرا ولا شقاق ومن رام على قالبها وان يحكي

على عقبها فليقل السر عند الاحرار وجوهر الوفا ينافي

الجفاء وقبح السمعة بنشر الشنعة ثم على هذا المنحب

فليسحبها ولا يوهبنها حتى تكون خاتمة فقرها وآخرة

دررها ورب الاحسان صنيعة الانسان قال الراوي

فلما صدع برسالته الفريدة وملوحته المفيدة علمنا كيف

يتفاضل الانشا وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ثم

اعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة من نيله فابى قبول

فلذتي وقال لست ابزاء تلامذتي فعلقت له كنت

ابا زيد على تحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال

أناهو على نحولي وقحولي وقشف محولي فأخذت في تمزيبه على تشريقه وتغريبه فخولق واسترجع ثم أنشد من قلب موجع

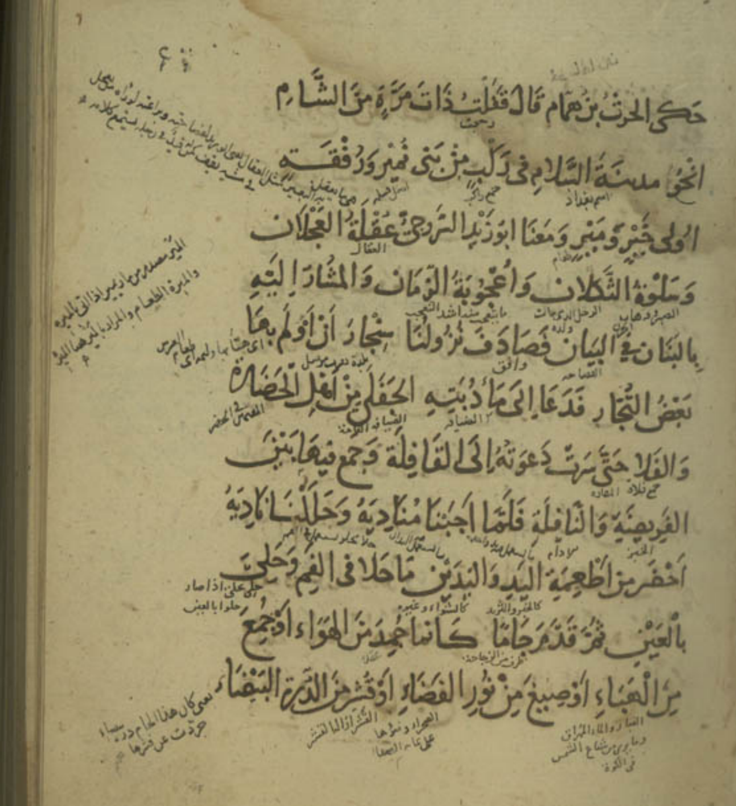
وأنشد

سل الزمان على عضبه ليروعني وأحدّ غربه
واستل من جفني كراه مراغماً وأسال غربه
وأجالني في الأفق أطوي شرقه وأجوب غربه
فبكل جو طلعة في كل يوم لي وغربه
وكذا المغرب شخصه متغرب ونواه غربه

ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن بين متلفت إليه ومتهافت عليه ثم لم نلبث أن حللنا الحبى وتفرقنا أيادي سبا

المقامة الثامنة عشرة السنجارية

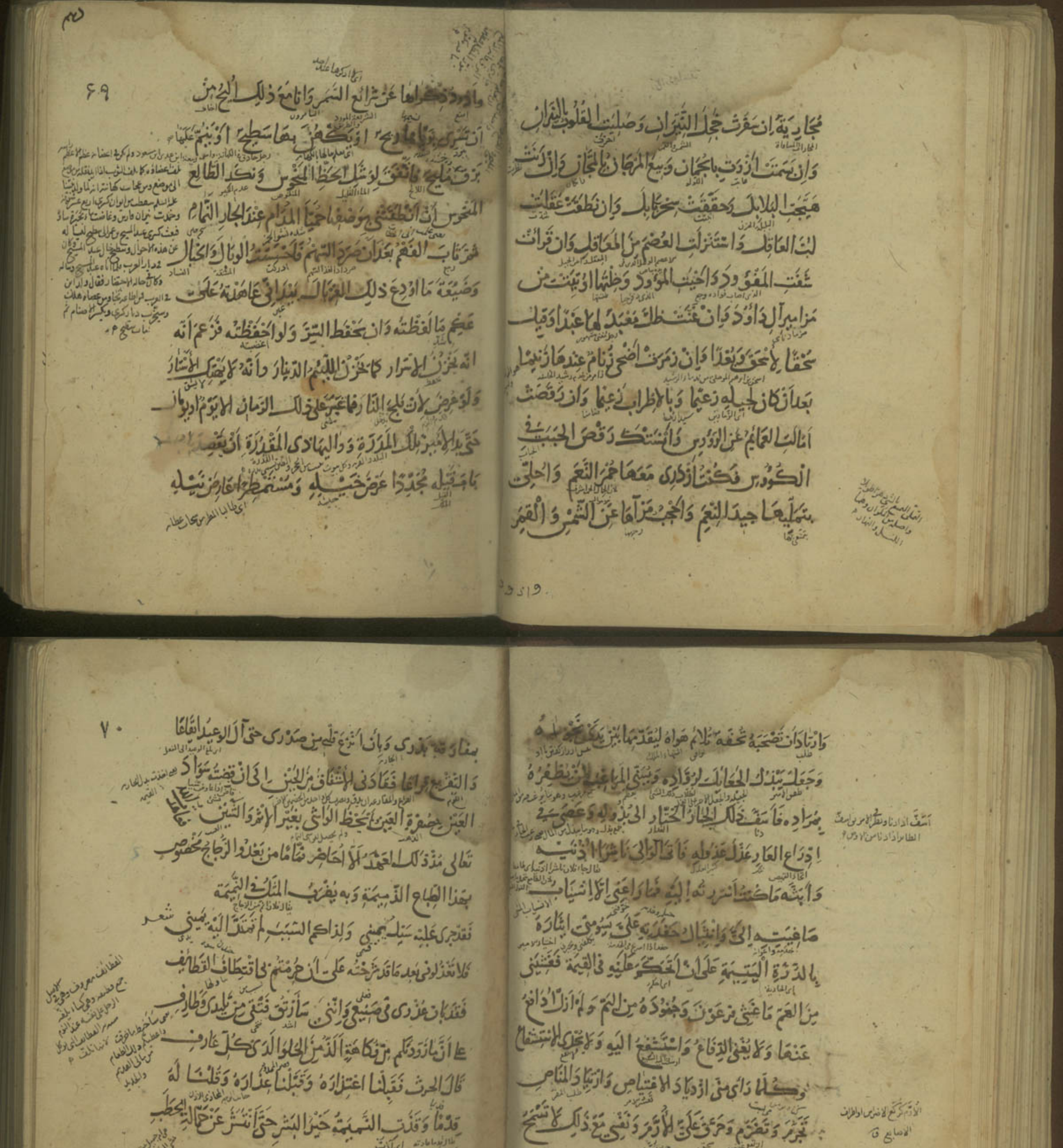
حكى



حكى الحرث بن همام قال قفلت ذات مرة من الشام
انحو مدينة السلام في ركب من بني نمير ورفقة
أولي خير ومير ومعنا ابو زيد السروجي عقلة العجلان
وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار إليه
بالبنان في البيان فصادف نزولنا سنجار أن أولم بها
بعض التجار فدعا إلى مأدبته الجفلى من أهل الحضارة
والفلا حتى سرت دعوته إلى القافلة وجمع فيها بين
الفريضة والنافلة فلما أجبنا مناديه وحللنا ناديه
أحضر من أطعمة اليد والبدين ما حلا في الفم وحلي
بالعين ثم قدم جاماً كأنما جمد من الهواء أو جمع
من الهباء أو صيغ من نور الفضاء أو قشر من الدرة البيضاء

وقد أودع من لقائف النعيم وضمخ بالطيب العميم
وسبق إليه ترب من تسنيم وسفر عن مرأى وسيم و
أرج نسيم فلما اضطرمت لمحضره الشهوات وقرمت لمخبره اللهوات وشارف أن تشن على تربه الغارات
وتنادى عند نهبه بالثارات نفر أبو زيد كالمجنون وتباعد
عنه تباعد الضب من النون فراودناه على أن يعود وألا
يكون كقدار في ثمود فقال والذي يبشر الأموات من
الرجام لا عدت دون رفع الجام فلم نجد بداً من تألفه وإبرار
حلفه فأشلناه والدموع عليه سائلة والعقول معه
شائلة فلما فاء إلى مجثمه وخلص من مأثمه سألناه
لم قام ولأي معنى استرفع الجام فقال إن الزجاج نمام

وإني آليت منذ أعوام ألا يضمني وغموماً مقام قلنا
وما سبب يمينك الحرية واليك الحري قال كان لي
جار لسانه يتقرب وقلبه عقرب ولفظه شهد ينقع
وجنانه سم منقع فملت لمجاورته إلى محاورته
واغتررت بمكاشرته في معاشرته واستهوتني
خضرة دمنته لمنادمته وأغرتني خدعة سمته
بمناسمته فمازجته وعندي أنه جار مكاسر فبان أنه
عقاب كاسر وآنسته على أنه حب مؤانس فوضح
أنه حباب موالس ومالحته ولا أعلم أنه عند نقده
ممن يفرح بفقده وعاقرته ولم أدر أنه بعد فقره
ممن يطرب بعقره وكان عندي جارية لا يوجد لها في الكمال



مجاريةً ان عرضت خجّلت النيّرين وصليت القلوب بالنيران
وان تبسّمت أزرت بالجمان وبيع المرجان بالمجّان وان رنت
هيّجت البلابل وحقّقت سحر بابل وان نطقت عقلت
لبّ العاقل واستنزلت العُصم من المعاقل وان قرأت
شفت المفؤود وأحيت الموؤود وخلتها أوتيت من
مزامير آل داود وان غنّت [illegible] معبدٌ لها عبداً وقيل
سحقاً لإسحق وبعداً وان زمرت أضحى زُنامٌ عندها زنيماً
بعد أن كان لجيله زعيماً وبالإطراب زعيماً وان رقصت
أمالت العمائم عن الرؤوس وأنستك رقص الحبب في
الكؤوس فكنت أزدري معها حُمر النعم وأحلف
بتمليّها جيد النعم وأُجلّ مرآها عن الشمس والقمر

وأودّ ذكرها عن شرائع السمر وأنا مع ذلك ألحّ من
أن تُشرى بما رُبح أو يتكهّن بها سطيح أو ينمّ عليها
برقٌ مليح ما اتّفق لوشل الحظّ المنحوس ونكد الطالع
المنحوس أن أنطقتني بوصفها حُميّا المدام عند الجار النمّام
ثمّ ثاب الفهم بعد أن صرد السهم فلحقتني الوبال والخبال
وضيعة ما أودع ذلك الغربال ببدار في عاهته علّه
عقيم ما لفظته وإن يحفظ السرّ ولو أحفظته فزعم أنّه
إنّه يخزن الأسرار كما يخزن اللئيم الدينار وإنّه لا يهتك الأستار
ولو عرض لأن يلج النار فما عبر على ذلك الزمان إلا يوم أو يومان
حتى بدا الخبر بتلك المدرة والهادي المقدرة أن يقصد
[illegible] مجدّداً عرض حبله ومستمطراً عارض نبله

وارتاد أن تصحبه تحفة تلائم هواه ليقدّمها بين يدي نجواه
وجعل يبذل الجعائل لروّاده ويبتغي المراغب لمن يظفره
بمراده فأسف ذلك الجار الختّار إلى بذوله وعصى في
إدراع العار عذل عذوله فأتى الوالي ناشراً أذنيه
وأنبأه ما كنت أسررته إليه فما راعني إلا انسياب
صافيته إليّ وانثيال حفدته عليّ يسومني إثارة
بالدرّة اليتيمة على أن أحكّمه في القيمة فغشيني
من الغمّ ما غشي فرعون وجنوده من اليمّ ولم أزل أدافع
عنها ولا يغني الدفاع وأستشفع إليه ولا يجدي الاستشفاع
وكلّما رأى منّي ازدياد الاعتياص وارتياد المناص
تجرّم وتضرّم وحرّق عليّ الأرّم ونعى مع ذلك لا تسمح

بمفارقة بدرك وبأن انتزع قلبي من صدري حتى آل الوعيد إيقاعاً
والتقريع قراعاً فقادني الإشفاق من الحين إلى أن قضت سواد
العين بحمرة العين لحظ الواشي بغير الأثر والشين
تعالى منذ ذلك العهد إلا أحاضر ثماماً من بعد والزجاج مخصوص
بهذا الطباع الذميمة وبه يضرب المثل في النميمة

شعر

فقد جرى عليه سيل يميني ولذاكم السبب لم تمتدّ إليه يميني
فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته على أن حرمتم بي اقتطاف القطائف
فقد بان عذري في صنيعي وإنّني سأرتق فتقي من تليدي وطارفي
على أنّ ما أوردتكم من فكاهة ألذّ من الحلوى لدى كلّ عارف

قال الحرث فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا له
قدماً وقذت النميمة خير البشر حتى أنثر عن حمّالة الحطب

ما انتشر ثم سألناه عما أحدث جارة الفتاة ودخلة
المقتات بعد أن رأى له نبل السعاية وجذم حبل الرعاية
فقال أخذت في الاستخذاء والاستكانة والاستشفاع إليه بذوي
المكانة وكنت حرجت على نفسي أن يراجعه إنسي أو يوجع
إليه أمسي فلم يكن له مني سوى الرد والإصرار على الصد وهو
لا يكتئب من النجه ولا ينيب من وقاحة الوجه بل يلظّ بالوسائل
ويلح في المسائل فما أنقذني من إبرامه ولا أبعده عني بكثرة إلامه
إلا أبيات نفث بها الصدر الموتور والخاطر المبتور فإنها
كانت مدحرة الشيطان ومجنة له في أوطانه وعند انتشارها
بتطلاق الحبور ودعا بالويل والثبور وأيس من نشر وطي
المقبور كما يئس الكفار من أصحاب القبور فاستنشدناه

أن ينشد إياها ويتشفنا رياها فقال أجل خلق الإنسان
من عجل ثم أنشد لا بزوبه خجل ولا يشيبه وجل

ولئيم محضته صدق ودي إذ توهمته صديقا حميما
ثم أوليته قطيعة قال حين ألفيته صديدا حميما
خلته قبل أن أجرب ألفا ذا ذمام فبان جلفا ذميما
وتخيرته كليما فأمسى منه قلبي بما جناه كليما
وتظنيته معينا رحيما فتبينته لعينا رجيما
وترائيته مريدا فخلى عنه يبكي له مريدا لئيما
وتوسمت أن يهب نسيما فأبى أن يهب إلا سموما
بت من لسعه الذي أعجز الراقي سليما وبات مني سليما
وبدا نجمه غداة افترقنا مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رابعا خصيبا ولكن كان بالشؤم رابعا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته كان عديما ولم يكن لي نديما
بغض الصبح حين نم إلى قلبي لأن الصباح يلفي نموما
ودعاني إلى هوى الليل إذ كان سواد الدجى رقيبا كتوما
وكفى من يشي ولو فاه بالصدق أثاما فيا أثاه ولوما

قال فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه واستملح تقريضه
وسبعه بوأه بها دكولته وصدره على نمرقته واستحضر
عشر صحاف من الغرب فيها حلواء القند والضرب قال لا يستوي
أصحاب النار وأصحاب الجنة ولا يسع أن يجعل البري كذي الظنة
وهذه الآنية تنزل منزلة الأبرار في صون الأسرار فلا تولها الإبعاد
ولا تلحق هودا بعاد ثم أمر خادمه بنقلها إلى مثواه ليحكم

فيها بما يهواه ثم أقبل علينا أبو زيد وقال اقرؤوا سورة الفتح و
ابشروا باندمال القرح فقد جبر الله ثلمكم وسنى أكلكم
وجمع في ظل الحلواء شملكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير
لكم ولما هم بالانصراف مال إلى استهداء الصحاف
وقال للآدب إن من دلائل الظرف سماحة المهدي
بالظرف فقال كلاهما والغلام فاحتزف الكلام وانهض الغلام
فوثب في الجواب وشكره شكر الروض للسحاب ثم اقتادنا
أبو زيد إلى حوانه وحكمنا في حلوائه وجعل يقلب الأواني بيده
وينفض عددها على عدده ثم قال لست أدري أتشكروا
ذلك التمام أم أشكر ولستم ناسين فعلته التي فعلها أم
أذكر فإنه وإن كان أسلف الجريمة ونغص التهجمة



فمن غنيمة انحلت هذه الديمة وبسيفه انحازت هذه الغنيمة
وقد خطر ببالي ان ازجي الى اشبالي واقنع بما تسنّى لي
ولا اتعب نفسي ولا جمالي وانا اودعكم وداع محافظ
واستودعكم خير حافظ ثم انثنى على راحلته راجعا
في حافرته وولّى بالي ذاهبته فغادرنا بعد ان ودعت
عشته وبان لنا انه كان يستشف صدره اذ ليل اقل بدره

المقامة التاسعة عشرة

حكى الحارث بن همام قال نحلت العراق ذات العويم لاختلاف
انواء الغيم وحدثت الركبان بريف نصيبين وبلهنية
اهلها المخصبين فاستقدت مهريا واعتقلت سمهريا
وسرت تلفظني ارض الى ارض ويخدني نجع من خفض

٧٣

حتى بلغتها بعضا على بعض فلما الفيت مغناها المخصب
وضربت في مرعاها بنصيب نويت ان القي بها جراني
واتخذ اهلها جيراني الى ان تتحسى السنة الجلاء وتتعاهد
ارض قومي العهاد فوالله ما قضضت مقلتي نومها ولا
قضيت ليلتي عن يومها دون ان الفيت بها ابا زيد
السروجي يجول في ارجاء نصيبين ويخبط بها خبط المائن
والمصيبين وعويشه من فيه الدرر ويختلب بجفه الدرر
فوجدت جمادى قد حاز مغنما وقد حال الغنى قد صار
ثم انا ولا ازال انبع ظله اينما انبعث والتقط لفظه
كلما نفث الى ان غراه مرض امتد مداه وعرقته مداه
حتى كاد يسلبه ثوب الحياة ويسلمه الى ابي يحيى

لفوت لقياه وانقطاع سقياه ما يجده المتعذر عن مزابه
والمرضع عند فطامه ثم ارجف بان رهنه قد غلق
وخلب الحمام به قد علق فقلق صحبه لارجاف المرجفين
وانثالوا الى عقوته موجفين

شعر

حيارى تسيل بهم نجبهم كانهم ارتضعوا الخندريسا
اسالوا الغروب وعطوا الجيوب وصكوا الخدود وجزوا الرؤوسا
يودون لو سالمته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا

قال الراوي وكنت ممن انتقب اصحابه واغتدى الى بابه
فلما انتهينا الى فنائه وتصدينا لاستنشاء انبائه
برز الينا فتاه مفترة شفتاه فاستطلعناه طلع الشيخ
في شكاته وكنه قوى حركاته فقال كان في قبضة المرضة

٧٤

حركة الوعكة الى ان شفه الدنف واستشفه
التلف ثم من الله بتقوية ذمائه فافاق من اغمائه فارجعوا
دراجكم وانضوا انزعاجكم فانه قد غدا اوراح وسار
...اح فاغتبطنا ببشراه واقترحنا ان نراه فدخل يؤذنا به ثم
خرج آذنا لنا فلقينا منه لقى ولسانا طلقا وجلسنا تجاه
سريره محدقين الى اساريره فقلب طرفه في الجماعة ثم
قال اجتلوها بنت الساعة

شعر

عافاني الله وشكرا له من علة كادت تعفيني
ومن بالبرء على انه لا بد من حتف سيبريني
لا ينتسي بابى ولكنه الى تقضي الاكل يغشيني
ان حم لم يغن جمير ولا حي كليب منه يحميني

وما أبالي أدنا يومه أم أخو الحين إلى حين
وأي فخر في حبوة أرى فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الأجل وارتداد الوجل ثم
تداعينا إلى القيام لاتقاء الإبرام فقال كلا ابل البواخ
يومكم عندي لتشفوا بالمفاكهة وجدي فإن مساجاتكم
قوت نفسي ومغناطيس أنسي فتحرينا مرضاته وتحامينا
وأقبلنا على الحديث نمخض زبده ونلغي زبده إلى أن حان و
قت المقيل وكلت الألسن من القال والقيل وكان يوما
حامي الوديقة يانع الحديقة فقال إن النعاس قد مال
بالأعناق وراود الآماق وهو خصم ألد وخطب لا يرد فصلوا
حبله بالقيلولة واقتدوا فيه بالآثار المنقولة قال الراوي

فاتبعنا ما قال وقلنا وقال فضرب الله على الآذان و
أفرغ السنة في الأجفان حتى خرجنا من حكم الوجود وحرفنا
بالهجود عن السجود فما استيقظنا إلا والحر قد باخ و
اليوم قد شاخ فتكرهنا الصلوة العجماوين وأدينا ما حل
من الدين ثم تحثحثنا للارتحال إلى ملقى الرحال
فالتفت أبو زيد إلى شبله وكان على شاكلته وشكله
وقال إني لأخال أبا عمرة تداضرم في أحشائهم الجمرة
فاستدع أبا جابر فإنه بشرى كل جائع وأردفه بأبي نعيم
الصابر على كل ضيم ثم عززه بأبي حبيب المحبب إلى كل
لبيب المقلب بين تحريق وتعذيب واهتف بابن
ثقيف فحبذا هو من أليف وهلم بابن عوف فما مثله

من عوف ولو استحضرت أبا جميل لجمل أي تجميل
وحي هل بأم القرى المذكرة بكسرى ولا تنس أبا الفرج
ثم أفتك بها ولا حرج واختم بابن رزين فهو مسلاة كل حزين
وإن تعرفت به أبا العلاء تمح اسمك من البخلاء وإياك
واستدناء المرجفين بل استقلال حول البين وإذا نزع
القوم عن المراس وصافحوا أبا إياس فأطف عليهم أبا
النرد فإنه عنوان البرد قال الراوي ففقه ابنه
لطائف رموزه بلطافة تمييزه فطاف علينا بالطيبات
والطيب إلى أن آذنت الشمس بالمغيب فلما أجمعنا على
التوديع قلنا له ألم تر أن هذا اليوم البديع كيف
بدا صبحه قمطريرا ثم لاح مسيه مستنيرا فتجد

حتى أطال ثم تهانف
ناسه وقال

لا تيأسن عند النوب — من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هب ثم — جرى نسيما وانقلب
وسحاب مكروه تنشا — فاضمحل وما سكب
ودخان خطب خيف منه — فما استبان له لهب
ولطالما طلع الأسى — وعلى تقيته غرب
فاصبر إذا ما ناب روع — فالزمان أبو العجب
وترج من روح الإله — لطائفا لا تحتسب

قال فاستملينا أبياته الغر وأولينا لله تعالى الشكر وودعناه مسرورين
بتريمم مغمومين بترحه تفسير ما تضمنت هذه المقامة
من الألفاظ لغوية وكنى طفيلية وكنايا صوفية قوله ذات العويم

يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين والسمهرية الرماح وفي
تسميتها بذلك قولان احدهما انها سميت بذلك لصلابتها من قولهم
اسمهر الشي اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة
وكانا جميعا يقومان الرماح فنسبت اليهما وقوله فضرب الله على
الآذان اي اناما ومنه قوله عز وجل فضربنا على آذانهم
في الكهف اي انمناهم وقيل في تفسيره منعناهم السمع
وقوله تكرعنا لصلاة العجماوين اي غسلنا اكارعنا وهو
كناية عن الوضوء والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك
لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلوة النهار
عجماء وقوله هلم اي تعال هلم وهي
تاتي بمعنى هات وبمعنى اقبل

اقبل والافصح ان يوحد لفظها مع المذكر والانثى
والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين
لاخوانهم هلم الينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم
وللاثنين هلما وللجمع هلموا وقوله حي هل اي عجل يقال
حي هل وحي هلا بتسكين اللام وفتحها وبتنوينها وباثبات النون
معها ومنه قول ابن مسعود في عمر رضي الله عنهما اذا ذكر
الصالحون فحي هلا بعمر وفي حي هل لغات اخر اضربنا عن
ذكرها اذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها فهذا تفسير
الالفاظ اللغوية واما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات
الصوفية فابو يحيى كنية الموت وابو عمرة كنية الجوع ويكنى
ايضا ابا مالك وابو جامع الخوان وابو نعيم الخبز الحواري

وابو حبيب الجدي وابو ثقيف الخل وابو عون الملح وابو جميل
البقل وام القرى السكباج وام جابر الهريسة وام
الفرج الجوذابة وابو زين الخبيص وابو العلا الفالوذج
وابو بابس الغسول والمرجان الطست والابريق وابو الفرج البخور

المقامة العشرون

الميافارقية

حكى الحرث بن همام قال يممت ميافارقين مع رفقة
موافقين لا يمارون في المناجاة ولا يدرون ما طعم المداجاة
فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره ولا ظعن عن اهله وجاره
فلما انخنا بها مطايا التسيار واشتغلنا عن الاكوار
الى الاوكار تواصينا بتذكار الصحبة وتناهينا عن
التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا نعتمره طرفي النهار

ونتهادى فيه طرف الاخبار فبينا به نحن في بعض الايام
وقد انتظمنا في سلك الالتيام وقف علينا ذو مقول جريء
وجرس جهوري فحيا تحية نفاث في العقد قناص للاسد
والنقد ثم قال

عندي يا قوم حديث عجيب فيه اعتبار للبيب الاريب
رأيت في يفاعتي اخا باس له حد الحسام القضيب
يقدم في المعرك اقدام من يوقن بالفتك ولا يستريب
فيفرج الضيق بكراته حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الاقران الا انثنى عن موقف الطعن برمح خضيب
ولا سما يفتح مستصعبا مستغلق الباب منيعا مهيب
الا ونودي حين يسمو له نصر من الله وفتح قريب

هذا وكم ليلةٍ باتَ يميسُ في بُرْدِ الشبابِ القشيبْ
يرتشفُ الغيدَ ويرشفنَهُ ومولدي الكأسِ المغدّى الحبيبْ
فلم يزلْ يبتزُّهُ دهرُهُ ما فيه من بطشٍ وعودٍ صليبْ
حتى أصارتْهُ الليالي لقىً يعافُهُ من كانَ منهُ قريبْ
قد أعجزَ الراقي تحليلُ ما بهِ من الداءِ وأعيا الطبيبْ
وصارمَهُ البيضُ وصارمتْهُ من بعدِ ما كانَ المجابَ المجيبْ
وآضَ كالمنكوسِ في خَلقِهِ ومن يعِشْ يلقَ دواهي المشيبْ
وها هوَ اليومَ مسجّى لمن يرغبُ في تكفينِ ميتٍ غريبْ

ثم إنه أعلنَ بالنحيبِ وبكى بكاءَ المحبِّ على الحبيبِ ولما فاضتْ دمعتُهُ وانقضتْ لوعتُهُ قال يا جعلةَ الأورادِ وقدوةَ الأجوادِ واللهِ ما نطقتُ ببهتانٍ ولا أخبرتُكم إلا عن عيانٍ

ولو كانَ في عصايَ سَيرٌ ولغيمي مطيرٌ لما أثرتُ ما دعوتُكم إليهِ ولما وقفتُ موقفَ الذلِّ فيهِ ولكن كيفَ الطيرانُ بلا جناحٍ وهل على من لا يجدُ من جناحٍ ٥ قال الراوي فطفقَ القومُ يأتمرونَ فيما يأمرونَ ويتخافتونَ فيما يأتونَ فتوهّمَ أنهم على صرفِهِ أو مطالبتِهِ ببرهانٍ ففرطَهُ أن قال يا بلاليعَ القاعِ وبرابيعَ البقاعِ ما هذا الارتياءُ الذي يأباهُ الحياءُ حتى كأنكم كُلِّفتُم مشقةً لا شقةً واستوهبتُم بلدةً لا بردةً وهززتُم للكسرةِ البيتَ لا لتكفينِ الميتِ أفٍّ لمن لا تندى صفاتُهُ ولا ترشحُ حصاتُهُ فلما بصرتِ الجماعةُ ببذاذتِهِ ومرارةِ مذاقتِهِ رفأهُ كلٌّ منهم بنيلِهِ واحتملَ طلَّهُ خوفَ سيلِهِ قال الحارثُ وكان هذا السائلُ واقفًا خلفي ومحتجبًا بظهري عن طرفي

فلما أرضاهُ القومُ بسيبِهم وحقَّ على التأنّي بهم خلجتُ جانبي من خنصري ولفتُّ البصرَ فإذا هو شيخُنا السروجيُّ بلا فريةٍ ولا مريةٍ فأيقنتُ أنها أكذوبةٌ كذبها وأحبولةٌ نصبها إلا أني طويتُهُ على غرِّهِ وصنتُ شغاهُ عن قرِّهِ فحصّنتُهُ بالخاتمِ وقلتُ له أرصدْهُ لنفقةِ المآتمِ فقال واهًا لك فما أضرمَ شعلتَكَ وأكرمَ فعلتَكَ ثم انطلقَ يسعى قُدُمًا ويهرولُ هرولةَ قدمًا فنزعتُ إلى عرفانِ مبيتِهِ وامتحانِ دعوى حميتِهِ فقرعتُ ظنبوبي وألهبتُ ألهوبي حتى أدركتُ على غلوةٍ واجتليتُهُ في خلوةٍ فألفيتُهُ خرّتْ يجمعُ أردانَهُ وعفتُهُ عن الاستنانِ في ميدانِهِ وقلتُ له واللهِ ما لكَ مني ملجأٌ ولا منجى أو تريَني مسكَ المسجّى

فكشفَ عن سراويلِهِ وأتى غرمولَهُ فقلتُ له قاتلكَ اللهُ فما أعبثَكَ بالنعشِ وأحيلَكَ على النعشِ ثم عدتُ إلى أصحابي عودَ الرائدِ الذي لا يكذبُ أهلَهُ ولا يبرقشُ قولَهُ فأخبرتُهم بالذي رأيتُ وما ورّيتُ ولا رأيتُ فتقعقعوا من كيتةِ كيتٍ ولعنوا ذلكَ الميتَ

المقامة الحادية والعشرون

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال عُنيتُ مذ أحكمتُ تدبيري وعرفتُ قبيلي من دبيري بأن أُصغي إلى العظاتِ وأُلغي الكلمَ المحفظاتِ لأتحلّى بمحاسنِ الأخلاقِ وأتخلّى مما يَصِمُ بالإخلاقِ وما زلتُ آخذُ نفسي بهذا الأدبِ وأُخمدُ به جمرةَ الغضبِ حتى صارَ التطبّعُ فيه طباعًا والتكلّفُ له هوىً مطاعًا فلما حللتُ بالريِّ وقد حللتُ حُبى الغيِّ وعرفتُ الحيَّ من اللَّيِّ

فرأيت بها ذات بكرة زمرة اثر زمرة وهم منتشرون

انتشار الجراد ومستنّون استنان الجياد ومتواصفون واعظا

يقصدونه ويحلّون ابن سمعون دونه فلم يك لذي استماع

المواعظ ان افاني اللاعظ واخلف الضاغط فاصحبت اصحابي

المطواعة وانخرطت في سلك تلك الجماعة حتى افضينا

الى نادٍ جمع الامير والمأمور وحشد النبيه والمغمور وفي وسط

هالته ووسط اهلّته شيخ قد تقوّس وتقعنس

وتطلّس وتقلنس وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور ويلين الصخور

فسمعته يقول وقد افتتنت به العقول ابن آدم ما اغراك

بما يغرّك واضراك بما يضرّك والعجك بما يطغيك وابهجك بمن

يطريك تغترّ بما لا يغنيك وتعمه بما يعنيك وتنزع في قوس تعدّيك

وتتردى الحرص الذي يرديك لا بالكفاف تقتنع ولا من الحرام

تمتنع ولا للعظات تستمع ولا بالوعيد ترتدع دأبك ان تنقلب

مع الاهواء وتخبط خبط العشواء وهمّك ان تثمّر التراث

وتجمع التراث للوراث يعجبك التكاثر بما لديك ولا تذكر

ما بين يديك وتسعى ابدا لغارتك ولا تبالي الكلام عليك

أتظنّ ان ستترك سدى وان لا تحاسب غدا ام تحسب ان الموت

يقبل الرشا او يميز بين الاسد والرشا كلا والله لن يدفع الموت

مال ولا بنون ولا ينفع اهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن

سمع ووعى وحقق ما ادّعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان

الفائز من ارعوى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه

سوف يرى ثم انشد انشاد وجل بصوت زجل

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى اذا سكن المثري الثرى وثوى به

فجد في مراضي الله بالمال راضيا بما تقتني من اجره وثوابه

وبادر به صرف الزمان فانه يخلبه الاشغى يخوف نابه

ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره فكم خامل اخنى عليه وناب به

وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه اخو ضلة الا هوى من عقابه

وحافظ على تقوى الاله وخوفه لتنجو مما يتقى من عقابه

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهي الوبل عند انصبابه

ومثّل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه

وان قصارى منزل الحي حفرة سينزلها مستنزلا عن قبابه

فواها لعبد ساءه سوء فعله وابدى التلافي قبل اغلاق بابه

قال فظل القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها حتى

كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الاصوات

والتأم الانصات واشتلت العبرات والعبارات انشرح منشرح

بالامير الحاضر وجل عجائب اليه من عامله الجائر والامير صاغ الى

خصمه لاغ عن كشف ظلمه فلما ايس من روحه استنهض الواعظ

لنصحه فنهض نهضة الشمّر وانشد معرّضا بالامير

عجبا لراج ان ينال ولاية حتى اذا ما نال بغيته بغى

يسدي ويلحم في المظالم والغا في وردها طورا وطورا مولغا

ما ان يبالي حين يتبع الهوى فيها اأضلّ دينه ام اوتغا

يا ويحه لو كان يوقن انه ما حاله الا تحول لما طغى

او لو تبين كم ندامة من صغى سمعا الى افك الوشاة لما صغى

فانقد لمن اضحى الزمام بكفه وتغاض ان الغي الرعاية او لغا

وارعَ المرءَ اذ ادّعاك لرعيِهِ وَرِدِ الاجاجَ اذا جمالُ السيّغا
واحمِلْ اذاه ولو امضّك مسُّه واسالَ غرْبُ الدمعِ منك وافرغا
فليُضحِكنّك الدهرُ اذ نبا عنه وشبّ لكيدِه نارَ الوغى
ولتنزِلنّ به الشماتُ اذا بدا متخلّيًا من شغلِه متفرّغا
ولتأدِبنّ له اذا ما خلّةٌ اضحى على تُرْبِ الهوانِ ممرّغا
هذا ولسوف يوقفُ موقفًا فيه يُرى كدِرَ الفصاحةِ ألثغا
وليُحشَرنّ اذلَّ من فقْعِ الفلا ويحاسَبنّ على النقيصةِ والشَّغا
ويؤاخَذنّ بما جنى ومن اجتبى ويطالَبنّ بما احتسى وبما ارتغى
ويناقَشنّ على الدقائقِ مثلَ ما قد كان يفعلُ بالورى بل ابلغا
حتى يعضَّ على الولايةِ كفَّه ويودُّ لو لم يبغِ منها ما بغى
ثم قال ايها المتوشّحُ بالولايةِ المترشّحُ للرعايةِ دعِ الادلالَ

بدولتك والاغترارَ بصولتك فانّ الدولةَ ريحٌ قُلَّب
والامرةَ برقٌ خُلَّب وانّ اسعدَ الرعاةِ من سعدتْ به رعيّتُه
واشقاهم في الدارين من ساءتْ رعايتُه فلا تكنْ ممّن يذرُ
الآخرةَ ويلغيها ويحبُّ العاجلةَ ويبتغيها ويظلمُ الرعيّةَ
ويؤذيها واذا تولّى سعى في الارضِ ليفسدَ فيها فوالله لا يغفلُ
الديّانُ ولا تُهمَلُ يا انسانُ بل سيوضَعُ لك الميزانُ وكما
تدينُ تُدانُ فوجِمَ الوالي لما سمِعَ وامتُقِعَ لونُه
وانتُقِعَ وجعلَ يتأفّفُ من الامرةِ ويصِلُ الزفرةَ بالزفرةِ
ثم عمَدَ الى الشاكي فاشكاه والى المشكوِّ فاشجاه والطفَ
الواعظَ وحباه وعزمَ عليه ان يغشاه فانقلبَ عنه
المظلومُ منصورًا والظالمُ محصورًا وبرزَ الواعظُ يتهادى

بين رُفقتِه ويتباهى بفوزِ صفقتِه واعقبتُه اخطو
متقاصرًا وادبُّ لحاقًا باصرًا فلما استشفّ ما اخفيه وفطِنَ
لتقلّبِ وجهي فيه قال خيرُ دليليك من ارشدك ثم انشد

انا الذي تعرفه يا حارثُ حِدْثُ ملوكٍ فكِهٌ منافِثُ
اُطرِبُ ما لا تطرِبُ المثالثُ طورًا اخو جِدٍّ وطورًا عابثُ
ما غيّرتني بعدَك الحوادثُ ولا التحى عودي خطبٌ كارثُ
ولا فرى نابي جذٌّ فارثُ بل مخلبي بكلِّ صيدٍ ضابثُ
وكلُّ مرجٍ فيه ذئبي عائثُ حتى كأنّي للانامِ وارثُ
سامُهم وحامُهم ويافثُ

قال الحارثُ بنُ همّام فقلتُ له بالله انك لابو زيد ولقد
فُتَّ ولا عمرو بن عبيد نهشَ هشاشةَ الكريم اذا لمّ وقال اسمع
يا ابنَ امّ

عليك بالصدقِ ولو انّه احرقك الصدقُ بنارِ الوعيد
وابغِ رضا الله فاغبى الورى من اسخطَ المولى وارضى العبيد
ثم انه ودّعَ اخدانَه وانطلقَ يسحبُ اردانَه فطلبناه من
بعدُ بالريّ واستنشينا اخبارَه عن مدارجِ الطيّ فما فينا
من عرفَ قرارَه ولا دري ايَّ الجرادِ عارَه

المقامة الثانية والعشرون

حكى الحارثُ بنُ همّام قال آويتُ في بعضِ الفتراتِ الى سفرٍ
فلقيتُ بها كتّابًا ابرعَ من بني الفراتِ واعذبَ اخلاقًا
من الماءِ الفراتِ فاطفتُ بهم لتهذّبِهم لا لذهبِهم وما
زجّيتُهم شغفًا بادبِهم لا بمادبِهم فجالستُ منهم اترابَ
القعقاعِ بنِ شور ووصلتُ الى الكورِ بعد الحورِ حتى

أنهم أشركوني في المرتع والمربع، وأحلوني محل الأنملة من الإصبع، واتخذوني ابن أنسهم عند الولاية والعزل، وخازن سرهم في الجد والهزل. فاتفق أنهم ندبوا في بعض الأوقات لتصفح مزارع الرزداقات، فاختاروا من الجواري المنشآت جارية حالكة الشيات، تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، وتنساب في الحباب كالحباب. ثم دعوني إلى المرافقة فلبيت بلسان الموافقة. فلما تورّكنا على المطية الدهماء، وتبطنّا الولية الماشية على الماء، ألفينا بها شيخا عليه سحق سربال، وسب بال. فعافت الجماعة محضره، وعنفت من أحضره، وهمت بإبرازه من السفينة، لولا ما ثاب إليها من السكينة. فلما

لمحنا استثقال ظله، واستبراد طله، تعرض للمنافثة فصمتت، وجدل بعد ما عطس فما شمت، فأخرد ينظر فما آلت حاله إليه، وينتظر نصرة الباغي عليه، وجلنا نحن في شجون من جد ومجون، إلى أن اعترض ذكر الكاتبين، وفضلها، وتبيان أفضلها. فقال قائل: إن كتبة الإنشاء أنبل الكتاب، ومال مائل إلى تفضيل الحساب. فاشتد الصخاب، واشتد اللجاج، واحتد الحجاج، حتى إذا لم يبق للجدال مطرح، ولا للمراء مسرح، قال الشيخ: لقد أكثرتم يا قوم اللغط، وأثرتم الصواب والغلط، وإن جلية الحكم عندي، فارتضوا بنقدي، ولا تستفتوا أحدا بعدي. اعلموا أن صناعة الإنشاء أرفع، وصناعة الحساب أنفع.

وقلم المكاتبة خاطب، وقلم المحاسبة حاطب، وأساطير البلاغات تنسخ لتدرس، ودساتير الحسابات تنسخ وتدرس. والمنشئ جهينة الأخبار، وحقيبة الأسرار، ونجي العظماء، وكبير الندماء، وقلمه لسان الدولة، وفارس الجولة، ولقمان الحكمة، وترجمان الهمة، وهو البشير والنذير، والشفيع والسفير، به تستخلص الصياصي، وتملك النواصي، ويقتاد العاصي، ويستدنى القاصي، وصاحبه بريء من التبعات، آمن كيد السعاة، مقرظ بين الجماعات، غير معرض لنظم الجماعات. فلما انتهى في الفصل إلى هذا الفصل، لحظ من لحاظ القوم أنه ازدرع حبا وبغضا، وأحفظ بعضا وأرضى بعضا، فعقب كلامه بأن قال: إلا أن صناعة الحساب

موضوعة على التحقيق، وصناعة الإنشاء مبنية على التلفيق، وقلم الحاسب ضابط، وقلم المنشئ خابط، وبين إتاوة توظيف المعاملات، وتلاوة طوامير السجلات، بون لا يدركه قياس، ولا يعتوره التباس، إذ الإتاوة تملأ الأكياس، والتلاوة تفرغ الراس، وخراج الأوارج يغني الناظر، واستخراج المدارج يعني الناظر. ثم إن الحسبة حفظة الأموال، وحملة الأثقال، والنقلة الأثبات، والسفرة الثقات، وأعلام الإنصاف والانتصاف، والشهود المقانع في الاختلاف، ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان، وقطب الديوان، وقسطاس الأعمال، والمهيمن على العمال، وإليه المآب في السلم والهرج

وعليه المدار في الدخل والخرج وبه مناط الضر والنفع وفي يده رباط الإعطاء والمنع ولولا قلم الحساب لأودت ثمرة الاكتساب ولاتصل التغابن إلى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح الظلامات مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف المظالم مسلولا على أن يراع الإنشاء متقول ويراع الحساب متأول والمحاسب مناقش والمنشئ أبو براقش ولكليهما حمة حين يرقى إلى أن يلقى ويرقى وإعنات فيما يلقى حتى يغني ويرقى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم قال الحارث فلما أمتع الأسماع بما راق وراع استنسبناه فاستراب وأبى الانتساب ولو وجد منتابا لانتساب لحصلت من لبسه على غمة

حتى إذا ركدت بعد أمة فقلت له والذي سخر الفلك الدوار والفلك السيار إني لأجد ريح أبي زيد وإن كنت أعهده دائرا وأيد فتبسم ضاحكا من قولي وقال أنا هو على استحالة حالي وحولي فقلت لأصحابي هذا الذي لا يفري فريه ولا يبارى عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له الوجد فرغب عن الألفة ولم يرغب في التحفة وقال أما بعد أن تحققتم حقي لأجل تحققي وكسعتم بالي لإخلاق سربالي فما أراكم إلا بعين السخينة ولا لكم مني إلا صحبة السفينة

ثم أنشد

اسمع أخي وصية من ناصح ... ما شاب محض النصح منه بغشه

لا تعجلن بقضية مبتوتة ... في مدح من لم تبله أو خدشه

وقف القضية فيه حتى تجتلي ... وصفيه في حالي رضاه وبطشه

ويبين خلب برقه من صدقه ... للشائمين ووبله من طشه

فهناك إن تر ما يشين فواره ... كرما وإن تر ما يزين فأفشه

ومن استحق الارتقاء فرقه ... ومن استحط فحطه في حشه

واعلم بأن التبر في عرق الثرى ... خاف إلى أن يستثار بنبشه

وفضيلة الدينار يظهر سرها ... من حكه لا من ملاحة نقشه

ومن الغباوة أن تعظم جاهلا ... لصقال ملبسه ورونق رقشه

أو أن تهين مهذبا في نفسه ... لدروس بزته ورثة فرشه

ولكم أخي طمرين هيب لفضله ... ومفوف البردين عيب لفحشه

وإذا الفتى لم يغش عارا لم يكن ... أسماله إلا مراقي عرشه

ما إن يضر العضب كون قرابه ... خلقا ولا البازي حقارة عشه

ثم إنا عزمنا أن نستوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كل منا على فرطات ذاته وأغضى جفنه على قذاته وعاهدنا على أن لا نحقر شخصا لرثاثة برده ولا نزدري سيفا مخبوا في غمده

المقامة الثالثة والعشرون

حدث الحارث بن همام قال نبا بي مألف الوطن في شرخ الزمن المخطب خشية وخوف غيني فأرقت كرى الكرى ونصبت ركاب السرى وجبت في سيري وعورا لم تدمثها الخطى ولا اهتدت لبغيتها القطا حتى وردت حمى الخلافة والحرم العاصم من المخافة فسروت إهاب الروع واستشعاره وتسربلت لباس الأمن وشعاره وقصرت همي على لذة أجتنيها وملحة أجتليها فبرزت يوما إلى الحريم لأروض طرفي وأجيل في طرفه طرفي فإذا

فرسانٌ متناضلون ورجالٌ متناظرون وشيخٌ طويلُ اللسانِ قصيرُ
الطيلسانِ قد لبّبَ فتًى جديدَ الشبابِ خَلَقَ الجلبابِ
فركضتُ على إثرِ النظارةِ حتى وافينا بابَ الإمارةِ
وهناك صاحبُ المعونةِ متربّعًا في دستِه ومتروّعًا بسمتِه فقال له الشيخُ
أعزّ اللهُ الواليَ وجعلَ كعبَه العاليَ إني كفلتُ هذا الغلامَ فطيمًا
وربّيتُه يتيمًا ثم لم آلُهُ تعليمًا فلمّا مهرَ وبهرَ جرّدَ سيفَ العدوانِ
وشهرَ ولم أخلهُ يلتوي عليَّ ويتقحُ حين يروى منّي ويلتقحُ فقال
له الفتى علامَ عثرتَ منّي حتى تنشرَ هذا الخزيَ عنّي فواللهِ
ما سترتُ وجهَ برِّكَ ولا هتكتُ حجابَ سترِكَ ولا شققتُ
عصا أمرِكَ ولا ألغيتُ تلاوةَ شكرِكَ فقال له الشيخُ
ويلكَ وأيُّ ريبٍ أخزى من ريبِكَ وهل عيبٌ أفحشُ من عيبِكَ

وقد انتحلتَ شعري واسترقتَه واذعيتَ بحري واشتفقتَه
واستراقُ الشعرِ عند الشعراءِ أفظعُ من سرقةِ البيضاءِ والصفراءِ
وغيرتُهم على بناتِ الأفكارِ كغيرتِهم على البناتِ الأبكارِ فقال الوالي
للشيخِ وهل حين سلخَ أم مسخَ أم نسخَ فقال والذي جعلَ الشعرَ ديوانَ
العربِ وترجمانَ الأدبِ ما اصدقَ سوى أن ترشّفَ شرحَه
وأغارَ على تلّي سرحِه فقال له أنشدْ أبياتَك برمّتِها ليتضحَ
ما اختارَه من جملتِها فأنشدَ

يا خاطبَ الدنيا الدنيّةِ إنّها شَرَكُ الردى وقرارةُ الأكدارِ
دارٌ متى ما أضحكتْ في يومِها أبكتْ غدًا بعدًا لها من دارِ
وإذا أظلَّ سحابُها لم ينتقعْ منه صدًى لجهامِه الغرّارِ
غاراتُها ما تنقضي وأسيرُها لا يفتدى بجلائلِ الأخطارِ

[illegible]

كم مزدهًى بغرورِها حتى بدا متمرّدًا متجاوزَ المقدارِ
قلبتْ له ظهرَ المجنِّ وأولغتْ فيه المدى ونزتْ لأخذِ الثارِ
فاربأْ بعمرِك أن يمرَّ مضيّعًا فيها سدًى من غيرِ ما استظهارِ
واقطعْ علائقَ حبِّها وطلابِها تلقَ الهدى ورفاهةَ الأسرارِ
وارقبْ إذا ما سالمتْ من كيدِها حربَ العدى وتوثّبَ الغدّارِ
واعلمْ بأنّ خطوبَها تفجا ولو طالَ المدى ووَنَتْ سُرى الأقدارِ

فقال له الوالي ثم ما صنعَ هذا فقال أقدمَ للؤمِه في الجزاء على
أبياتي السداسيّةِ الأجزاءِ فحذفَ منها جزأين ونقصَ من
أوزانِها وزنين حتى صارَ الأذرُ فيها رزيّين فقال بيّن ما
أخذَه من ابنِ فلذٍ فقال أرعني سمعَك واخلُ للتفهّمِ عن
ذرعِك حتى يتبيّنَ كيف ألحدَ عليَّ وتعدّى قدرَ اجترائِه

ثم أنشدَ وأنفاسُه تتصعّدُ

يا خاطبَ الدنيا الدنيّة إنها شركُ الردى دارٌ متى ما أضحكتْ في يومِها أبكتْ غدا
وإذا أظلَّ سحابُها لم ينتقعْ منه صدى
غاراتُها ما تنقضي وأسيرُها لا يفتدى
كم مزدهًى بغرورِها حتى بدا متمرّدا
قلبتْ له ظهرَ المجنِّ وأولغتْ فيه المدى
فاربأْ بعمرِك أن يمرَّ مضيّعًا فيها سدى
واقطعْ علائقَ حبِّها وطلابِها تلقَ الهدى
وارقبْ إذا ما سالمتْ من كيدِها حربَ العدى
واعلمْ بأنّ خطوبَها تفجا ولو طالَ المدى

فالتفتَ الوالي إلى الغلامِ وقال تبًّا لك من خِرّيجٍ مارقٍ

وتلميذ سارق فقال الفتى برئت من الأدب وبنيه و
لحقت بمن ناواه ويقوض مبانيه إن كانت أبياته نمت
إلى علمي قبل أن ألفت نظمي وإنما اتفق توارد الخاطر كما
قد يقع الحافر على الحافر قال فكأن الوالي جوز صدق
زعمه فندم على بادرة ذمه وظل يفكر فيما يكشف له
عن الحقائق ويميز بين الفائق والمائق فلم ير إلا أخذهما
بالمناضلة ولزهما في قرن المساجلة فقال لهما إن
أردتما انتضاح العاطل وإيضاح الحق من الباطل فتراسلا
في النظم وتباريا وتجادلا في حلبة الإجازة وتجاريا ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقالا له بلسان واحد
وجواب متوارد قد رضينا بسبرك فمرنا بأمرك

91

فقال إني مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه لها كالرئيس
فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها بوشيه وترصعانها عليه
وضمناها شرح حالي مع إلف بديع الصفة ألمى الشفة مليح
التثني كثير التيه والتجني مغرى بتناسي العهد وإطالة الصد
وإخلاف الوعد وأنا له كالعبد قال فبرز الشيخ مجليا
وتلاه الفتى مصليا وجاريا بيتا فبيتا في هذا النسق إلى
أن كمل نظم الأبيات واتسق وهي شعر

وأحوى حوى رقي برقة لفظه ... وغادرني إلف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وإنني ... لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره
أصدق منه الزور خوف ازوراره ... وأرضى استماع الهجر خشية هجره
وأستعذب التعذيب منه وكلما ... أجد عذابي جد بي حب بره

تناسى ذمامي والتناسي مذمة ... وأحفظ قلبي وهو حافظ سره
وأعجب ما فيه التباهي بعجبه ... وأكبره عن أن أفوه بكبره
له مني المدح الذي طاب نشره ... ولي منه طي الود من بعد نشره
ولو كان عدلا ما تجنى على وعثري ... بجنتي رشف ثغره
ولولا تثنيه ثنيت أعنتي ... حذارا إلى من أجتلي نور بدره
وإني على تصريف أمري وأمره ... أرى المر حلوا في انقيادي لأمره

فلما أنشداها الوالي متراسلين بهت لذكائهما المتعادلين
وقال أشهد بالله أنكما فرقدا سماء ولكن نديين وعاء وأن
هذا الحدث لينفق مما آتاه الله ويستغني بوجده عن من
سواه فتبعها الشيخ من انتقامه وثب إلى إكرامه فقال
الشيخ هيهات أن تراجعه مقتي أو ترجع إليه ثقتي وقد

92

بلوت كفرانه للصنيع وبليت منه بالعقوق الشنيع
فاعترضه الفتى بأن قال له يا هذا إن اللجاج شؤم والحنق
لؤم وتحقيق الظنة إثم ومؤاخذة البريء ظلم وهبني
اقترفت جريرة أو اجترحت كبيرة أما تذكر إذ أنشدتني
لنفسك في آداب أنسك شعر

سامح أخاك إذا خلط ... منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه ... إن زاغ يوما أو قسط
واحفظ صنيعك عنده ... شكر الصنيعة أم غمط
وأطعه إن عاصى وهن ... إن عز وادن إذا شحط
واقن الوفاء ولو أخل ... بما اشترطت وما شرط
واعلم بأنك إن طلبت ... مهذبا رمت الشطط

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط
أو ما ترى المكروه والمحبوب لزّا في نمط
كالشوك يبدو في الغصون مع الجنى الملتقط
ولذاذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بني الزمان وجدت أكثرهم سقط

فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصلّ ويحملق حملقة البازي المطلّ
ثم قال والذي زين السماء بالشهب وأنزل الماء من السحب
ما روّعني عن الاصطلاح إلا التوقي الافتضاح فإن هذا الفتى
اعتاد أن أمونه وأراعي شئونه وقد كان هذا الدهر
يسحّ فلم أكن أشحّ فأما الآن فالوقت عبوس وحشو
العيش بؤس حتى إن برتي هذه عارة وبيتي لا تطور به فارة

فرق

فرقّ لمقالتهما قلب الوالي وأوى لهما من عبر الليالي وصبا
إلى اختصاصهما بالإسعاف وأمر النظارة بالانصراف
قال الراوي وكنت متشوفا إلى مرأى الشيخ لعلي أعلم علمه
إذ عاينت وسمه ولم يكن الزحام يسفر عنه ولا يفرج لي
فأدنو منه فلما تقوضت الصفوف وأجفل الوقوف توسمته
فإذا هو أبو زيد والفتى فتاه فعرفت حينئذ مغزاه فيما أتاه
وكدت أنقضّ عليه لأتعرف إليه فزجرني بإيماض طرفه
واستوقفني بإيماء كفه فلزمت موقفي وأخرت منصرفي
فقال الوالي ما أمرك ولأي شيء مقامك فابتدره الشيخ
وقال إنه ابني وصاحب بلواي فتسمّح جبين تأبّي
ورخّص في جلوسي ثم أفاض عليهما خلعتين ووصلهما بعين

من العين واستعهدهما أن تعاشرا بالمعروف إلى أظلال اليوم المخوف
فنهضا من ناديه مشيدين بشكر أياديه وتبعتهما لأعرف
مثواهما وأتزود من نجواهما فلما أجزنا حمى الوالي
وأفضينا إلى الفضاء الخالي أدركني أحد جلاوزته مهيبا
بي إلى حوزته فقلت لأبي زيد ما أظنه استحضرني إلا ليستخبرني
فما الذي أقول وفي أي واد معه أجول فقال بيّن له غباوة قلبه
وتلاعبي بلبه ليعلم أن ريحه لاقت إعصارا وجدوله صادف
تيارا فقلت أخاف أن يتقد غضبه فيلفحك لهبه
أو يستشري طيشه ويسري إليك بطشه فقال إني لأرحل
الآن إلى الرها وهيهات أن يلتقي سهيل والسها
فلما حضرت الوالي وقد خلا مجلسه وانجلى تعبسه أخذ

يصف

يصف أبا زيد وفضله ويذم الدهر له ثم قال نشدتك الله
ألست الذي أعاره الدست فقلت لا والذي أحلك في هذا
الدست ما أنا بصاحب ذاك الدست بل أنت الذي تمّ
عليه الدست فازورّ من مقالتي واحمارت وجنتاه وقال والله ما
أعجزني قط فضح مريب ولا تكشيف معيب ولكن
ما سمعت بأن شيخا دلّس بعدما تطلّس فبهذا تمّ له أن
لبّس ثم يكنى قلت بأبي زيد فقال إنه بأبي كيد أليق منه
بأبي زيد فإلى أين سكع ذلك اللكع فقلت أشفق منك
عند تعدي طوره فظعن عن بغداد من فوره فقال لا قرّب الله
له نوى ولا كلأه أين ثوى فما زاولت أشد من نكره
ولا ذقت أمرّ من مكره ولولا حرمة أدبه لأوغلت في طلبه

إلى أن نفح فأوقع به وإلى أن أكره أن تشيع فعلته بمدينة
السلام فأفتضح بين الأنام وتحبط مكانتي عند الإمام وتجعلني
أضحوكة وأصير ضحكة الخاص والعام فتعاهدنا على أن لا نتفوه
ما اعتمد ما دمت حلاً بهذا البلد قال الحارث فتعاهدته
معاهدة من لا يتأوّل ووفيت له وفاء السموأل

المقامة الرابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع في إبان
الربيع فتية وجوههم أبهج من أنواره وأخلاقهم أبهج من
أزهاره وألفاظهم أرق من نسيم أسحاره فاجتليت
منهم ما يزري على الربيع الزاهر ويغني عن رنات
المزاهر وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد وحظر الاستبداد

وإن لا ينفرد أحدنا بالتذاذ ولا يستأثر ولو برذاذ
فأجمعنا في يوم سما دجنه ونما حسنه وحكى بالاصطباح
مزنه على أن نلتهي بالخروج إلى بعض المروج لنسرح النواظر
في الرياض النواضر ونصقل الخواطر بشيم المواطر فبرزنا
ونحن كالشهور عدة وكندماني جذيمة مودة إلى حديقة
أخذت زخرفها وازينت وتنوعت حلى أزاهيرها وتلونت
ومعنا الكميت الكمي التمور والسقاة البدور والشادي الذي
يطرب السامع ويلهيه ويعرب عن كل شيء ما يشتهيه
فلما اطمأن بنا الجلوس ودارت علينا الكؤوس وغلا
علينا ذو طمر عليه طمر فتجهمناه تجهم الغيد للشيب
وحذرنا صفو يومنا قد شيب إلا أنه سلم تسليم أديب

الفهم وجلس ينفض لطائم النثر والنظم ونحن نزوي عن
انبساطه ونتبرى لعلق بساطه إلى أن غنى شادينا المطرب
ومغردنا المطرب

إلام سعاد لا تصلين حبلي ولا تأوين لما ألاقي
صبرت عليك حتى عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي
وها أنا قد عزمت على انتصاف أتاني فيه خلي ما يساقي
فإن وصلاً ألذ به فوصل وإن صرماً فصرم كالطلاق

قال فاستنشدنا العافي بالمثاب عن نصب الوصل الأول
ورفع الثاني فأقسم بتربة أبويه لقد نطق بالمختار سيبويه
فتشعبت حينئذ آراء الجمع في تجويز النصب والرفع فقالت
فرقة هو رفعهما الصواب وقالت طائفة لا يجوز فيهما

إلا الانتصاب واستبهم على الآخرين الجواب واستعر
بينهم الاضطراب وذلك الوافد يبدي ابتسام ذي
معرفة وإن لم يفه ببنت شفة حتى إذا أكفت الزماجر
وصمت المزجور والزاجر قال يا قوم أنا أنبئكم بتأويله
وأميز صحيح القول من عليله إنه يجوز رفع الوصلين
ونصبهما والمغايرة في الإعراب بينهما وذلك بحسب
اختلاف الإضمار وتقدير المحذوف في هذا المضمار
قال فعظم على الجماعة إفراطه في ادعائه وانخرط في مماراته
فقال أما إذا دعوتم نزال وتنبتم النضال فما كلمة هي
إن شئتم حرف محبوب وإن شئتم اسم لما فيه حرف محلوب وأي
اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم وأية هاء إذا التحقت

أماطت الثقل وأطلقت المعتقل وأين تدخل السين فتعزل
العامل من غير أن تجامل وما منصوب أبداً على الظرف
لا يخفضه سوى حرف وأيّ مضاف أخلّ من عرى الإضافة
بعروة واختلف حكمه بين مساءٍ وغدوة وما العامل الذي
يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله وأيّ عامل
نائبه أرحب منه وكراً وأعظم مكراً وأكثر لله ذكراً وفي
أيّ المواطن تلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربّات
الحجال بعمائم الرجال وأين يجب حفظ المراتب على المؤدب
والضارب وما اسم لا يفهم إلا باستضافة كلمتين
أو الاقتصار منه على حرفين وفي وضعه الأول التزام
وفي الثاني إلزام وما وصف إذا أردف بالنون نقص

صاحبه في العيون وقوّم بالدون وخرج من الزبون
وتعرّض للهون فهذه أربع عشرة مسألة وفق عددكم
وزنة لددكم ولو زدتم زدنا وإن عدتم عدنا قال المخبر
بهذه الحكاية فورد علينا من أحاجيه اللاتي هالت لما انثالت
ما حارت له الأفكار وحالت فلما أعجزنا العوم في بحره
واستسلمت تمائمنا لسحره عدلنا من استثقال الروحة له
إلى استنزال الرواية عنه ومن تعني التبرم به إلى ابتغاء التعلم
منه فقال والذي نزّل النحو في الكلام منزلة الملح في الطعام
وحجبه عن بصائر الطغام لا أنلتكم مراماً ولا شفيت
لكم غراماً أو تخوّلني كل يد وتختصني كل منكم
بيد فلم يبق في الجماعة إلا من أذعن لحكمه ونبذ إليه خبيئة

كمه فكشف حينئذ من أسرار ألغازه وبدائع إعجازه ما جلا
به صدأ الأذهان وجلّى مطلعه بنور البرهان قال الراوي
فعجبنا حين فهمنا وعجبنا إذ أجبنا وندمنا على ما ندّ منا وأخذنا
نعتذر إليه اعتذار الأكياس ونعرض عليه ارتضاع الكاس
فقال مأرب لا حفاوة ومشرب لم يبق له عندي حلاوة
ثم شمخ بأنفه صلفاً ونأى بجانبه أنفاً وأنشد

نهاني الشيب عما فيه أفراحي … فكيف أجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتّقة … وقد أنار مشيب الرأس إصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت … روحي بجسمي وألفاظي بإفصاحي
ولا اكتسيت بكاسات السلاف ولا … أجلت قداحي بين أقداحي
ولا أرتني الحميا مشعشعة … همّي ولا رحت مرتاحاً إلى راح

ولا انتظمت على مشمولة أبداً … شملي ولا اخترت ندماناً سوى الصاحي
محا المشيب مراحي حين خطّ على … رأسي فأبغض به من كاتب ماحي
ولاح يلحى على جري العنان إلى … ملهى فسحقاً له من لائح لاحي
ولو لهوت وفودي شائب لخبا … بين المصابيح من غسّان مصباحي
قوم بحياهم توقير ضيفهم … والشيب ضيف له التوقير يا صاحي

ثم إنه انساب انسياب الأيم وأجفل إجفال الغيم فعلمت
أنه سراج سروج وبدر الأدب الذي يجتاب البروج وكان
قصارانا التحرق لبعده والتفرق من بعده

تفسير

ما تضمنت هذه المقامة من النكت العربية والأحاجي النحوية
أما صدر البيت الأخير من الأغنية الذي هو فأين وصلاً
الذي به فوصلك فإنه نظير قولهم المرء مجزي بعمله

إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ وهذه المسألة أوردها سيبويه
في كتابه وجوّز في إعرابها أربعة أوجهٍ أحدها وهو أجودها
أن تنصب خيرًا الأول وترفع الثاني وتنصب شرًّا الأول وترفع
الثاني ويكون تقديره إن كان عمله خيرًا فجزاؤه خيرٌ وإن كان
عمله شرًّا فجزاؤه شرٌّ فينتصب الأول على أنه خبر كان ويرتفع
الثاني على أنه خبر مبتدأ محذوف وقد حذفت في هذا الوجه كان
واسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو إن على تقديرها وحذفت
أيضًا المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه لأنه كثيرًا ما يقع
بعدها ٥ والوجه الثاني أن تنصبهما جميعًا ويكون تقدير
الكلام إن كان عمله خيرًا فهو يجزى خيرًا وإن كان عمله شرًّا
فهو يجزى شرًّا فينتصب الأول على أنه خبر كان وينتصب

الثاني

الثاني انتصاب المفعول به ٥ والوجه الثالث
أن ترفعهما جميعًا ويكون تقدير الكلام إن كان في عمله خيرٌ
فجزاؤه خيرٌ وإن كان في عمله شرٌّ فجزاؤه شرٌّ فيرتفع
خير الأول على أنه اسم كان ويرتفع خير الثاني على ما بيّن
في شرح الوجه الأول وقد يجوز أن يرتفع خير الأول على أنه
فاعل كان ويجعل كان المقدرة هاهنا هي التامة التي
هي بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج إلى خبر كقوله تعالى وإن
كان ذو عسرة ويكون التقدير في المسألة إن كان خيرٌ
فجزاؤه خيرٌ أي إن حدث خيرٌ فجزاؤه خيرٌ والوجه
الرابع وهو أضعفها أن ترفع الأول على ما تقدم شرحه
وتنصب الثاني على ما بيّن ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير

إن كان في عمله خيرٌ فهو يجزى خيرًا وعلى حسب هذا التفسير
والمقدرات المحذوفات فيه يجري إعراب البيت الذي عني
به ومما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل
به إن سيفًا فسيفٌ وإن خنجرًا فخنجرٌ وأما الكلمة
التي هي حرف محجوب أو اسم لما فيه حرف محلوب فهي نعم
إن أردت بها تصديق الأخبار أو العدة عند السؤال
فهي حرف وإن عنيت بها الإبل فهي اسم والنعم تذكّر
وتؤنث وتنطلق على الإبل وعلى كل ماشية فيها إبل
وفي الإبل الحرف وهي الناقة الضامرة سميت حرفًا تشبيهًا
لها بحرف السيف وقيل إنما الضخمة تشبيهًا لها بحرف
الجبل وأما الاسم المتردد بين فرد جازم وجمع لازم

فهو

فهو سراويل قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات
فهو على هذا القول فرد وكني عن ضمة الخصر بأنه جازم و
قال آخر هو جمع وواحده سروال مثل شملال وشماليل
فهو على هذا القول جمع ومعنى قوله ملازم أي لا ينصرف
وإنما لا ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه
ألف وبعدها حرف مشدد أو حرفان أو ثلاثة لثقله وتفرده
دون غيره من الجموع بأن لا نظير له في الأسماء الآحاد وقد كني
في هذه الأحجية عما لا ينصرف بالملازم وأما الهاء
التي إذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل فهي
الهاء اللاحقة بالجمع المتقدم ذكره كقولك صيارفة
وصياقلة فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء به لأنها

قد أصارته الى مثال آحاد نحو رفاهية وكراهية
فخف بهذا السبب وصرف بهلك العلة وقد كنى في هذه
الأحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كنى في التي قبلها عما لا ينوف
بالملازم وأما السين التي تعزل العامل من غير أن تجامل
فهي إذا دخلت على الفعل المستقبل وفصلت بينه وبين
أن التي كانت قبل دخولها من أدوات النصب فيرتفع حينئذ
الفعل وينتقل أن عن كونها الناصبة للفعل الى أن تصير
المخففة من الثقيلة وذلك كقوله تعالى علم أن سيكون
منكم مرضى وتقديره علم أنه سيكون وأما المنصوب
على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف فهو عند وإجرّه
غير من خاصة وقول العامة ذهبت الى عنده فهو لحن وأما

المضاف الذي أخلّ من عرى الإضافة بعروة واختلف
حكمه بين مساء وغدوة فهو لدن ولدن من الأسماء
الملازمة للإضافة وكل ما يأتي بعدها مجرور بها إلا غدوة
فإن العرب تنصبها بلدن لكثرة استعمالهم إياها في الكلام
ثم نونتها أيضا لتبين بذلك أنها منصوبة لأنها من نوع
التي لا تنصرف وعند بعض النحويين أن لدن بمعنى عند والصحيح
أن بينهما فرقا لطيفا وهو أن عند يشتمل معناها
على ما هو في ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك
ولدن تختص معناها بما حضرك وقرب منك وأما العامل
الذي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله فنحو
يا ومعكوسه أي وكلتاهما من حروف النداء وعملهما في الاسم

المنادى على حد واحد إلا أن يا أجول شأنا إن كانت يا أجول
في الكلام وأكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم أن ينادى
بأي القريب فقط كالهمزة وأما العامل الذي نائبه
أرحب منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا فهو
باء القسم وهذه الباء هي أصل القسم بدلالة استعمالها مع
ظهور فعل القسم في قولك أقسم بالله ولدخولها أيضا على المضمر
كقولك بك لأفعلن ثم قد أبدلت الواو منها في القسم لأنهما
جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنيهما لأن الواو تفيد
الجمع والباء تفيد الإلصاق والمعنيان متقاربان ثم صارت
الواو المبدلة من الباء أدور في الكلام وأعلق بالأقسام ولهذا
ألغز بأنها أكثر لله تعالى ذكرا ثم إن الواو أكثر موطنا من

الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو
تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة على
إضمار رب وتنتظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف
فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر وأما الموطن
الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان ويبرز فيه ربات
الحجال بعمائم الرجال فهو أول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين
الثلاثة إلى العشرة فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها
كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام والهاء في غير هذا
الموطن من خصائص التأنيث كقولك قائم وقائمة وعالم و
عالمة فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المؤنث و
المذكر حتى انقلب كل منهما في ضد قالبه وبرز في غير [illegible]

وأما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب
فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر علامة الإعراب فيهما
أو في أحدهما وذلك إذا كانا مقصورين مثل عيسى وموسى أو كانا
من أسماء الإشارة نحو هذا وذاك فيجب حينئذ لإزالة اللبس إقرار
كل واحد منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول
بتأخره **وأما الاسم** الذي لا ينفع إلا باستضافة كلمتين
أو الاقتصار منه على حرفين فهو مهما وفيها قولان أحدهما
أنها مركبة من مه التي بمعنى اكفف ومن ما والقول الثاني
وهو الصحيح أن الأصل فيها ما فزيدت عليها ما أخرى كما
تزاد ما على إن فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ
واحد فأبدلوا من الألف الأولى هاء فصارتا مهما ومهما من أدوات الشرط

والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى إلا
بإيراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل أفعل وتكون
حينئذ ملتزما للفعل وإن اقتصرت منها على حرفين وهما مه
التي بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت ملزما من خاطبته أن يكف
وأما الوصف الذي إذا أردف بالنون نقص صاحبه في العيون
وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهو ضيف
إذا ألحقته النون استحال إلى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف
ويشترك في النعم من له الرئيف

المقامة الخامسة والعشرون وتعرف بالكرجية

أدب

حدث الحارث بن همام قال شتوت بالكرج لدين أقتضيه وأرب
أقضيه فبلوت من شتائها الكالح وزمهريرها النافح ما عرفني
جهد البلاء وعكفني على الاصطلاء فلم أك أزايل وجاري ولا مستوقد
ناري إلا لضرورة أدفع إليها أو إقامة جماعة أحافظ عليها
فاضطررت في يوم جوه مزمهر ودجنه مكفهر إلى أن برزت
من كناني لمهم عناني فإذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة وقد
اعتم بريطة واستثفر بفوطة وحواليه جمع كثيف الحواشي
وهو ينشد ولا يحاشي

شعر

يا قوم لا ينبئكم عن فقري … أصدق من عريي أوان القر
فاعتبروا بما بدا من ضري … باطن حالي وخفي أمري
وحاذروا انقلاب سلم الدهر … فإنني كنت نبيه القدر
آوي إلى وفر وحد يفري … تفيد صفري وتبيد حمري
وتشتكي كومي غداة أقري … فجرد الدهر سيوف الغدر

وشن غارات الرزايا الغبر … ولم يزل يحتث دين بري
حتى عفت داري وغاض دري … وبار شعري في الورى وشعري
وصرت نضو فاقة وعسر … عاري المطا مجردا من قشري
كأنني المغزل في التعري … لا دفء لي في الحر والصنبر
غير التضحي واصطلاء الجمر … فهل حصيف ذو عطاء غمر
يسترني بمطرف أو طمر … طلاب وجه الله لا للشكر

ثم قال يا أرباب الثراء الرافلين في الفراء من أوتي خيرا فلينفق
ومن استطاع أن يرفق فليرفق فإن الدنيا غدور والدهر
عثور والمكنة زور وطيف والفرصة مزنة صيف
وإني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته وأعددت له
الأهب قبل موافاته وها أنا اليوم يا سادتي ساعدي وسادتي

وجلدتي بردتي وحفنتي حفنتي فليعتبر العاقل بحالي وليبادر صرف الليالي فان السعيد من اتعظ بسواه واستعد لمسراه فقيل له قد جلوت علينا ادبك فاجل لنا نسبك فقال يا المفتخر بعظم نخر انما الفخر بالتقى والادب المنتقى ثم انشد

شعر

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه على ما تجلى يومه لا ابن امسه
وما الفخر بالعظم الرميم وانما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم انجلس محقوقفا واجرنز مقفقفا وقال اللهم يا من عمر بنواله وامر بسؤاله صل على محمد وآله واعني على البرد واهواله واتح لي حرا يؤثر من خصاصة ويواسي ولو بقصاصة قال الراوي فلما جلى عن النفس الصامتة والمخ الاصمعية

لا تلمظت بقراكم او تضمنوا لي الا تتخذوني كلا ولا تتجشموا لاجلي اكلا فرب اكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر الاضياف من سام التكليف وآذى المضيف وخصوصا اذى يعلق بالاجسام ويفضي الى الاسقام وما قيل في المثل الذي سار سائره خير العشاء سوافره الا ليعجل التعشي ويجتنب اكل الليل الذي يعشي اللهم الا ان تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع قال فكانه اطلع على ارادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لا جرم انا آنسناه بالتزام الشرط واثنينا على خلقه السبط ولما احضر الغلام ما راج واذكى بيننا السراج تاملته فاذا هو ابو زيد فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فان يكن افل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر او استسر بدر النثرة فقد تبلج

بدر النثر فسرت حميا المسرة فيهم وطارت السنة عن ماقيهم ورفضوا الدعة التي كانوا نووها وثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طووها وابو زيد مكب على اعمال يديه حتى اذا استرفع الذيه فقلت له اطرفنا بغريبة من غرائب اسمارك او عجيبة من عجائب اسفارك فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون ولا رواه الراوون وان من اعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم ومصيري الى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه في مسرح مسراه فقال ان مرامي الغربة لفظتني الى هذه التربة وانا ذو مجاعة وبوسى وجراب كفؤاد ام موسى فنهضت حين سجا الدجى على ما بي من الوجى لارتاد مضيفا او اقتاد رغيفا فساقني حادي السغب والقضاء المكنى ابا العجب الى ان وقفت على باب دار فقلت

فقلت

حييتم يا اهل هذا المنزل وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل نضو سرى خابط ليل اليل
جوي الحشا على الطوى مشتمل ما ذاق مذ يومان طعم ماكل
ولا له في ارضكم من موئل وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لي الق عصاك وادخل وابشر ببشر وقرى معجل

قال فبرز الي جوذر عليه شوذر وقال

وحرمة الشيخ الذي سن القرى واسس المحجوج في ام القرى
ما عندنا لطارق اذا عرى سوى الحديث والمناخ في الذرى
وكيف يقري من نفى عنه الكرى طوى برى اعظمه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرت ما ترى

فقلت ما اصنع بمنزل قفر ومنزل حلف فقر ولكن يا فتى ما اسمك
فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشاي فيد ووردت الى هذه المدرة
امس مع اخوالي من بني عبس فقلت زدني ايضاحا عشت ونعشت
فقال اخبرتني امي برة وهي كاسمها برة انها نكحت عام الغارة
بماوان رجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس منها الاثقال وكان
باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف احي هو فيتوقع ام
اودع اللحد البلقع قال ابو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدي
وصدفني عن التعرف اليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد مرضوضة و
دموع مفضوضة فهل سمعتم يا اولي الالباب باعجب من هذا العجاب
فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق
وخلدوها بطون الاوراق فما سير مثلها في الآفاق فاحضرنا الدواة

واساودها

واساودها ورقشنا الحكاية على ما سردها ثم استنبطناه عن مرتاه في
استضمام فتاه فقال اذا ثقل ردني خف علي ان اكفل ابني فقلنا ان كان
يكفيك نصاب من المال الفناه لك في الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب
وهل يحتقر قدره الا مصاب قال الراوي فالتزم كل منا قسطا
وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع واستنفد في الثناء الوسع حتى
اننا استطلنا القول واستقللنا الطول ثم انه نشر من وشي السمر ما ازرى
بالحبر الى ان اظل التنوير وجشر الصبح المنير فقضينا ليلة غابت
شوائبها الى ان شابت ذوائبها وكملت سعودها الى ان انفطر عودها ولما ذر
قرن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات ونستنض
الاحالات فقد استطارت صدوع كبدي من الحنين الى ولدي فوصلت جناحه
حتى سنيت نجاحه فحين احرز العين في صرته برقت اسارير مسرته وقال

الاستطارة التفرق

جزيت خيرا عن خطى قدميك والله خليفتي عليك فقلت اريد ان اتبعك
لاشاهد ولدك النجيب واناقشه لكيما يجيب فنظر الي نظرة الخادع
الى المخدوع وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع وانشد

يا من تظنى السراب ماء لما رويت الذي رويت
ما خلت ان يستسر مكري وان يخيل الذي عنيت
والله ما برة بعرسي ولا لي ابن به اكتنيت
وانما لي فنون سحر ابدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الاصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت
ولو تعافيتها لحالت حالي ولم احو ما حويت
تخذتها وصلة الى ما تجنيه كفي متى اشتهيت
فمهد العذر او فسامح ان كنت اجرمت او جنيت

ثم ودعني

ثم ودعني ومضى واودع قلبي جمر الغضا

المقامة السادسة روى الحرث بن همام

قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة
فاجمع من حضر من فرسان اليراعة وارباب البراعة على انه لم يبق
من ينقح الانشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف
من يبتدع طريقة غراء او يفترع رسالة عذراء وان المفلق من
كتاب هذا الاوان المتمكن من ازمة البيان كالعيال على الاوائل
ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية
عند مواقف الحاشية فكان كلما شط القوم في شوطهم ونثروا
العجوة والنجوة من نوطهم ينبئ تخازر طرفه وتشامخ انفه
انه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمد الباع ورابض يبغي النضال

ونابض ينزي النبال فلما نثلت الكنائن وفاءت السكائن و
ركدت الزعازع وكف المنازع اقبل على الجماعة وقال لقد جئتم
شيا ادا وجرتم عن القصد جدا وعظمتم العظام الرفات وافتتنتم
في الميل الى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات
ومعهم انعقدت المودات انسيتم يا جهابذة النقد وموابذة الحل
والعقد ما ابرزته القرائح وبرز فيه الجذع على القارح من العبارات
المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة والاساجيع
المستملحة وهل للقدماء اذا انعم النظر من حضر غير المعاني المطروقة
الموارد المعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم
الصادر على الوارد واني لاعرف الان من اذا انشا وشى واذا عبر حبر
وان اسهب اذهب واذا اوجز اعجز ومتى اخترع خرع وان بده شده

فقال

فقال له ناظور الديوان وعين اولئك الاعيان من قارع هذه الصفاة
وقريع هذه الصفات قال انه قرن مجالك وقرين جدالك واذا
شئت فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له يا هذا ان البغاث
بارضنا لا تستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والقضة متيسر وقل
من استهدف للنضال فخلص من الداء العضال او استثار نقع الامتحان
فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للمفاضح ولا تعرض عن نصيحة
الناصح فقال كل امرئ اعرف بوسم قدحه وسيعرفني الليل
عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه وينقد فيه تقليبه
فقال بعضهم ذروه في حصتي لارميه بحجر قصتي فانها عضلة
العقد ومحك المنتقد فقلدوه في هذا الامر الزعامة تقليد الخوارج
ابا نعامة فاقبل على الكهل وقال اعلم اني اوالي هذا الوالي

وارغم حالي بالبيان الحالي وكنت استعنت على تقويم اودي في بلدي
بسعة ذات يدي مع قلة عددي فلما ثقل حاذي ونفد رذاذي
اممته من ارجائي برجائي ودعوته لاعادة روائي وارواي فهش
للوفادة وارتاح وغدا بالافادة وراح فلما استاذنته في المراح الى
المراح على كاهل المراح قال قد ازمعت الا ازودك بتاتا ولا اجمع
لك شتاتا او تنشي امام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك
حروف احدى كلمتيها يعمها النقط وحروف الاخرى لم يعجمن قط
وقد استانيت بياني حولا فما احار قولا ونبهت فكري سنة فما ازداد
الا سنة واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب
فان كنت صدعت عن وصفك باليقين فأت به ان كنت من الصادقين
فقال لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت اسكوبا واعطيت القوس

باريها

باريها وانزلت الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم قريحته واستدر
لقحته وقال له الق دواتك وخذ اداتك واكتب الرسالة الخيفاء
الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين واللوم غض الدهر جفن حسودك
يشين والاروع يثيب والمعور يخيب والحلاحل يضيف و
الماحل يخيف والسمح يغذي والمحك يقذي والعطاء ينجي
والمطال يشجي والدعاء يقي والمدح ينقي والحر يجزي
والالطاط يخزي واطراح ذي الحرمة غي ومحرمة بني
الامال بغي وما ضن الا غبين وما غبن الا ضنين ولا
خزن الا شقي ولا قبض راحه تقي وما فتئ وعدك
يفي وآراؤك تشفي وهلالك يضيء وحلمك يغضي والاؤك
تغني واعداؤك تثني وما دحك يقتني وسماحك يغيث وسماؤك
تغيث
وحسامك يفني حسودك يثني
ومواصلك يجتني صح

وَدَرُّكَ يَفيضُ وَدَرُّ الغَيظِ يَغيضُ وَمُؤَمِّلُكَ شَيخٌ حَكاهُ فَيٌّ وَلَمْ
يُبقِ لَهُ شَيٌّ أَمَلٌ يَظُنُّ حِرصُهُ يَثِبُ وَمَطَلُكَ يُنجِبُ مُهورَها
تَجِبُ وَمَرامُهُ يَخِفُّ وَأَواصِرُهُ تَشِفُّ وَإِطراؤُهُ يَجذِبُ
وَمَلامُهُ يُجتَنَبُ وَوَراءَهُ ضَفَفٌ مَسَّهُم شَظَفٌ وَحَصَّهُم
جَنَفٌ وَعَمَّهُم قَشَفٌ وَهُوَ في دَمعٍ يُجيبُ وَوَلَهٍ
يُذيبُ وَهَمٍّ تَضَيَّفَ وَكَمَدٍ نَيَّفَ لِمَأمولٍ خَيَّبَ
وَإِمحالٍ شَيَّبَ وَعَدُوٍّ نَيَّبَ وَهُدُوٍّ تَغَيَّبَ وَلَم يَزِغ
وُدُّهُ فَيُغضِبَ وَلا خَبُثَ عودُهُ فَيُقضَبَ وَلا نَفَثَ
صَدرُهُ فَيَنتَفِضَ وَلا نَشَزَ وَصلُهُ فَيُبغَضَ وَما يَقتَضي
كَرَمُكَ نَبذَ حُرَمِهِ فَيَبيَضُّ أَمَلُهُ بِتَخفيفِ أَلَمِهِ تَنُثُّ
حَمدَكَ بَينَ عالَمِهِ بَقيتَ لِإِماطَةِ شَجَبٍ وَإِعطاءِ نَشَبٍ

ومداواة

وَمُداواةِ نَجَحٍ وَمُراعاةِ بَغيٍ مَوصولاً بِخَفضٍ وَسُرورٍ غَضٍّ
ما غَنّى مَعبَدٌ غَنيٌّ أَو حَنَّ وَهُم غَنيٌّ وَالسَّلام
قالَ فَلَمّا فَرَغَ مِن إِملاءِ رِسالَتِهِ وَجَلّى في هَيجاءِ البَلاغَةِ عَن
بَسالَتِهِ أَرضَتهُ الجَماعَةُ فِعلاً وَقَولاً وَأَوسَعَتهُ حَفاوَةً وَطَولاً
ثُمَّ سُئِلَ مِن أَيِّ الشُّعوبِ نِجارُهُ وَفي أَيِّ الشِّعابِ وِجارُهُ

فقال

غَسّانُ أُسرَتِيَ الصَّميمَه | وَسَروجُ تُربَتِيَ القَديمَه
وَالبَيتُ مِثلُ الشَّمسِ إِشراقاً | وَمَنزِلَةً جَسيمَه
وَالرَّبعُ كَالفِردَوسِ مَطيَبَةً | وَمَنزَهَةً وَقيمَه
وَاهاً لِعَيشٍ كانَ لي | بِها وَلَذّاتٍ عَميمَه
أَيّامَ أَسحَبُ مِطرَفي | في رَوضِها ماضي العَزيمَه

أَختالُ في بُردِ الشَّبابِ | وَأَجتَلي النِّعَمَ الوَسيمَه
لا أَتَّقي نُوَبَ الزَّمانِ | وَلا حَوادِثَهُ المُليمَه
فَلَوَ انَّ كَرباً مُتلِفٌ | لَتَلِفتُ مِن كُرَبي المُقيمَه
أَو يُفتَدى عَيشٌ مَضى | لَفَدَتهُ مُهجَتِيَ الكَريمَه
فَالمَوتُ خَيرٌ لِلفَتى | مِن عَيشِهِ عَيشَ البَهيمَه
يَقتادُهُ بُرَةُ الصَّغارِ | إِلى العَظيمَةِ وَالهَضيمَه
وَتَرى السِّباعَ تَنوشُها | أَيدي الضِّباعِ المُستَضيمَه
وَالذَّنبُ لِلأَيّامِ لَولا | شُؤمُها لَم تَنبُ شيمَه
وَلَوِ استَقامَت كانَتِ الأَحوالُ | فيها مُستَقيمَه

ثُمَّ إِنَّ خَبَرَهُ نَمى إِلى الوالي فَمَلَأَ فاهُ بِاللَّآلي وَسامَهُ أَن يَنضَوِيَ
إِلى أَحشائِهِ وَيَليَ دِيوانَ إِنشائِهِ فَأَحسَبَهُ الحِباءُ وَظَلَفَهُ عَنِ الوِلايَةِ الإِباءُ

قال الراوي

قالَ الرّاوي وَكُنتُ عَرَفتُ عودَ شَجَرَتِهِ قَبلَ إِيناعِ ثَمَرَتِهِ وَكِدتُ
أُنَبِّهُ عَلى عُلُوِّ قَدرِهِ قَبلَ استِنارَةِ بَدرِهِ فَأَوحى إِلَيَّ بِإِيماضِ
جَفنِهِ أَلّا أُجَرِّدَ عَضبَهُ مِن جَفنِهِ فَلَمّا خَرَجَ بَطينَ الخُرجِ
وَفَصَلَ فائِزاً بِالفَلجِ شَيَّعتُهُ قاضِياً حَقَّ الرِّعايَةِ وَلاحِياً لَهُ عَلى
رَفضِ الوِلايَةِ فَأَعرَضَ مُتَبَسِّماً وَأَنشَدَ مُتَرَنِّماً شعر

لَجَوبُ البِلادِ مَعَ المَترَبَه | أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ المَرتَبَه
لِأَنَّ الوُلاةَ لَهُم نَبوَةٌ | وَمَعتَبَةٌ يا لَها مَعتَبَه
وَما فيهِمُ مَن يَرُبُّ الصَّنيعَ | وَلا مَن يُشَيِّدُ ما رَتَّبَه
فَلا يَخدَعَنكَ لَموعُ السَّرابِ | وَلا تَأتِ أَمراً إِذا ما اشتَبَه
فَكَم حالِمٍ سَرَّهُ حُلمُهُ | وَأَدرَكَهُ الرَّوعُ لَمّا انتَبَه

المقامة السابعة

حَكى الحرثُ بنُ هَمّامٍ قالَ أَزمَعتُ الشُّخوصَ مِن بَرقَعيدَ

وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك المدينة او اشهد
بها يوم الزينة فلما اظل بفرضه ونفله واجلب بخيله ورجله
اتبعت السنة في لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين
التام جمع المصلى وانتظم واخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين
محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه المخلاة واستقاد لعجوز كالسعلاة
فوقف وقفة متهافت وحيا تحية خافت فلما فرغ من دعائه
اجال خمسه في وعائه فابرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ
في اوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون وامرها بان تتوسم
الزبون فمن آنست ندى يديه القت ورقة منهن لديه
قال فاتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب
لقد اصبحت موقوذا باوجاع واوجال

المستمدة واضيفها الى اخبار الفرج بعد الشدة فقلت
هات فما اطول طيلك واهول حيلك فقال اعلم ان الدهر
العبوس القاني الى طوس وانا يومئذ فقير وقير لا فتيل
لي ولا نقير فالجاني صفر اليدين الى التطوق بالدين فادنت
لسوء الاتفاق من لحز عسير ممن هو عسر الاخلاق وتوهمت
تسني النفاق فتوسعت في الانفاق فما انفقت حتى يعظني
بعظه وآدني دين لزمني حقه ولازمني مستحقه فحرت
في امري واطلعت غريمي على عسري فلم يصدق املاقي ولا نزع
عن ارهاقي بل جد في التقاضي ولج في اقتيادي الى القاضي
وكلما اخضعت له بالكلام واستنزلت منه رقق الكرام
ورغبته ان ينظر لي بمياسرة او ينظرني الى ميسرة

قال لا تطمع في الانظار واحتجان النضار فوحقك ما ترى سالك
الخلاص او ترى بك سمات الاخلاص فلما رايت احتداد لدده
وان لا مناص لي من يده شاغبته ثم واتبعته لترافعني الى
والي صاحب الجرائم لا الى الحاكم في المظالم لما بلغني من افضال الوالي
وفضله وتشدد القاضي وبخله فلما حضرنا باب اميرها آنست
ان لا بابي ولا بوابي فاستدعيت دواة وبيضاء وانشات اليه
رسالة رقطاء وهي اخلاق سيدنا تحب وبعقوته يلب
وقربه تحف ونايه تلف وخلته نسب وقطيعته نصب
وغربه ذلق وشهبه تالق وظلفه زان وقيمه تهجيان
وذهنه قلب وحرب ونعته شرق وغرب
سيد قلب سبوق مبر فطن مغرب عزوف عيوف

مخلف متلف اغر فريد نابه فاضل ذكي انوف
مفلق اذا بان طب اذا ناب هياج وجل خطب مخوف
مناظم شرفه تالف وشؤبوب حبائه يكف ونائل يديه فاض
وشح قلبه غاض وخلف سحائبه تحلب وذهب عيابه يجرب
من لفه لفه فلج وغلب وتاجر بابه جلب وخلب كف عن هضم بري
وبوى من دنس غوي وقوى لبابه بعز ونكص عن مذهب كز
لين بوثاب عند نعرة شر يعف عفة بر فلذا يحب ويستحق
عفافه شغفا به فلبابه خلاب اخلاقه غر ترف وفوقه
فوق اذا ناضلته غلاب
بحر يعش ذو نائل ان هفا خل فليس يحقد بل ناب
لا باخل بل باذل خرق اذا يعتري برز لا يلبيه باب

إن عضّ أزل فأغرب عضاضه بمنابه فأنجحت منه ناب
وحديد بمن لبّ وفطن وقرب وشطن أن أذعن
لقريع زمن وجابر زمن مذ رضع ثدي لبانه خضر بإفاضة
تهتانه نعش وفرّج وظامئ فأبهج ونافر فأذعن وفائز بحق
أبلج اتعب من يلي وفرط إذ بهر وبلي وتوّج صفاته بحب عفاته
ولا خلا ذا بهجة بمتظلّ خصبه فإنه بزّ بمن آنس صوب شهبه
زان غيّ أماظ وفيه بلبس خوف رتبه فلبئس بشذا فوزه
مفاخر تأثلت وحلت وفوته بصنائع نمت وتمت
وبلائم قوّت حضرته عوف رقه بحظ من حظوته فإنه يلذ بذب
وتشريد جدب وجرح نوب أثرت وناظم قلائد تشنّفت
إذا جاش بخطبة فلا يوجد قائل ثم باقل وإن حبّر قلت حبر

نمنمت

نمنمت وخلت رياضا قد نمنمت هذا ثم تربة بوض وفوته
قوض وفلقه غسق وجلبابه خلق وقد فلق لتوغر غرم
غاشم يستحثه حق لازم فإن من ببذنا بلقه بهبات كفه توشح
بمجد فاق وبناء باذخ فلقي من وفاق لا خلت بجايا خلقه ترفد
شائم بوقه بمن كتب ازلي وحي أبدي قال فلما استشف
الأمير لآليها ولمح السر المودع فيها أوعز في الحال بفضّ ديني
وفصل ما بين خصمي وبيني ثم استخلصني لمكاثرته واختصني
بأثرته فلبثت بضع سنين أنعم في ضيافته وأرتع في ريف
رأفته حتى إذا غمرتني مواهبه وأطال ذيلي ذهبه وأفعم حقائبي
ذهبه تلطفت في الارتحال على ما ترى من حسن الحال قال
فقلت له تشكّر المنّ أتاح لك لقيان الشيخ الكريم

وانتقذك به من ضغطة الغرم فقال الحمد لله على سعادة الجد
والخلاص من الخصم الألد ثم قال أيما أحب إليك أن
أحذيك من العطاء أم أتحفك بالرسالة الرقطاء فقلت إملاء
الرسالة أحب إلي فقال وهو حقك أخف علي نحلة ما يلج
في الآذان أهون من نحلة ما يخرج من الأردان ثم كأنه
أنف واستحيا فجمع لي بين الرسالة والحذيا ففرقت منه
بشهين وفصلت عنه بالغنمين وآبت إلى وطني قرير العين
بما حزت من الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال ملت في ريق شبابي الذي غبر إلى
مجاورة أهل الوبر لآخذ أخذ نفوسهم الأبية وألسنتهم

فمنو

فشمرت تشمير من لا يألو اجتهادا وجعلت أضرب في الأرض
غورا ونجدا إلى أن اقتنيت هجمة من الراعية وثلة من
الثاغية ثم أويت إلى عرب أرداف أقيال وأبناء أقوال فآووني
ظنوني أمنع جناب ونزلوا عن حد كل ناب فما نابني
عندهم هم ولا قرع صفاتي سهم إلى أن ضللت في ليلة مشرقة
البدر لنجعة عزيزة الدر فلم أطب نفسا بإغفالها وإلقاء
حبلها على غاربها فتدثرت فرسا محضارا واعتقلت لدنا
خطارا وسريت ليلتي جمعاء أجوب البيداء وأقري كل
شجر ومدر إلى أن نشر الصبح رايته وحيعل الداعي إلى
صلاته فنزلت عن متن الركوبة لأداء المكتوبة ثم جلت
في صهوتها وفررت عن نجوتها وسرت لا أرى أثرا إلا تبعته

ولا نشزا الا علوته ولا واديا الا جزعته ولا راكبا الا
استطلعته وجرى مع ذلك يذهب هدرا ولا يجد وردا ولا
صدرا الى ان حاشت حكة عني ولفح هجير يذهل غيلان
عن مي وكان يوما اطول من ظل القناة واحر من دمع المقلاة
فابتغيت اذ لم اشكن من الوقدة واستحر بالرقدة ادفني
اللغوب وعلقتني شعوب فعجت الى دوحة كثيفة الاغصان
وريقة الافنان لاغور تحتها الى المغيربان فوالله ما ترويح
نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرت الى سايح في هيئة سايح وهو
ينتجع نجعتي ويشتار الى بقعتي فكرهت انعياجه الى معاجي
واستعذت بالله من نزيل مفاجي ثم ترجيت ان يتصدى منتشرا
او يتبدى مرشدا فلما اقترب من دوحتي وكاد على جر ساحتي الفيته

شيخنا

شيخنا السروجي متأبطا جرابه ومضطبنا اهبة جوابه فآنسني
اذ ورد وانساني ما شرد ثم استوضحته من اين اثره وكيف
عجره وبجره فانشد بديها ولم يقل ايها **شعر**

قل لمستطلع دخيلة امري لك عندي كرامة وعزازه
انا ما بين جوب ارض فارض وسرى في مفارة فمفازه
زادي الصيد والمطية نعلي وجهازي الجراب والعكازه
فاذا ما هبطت مصرا فبيتي غرفة الخان والنديم جزازه
ليس لي ما آسى اذا فات او احزن ان حاول الزمان ابتزازه
غير اني ابيت خلوا من الهم ونفسي عن الاسى مجتازه
ارقد الليل ملء جفني وقلبي بارد من حرارة وحزازه
لا ابالي من اي كاس تفوقت ولا ما حلاوة من مزازه

لا ولا استجيز ان احتمل الذل مجازا الى تسني اجازه
فاذا مطلب كسا حلة العار فبعدا لمن يروم نجازه
ومتى اهتز للدناة بكفي عاف طبعي طباعه واهتزازه
فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنا ركوب الجنازه
ثم رفع الى طرفه وقال لامر ما جدع قصير انفه فاخبرته
خبر ناقتي البارحة وما عانيته في يومي البارحة فقال
دع الالتفات الى ما فات والطماح الى ما طاح ولا تأس
على ما ذهب ولو انه وادي من ذهب ولا تستمل من مال عن
ودك واضرم نار بعدك ولو كان ابن بوحك او شقيق
روحك ثم قال هل لك في ان تقيل وتتحامى القال والقيل
فان الابدان انضاء تعب والهاجرة ذات لهب ولن

يصقل

يصقل الخاطر وينشط الفاتر كقايلة الهواجر خصوصا
في شهري ناجر فقلت ذاك اليك وما اريد ان اشق عليك
فافترش الترب واضطجع واظهر لي انه قد هجع وارتفقت
على ان احرس ولا اغفي فاخذتني السنة لما زمت الالسنة
فلم افق الا والليل قد تولج والنجم قد تبلج ولا السروجي ولا
المسرج فبت بليلة نابغية واحزان يعقوبية اساور الوجوم
واساهر النجوم افكر تارة في رحلتي واخرى في رجعتي
الى ان وضح لي عند افترار ثغر الضوء في وجه الجو راكب
يخد في الدو فالمعت اليه بثوبي ورجوت ان يعرج الى صوبي
فلم يعبا بالماعي ولا اوى لالتياعي بل سار على هينته
واصماني بسهم اهانته فاوفضت اليه لاستردفه واحتمل

تعظر فه فلما ادركت الظلع واجلت فيه مسرح العين وجدت
ناقتي مطيته وضالتي لقطته فما لبثت ان اذريته عن
سنامها وجاذبته طرف زمامها وقلت انا صاحبها ومضلها ولي
رسلها ونسلها فلا تكن كاشعب فتتعب وتتعب فاخذ يلدغ
ويضحي ويتنحنح ولا يستحيي وبينا هو يبزو ويلين ويتاسد
ويستكين غشينا ابو زيد لابسا جلد النمر وهاجما هجوم السيل
المنهمر فخفت والله ان يكون يومه كامسه وبدره مثل
شمسه فالحق بالقارظين واصير خبرا بعد عين فلم ار الا ان
اذكره العهود المنسية والفعلة الانسية وناشدته
الله اياتي اليوم لتلافي ام لما فيه اتلافي فقال معاذ الله
ان اجهز على مكلومي او اصل حروري بسمومي بل ساتيك باجر

كنه حالك واكون عينا لك فسكن عند ذلك جاشي وانجاب
استيحاشي واطلعته طلع اللقحة وتبرع صاحبي بالقحة فنظر
اليه نظر الليث الى الفريسة ثم اشرع قبله الرمح واقسم
انه بين نور الصبح لئن لم ينج منجا الذباب ويرض من الغنيمة بالاياب
ليوردن سنانه وريده وليلحقن به وليده ووديده فنبذ زمام
الناقة وحاص وافلت وله حصاص فقال لي ابو زيد تسلمها و
تسنمها فانها احدى الحسنيين وويل اهون من ويلين قال
الحارث فحرت بين لوم ابي زيد وشكره وزنة نفعه بضره
فكانه توجس بذات صدري او تكهن ما جال في سري
فقابلني بوجه طليق وانشد بلسان ذليق شعر
يا اخي الحامل ضيمي دون اخواني وقومي

ان يكن ساءك امسي فلقد سرك يومي
فاغتفر ذا لهذا واطرح شكري ولومي
ثم قال انا تيوق وانت متوق فكيف نتفق وولى يفري
اديم الارض ويركض طرفه ايما ركض فما عدوت ان
افتعدت مطيتي وعدت لطيتي حتى وصلت الى حلتي بعد
اللتيا والتي تفسير ما اودع هذه المقامة من الالفاظ
اللغوية والامثال العربية قوله ويتوق لما تعني اذا له
ودايقه وقد تخفف فيقال ذيق وقوله آخذ اخذ نفوسهم
اي اقتد بهم يقال اخذ اخذه واخذه بكسر الهمزة وفتحها
والعجمة نحو المائة من الابل والثلة القطيع من الغنم
والراغية الابل والثاغية الشاء ومنه قيل ماله ثاغية

ولا راغية اي لا ناقة ولا شاة وقوله ارداف الاقيال
اي هم يخلفون الملوك اذا غابوا وقوله ابناء اقوال اي فصحاء يقال
للمنطيق انه ابن اقوال وقوله فندرت فرسا محضارا الندر
الوثوب على ظهر الفرس والمحضار والمحضير الشديد العدو
وهو ماخوذ من الحضر وقوله اقترى كل شجراء ومرداء
الاقتراء تتبع الارض والشجراء ذات الشجر والمرداء الخالية من
النبات ومنه اشتقاق الامرد لخلو وجهه من الشعر وقوله
حيعل الداعي الى صلوته يعني قول المؤذن حي على الصلوة
حي على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر
الهيللة والحمدلة والحولقة والبسملة والحسبلة
والسبحلة والجعفلة فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله

والحمدلة حكاية قول الحمد لله والحولقة حكاية قول لا حول
ولا قوة إلا بالله والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة
حكاية قول حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله و
الجعفلة حكاية قول جعلت فداك ۞ وقوله فنزلت عن ظهر
من الركوبة يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة
وحلوب وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبتهم والصهوة
مقعد الفارس من الفرس والنخوة الخطوة والجزع قطع الوادي
عرضا وقوله صكة عمي يعني قائم الظهيرة وقد اختلف
في أصله فقيل كان عمي رجلا مغوارا ۞ فغزا قوما عند قائم
الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا لكل
من جاء ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لأنه يسدر
تحيرا

في العوا

في الهواجر فيصطك بما يستقبله ۞ اصطكاك الأعمى
ثم صغر الأعمى تصغير الترخيم فقيل عمي كما صغر وا
أسود وأزهر فقالوا سويد وزهير ۞ وقوله وكان يوما
أطول من ظل القناة يوصف اليوم الطويل بظل القناة
كما يوصف اليوم القصير بإبهام القطاة والعرب
تزعم أن ظل الرمح أطول ظل ومنه قول الشاعر
ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر
وقوله أحر من دمع المقلات فالمقلات التي لا يعيش لها
ولد فدمعها أبدا حار لحزنها لأنه يقال إن دمعة الحزن
حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعو له
أقر الله عينه مأخوذ من القر وهو البرد وقيل إقرار العين

مأخوذ من القرار فكأنه دعا له أن يرزق ما يقر عينه حتى
لا يطمح إلى ما لغيره وقيل للمدعو عليه أسخن الله عينه
مأخوذ من السخنة وهي الحرارة وكانت الجاهلية تزعم أن
المقلات إذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها وإلى هذا
أشار بشر بن أبي خازم في قوله شعر
تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن ألا يلقى على المرء مئزر
وقوله علقت بي شعوب يعني المنية ولا يدخل على هذا الاسم
أداة التعريف مثل دجلة وعرنة ۞ وقوله أغور تحتها إلى
المغيربان التغوير النزول للقائلة كما أن التعريس النزول
آخر الليل للتهويم أو الاستراحة والمغيربان تصغير المغرب
وكان قياس تصغيره المغيرب إلا أن العرب ألحقت آخره

الفا

الغلاونونا على طريق الشذوذ ۞ وقوله مضطغنا أهبة تجوابه
الاضطغان أن يحمل الشيء تحت حضنه والاضطبان أن يجعله
تحت ضبنه والضبن ما بين الإبط والكشح يقال إن أول
مراتب الحمل الإبط ثم تحت الضبن وهو أسفل الإبط
ثم تحت الحضن وهو عند الجنب والتجواب مصدر جاب
وجميع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء إلا قولهم
تلقاء وتبيان لا غير ۞ وقوله عجري وبجري يريد
جميع أمري الظاهر والباطن وأصل العجر العقد الناتئة
في العصب والبجر العقد الناتئة في البطن ۞ وقوله
ولم ينل إيهاها أي لم يأمرني بالكف يقال للمستزاد إيه وللمستكف
إيها ۞ وقوله لأمر ما جدع قصير أنفه هذا هو مولى جذيمة

لمن طلب منه الزيادة — لمن طلب منه الكف

الابرش وكان جدع انفه بيده حين قتلت الزبا مولاه ثم
اتاها واوهمها ان عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة هو الذي
جدع انفه اتهاما له بانه غش خاله جذيمة اذ اشار عليه
بقصدها فحظي بهذا القول عندها حتى جهزته مرارا الى
العراق فكان ياتيها بالطرف منه الى ان استصحب في آخر نوبة
الرجال في الصناديق وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه
منها وقصته مشهورة ٥ وقوله ولو كان ابن بوح يعني
ولد الصلب اشارة الى انه ولد في بلد الزاد وهي عرصتها
وجمعها بوح وقيل ان البوح من اسما الذكر ٥ وقوله
في شهري ناجر يعني شهر الحر وقيل انهما حزيران وتموز وانكر
ابو بكر بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين ٥ وقوله

بت بليلة نابغية اومى به الى قول النابغة شعر
فبت كاني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم ناقع
وقوله المعت اليه بثوبي يعني اشرت يقال لمع والمع بمعنى
واحد وقوله يلدغ ويصي هذا مثل يضرب لمن يظلم
ويشكو يقال صات العقرب تصي صيا بكسر الصاد و
فتحها اذا صوتت وكذلك الفرخ وما احسن قول ابن الرومي
في هذا المعنى
تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
وقوله يبرز وا ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم
يذل ويقال ان اصله الجدي ينزو وهو صغير فاذا كبر
لان ٥ وقوله لابسا جلد النمر اجرا سبع واقله احتمالا
للضيم ومن هذا اشتقاق قولهم تنمر اي صار مثل النمر ٥

وقوله فالحق بالقارظين الاصل في القارظ انه الذي يجني
القرظ وهو النبات الذي يدبغ به والقارظان المشار اليهما
احدهما من عنزة والاخر من النمر بن قاسط وكانا خرجا يجتنيان
القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل
غائب لا يرجى ايابه واليهما اشار ابو ذويب في قوله
وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل
وقوله حروري منسوب الى الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح
الحارة نهارا وقد تقام احديهما مقام الاخرى مجازا ٥ وقوله ليث
العريسة يعني ماوى السبع يقال فيه عريس وعريسة بحذف
الها واثباتها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة
واما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء ٥ وقوله افلت

الغيل والخيس والعرين والغابة واحد

وله حصاص هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة اشفى
عليها او كاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل انه الضراط
فكانه لفزعه يعدو او يضرط ٥ وقوله وبك اهون من
ولي هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله
قول الشاعر وبعض الشر اهون من بعض ٥ وقوله
انا تئق وانت مئق فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافرين
في الخلق فان التئق هو الممتلي غيظا ماخوذ من قولهم
اتأقت الاناء اذا ملاته والمئق هو الباكي فكان التئق
ينزع الى الشر لغيظه والمئق يضيق ذرعا باحتماله ٥ وقوله
لطيتي يعني لقصدي ووجهتي وقد يقال فيها طية بالتخفيف ٥
وقوله بعد اللتيا والتي اللتيا تصغير التي وهو على غير قياس

التصغير المطرد لأن القياس أن يضم أول الاسم إذا صغر

وقد أقر هذا الاسم على فتحة الاصلية عند تصغيرها إلا

أن العرب عوضت عن ضم أوله بأن زادت ألفا في آخره

وأجرت أسماء الإشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير

الذي والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك

وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل هما من أسماء الداهية

وقيل المراد بهما صغير المكروه وكبيره . والله أعلم

المقامة الثامنة والعشرون

أخبر الحرث بن همام قال استبضعت في بعض أسفاري القند

وقصدت به سمرقند وكنت يومئذ تم الشطاط جموم النشاط

أذب عن قوس المراح إلى غرض الأفراح وأستعين بماء

على ملاح الأتراب فوافيتها بكرة عروبة بعدما كابدت

الصعوبة فسعيت وما ونيت إلى أن حصلت البيت فلما

نقلت إليه قندي وملكت قول عندي عجت إلى الحمام على

الأثر وأمطت عني وعثاء السفر وأخذت في غسل الجمعة

بالأثر ثم بادرت إلى مسجدها الجامع في هيئة الخاشع لأحظى من

بقرب من الإمام وبعد أن أفضل الأنعام فحظيت بأن تخطيت

في الحلبة وتخيرت المركز لاستماع الخطبة ولم يزل الناس

يدخلون في دين الله أفواجا ويردون فرادى وأزواجا حتى إذا

اكتظ الجامع بحفله وأطل ساوي الشخص وظله برز الخطيب

في أهبته متهاديا خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة إلى

أن مثل بالذروة فسلم مشيرا باليمين ثم جلس حتى ختم نظم

التأذين

ثم قام وقال الحمد لله الممدوح الأسماء المحمود الآلاء

الواسع العطاء المدعو لحسم اللأواء مالك الأمم ومصور الرمم وأهل

السماح والكرم ومهلك عاد وإرم أدرك كل سر علمه ووسع

كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد كل مارد حوله أحمده

حمد موحد مسلم وأدعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا إله إلا هو

الواحد الأحد العادل الصمد لا ولد له ولا والد ولا ردء معه ولا

مساعد وصل الأرحام وعلم الأحكام أرسل محمدا للإسلام علما

وللملة موطدا ولإسناد الرسل مؤكدا وللأسود والأحمر مسددا

وصل الأرحام وعلم الأحكام ووسم الحلال والحرام ورسم الإحلال

والإحرام كرم الله محله وكمل الصلوة والسلام له ورحم

آله الكرام وأهله الرحماء ما همر ركام وهدر حمام وسرح

سوام وسطا حسام اعملوا رعاكم الله عمل الصلحاء

واكدحوا لمعادكم كدح الأصحاء واردعوا الأهواء ردع الأعداء

وأعدوا للرحلة إعداد السعداء وادرعوا حلل الورع

وداووا علل الطمع وسووا أود العمل وعاصوا وساوس

الأمل وصوروا لأوهامكم حؤول الأحوال وحلول الأهوال

ومساورة الإعلال ومصارمة المال والآل واذكروا الحمام

وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد ووحدة مودعه

والملك وروعة سؤاله ومطلعه والمحوا الدهر ولؤم كره

وسوء مكره كم طمس معلما وأمر مطعما وطحطح عرمرما ودمر

ملكا مكرما همه سك المسامع وسح المدامع وإكداء

المطامع وإرداء المسمع والسامع عم حكمه الملوك والرعاع

والرعاع

والمسوّد المطاع والمحسود لحسّاده والهاد والأساد ما
حوّل الآمال على الآمال ولا وصل الأوصال وكلّم الأوصال
وأسر الأوساء ولؤم الآساء ولا أصحّ الأولاد الأدواء وروّع الأوداء
الله الله رعاكم الله أسرّ الأمر مداومة اللهو ومواصلة السهو
وطول الإصرار وحمل الآصار واطراح كلام الحكماء ومعاصاة
إله السماء ألا الهرم حصادكم والمدر مهادكم ألا الحمام
موردكم والصراط مسلككم ألا الساعة موعدكم
والساهرة موردكم ألا أهوال الطامة لكم مرصدة ألا دار العصاة
الحطمة الموصدة حارسهم مالك ورواؤهم حالك وطعامهم
السموم وهواؤهم السموم لا مال أسعدهم ولا ولد ولا عدد
حماهم ولا عدد ألا رحم الله امرأً ملك هواه وأمّ مسالك

هداه وكدح لروح مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعا والدهر موادعا
والصحة كاملة والسلامة حاصلة وإلا دهمه عدم المرام وحصر
الكلام وإلمام الآلام وحموم الحمام وهدوّ الحواس ومراس الأرماس
آهًا لها حسرة المها موكّدة وأمدها سرمد ومارسها مكمد
ما له حام ولا لسدمه راحم ولا لما عراه عاصم ألهمكم الله
أحمد الإلهام وردّاكم رداء الإكرام وأحلّكم دار السلام
وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملّة الإسلام وهو أسمح الكرام والسلام
قال الحارث بن همام فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط
وعروسا بغير نقط نقطتني دواعي الإعجاب بنظمها العجيب إلى
استجلاء وجه الخطيب فأخذت أتوسّمه جدا وأقلّب الطرف
فيه مجدا إلى أن لاح لي بصدق العلامات أنه أبو زيد ذو المقامات

ولم يكن بدّ من الصمت في ذلك الوقت فأمسكت حتى تحلّل
من الغرض وحلّ الانتشار في الأرض فرض وجهت بلقائه و
ابتدرت لقاءه فلما لحظني خفّ القيام وأحفى في الإكرام
واستصحبني إلى داره وأودعني خصائص أسراره وحين انتشر جناح
الظلام وحان ميقات المنام أحضر أباريق المدام مغلّفة
بالفدام فقلت أتحسوها أمام النوم وأنت إمام القوم فقال
مه أنا بالنهار خطيب وبالليل أطيب فقلت والله ما أدري
أأعجب من سلوّك عن أناسك ومسقط رأسك ومدار كأسك
أم من خطابتك مع أدناسك فأشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني
لا تبك إلفًا نأى ولا دارا ودُر مع الدهر كيف ما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا ومثّل الأرض كلها دارا

واصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيب من دارى
ولا تُضِع فرصة السرور فما تدري أيوما تعيش أم دارا
واعلم بأن المنون جائلة وقد أدارت على الورى دارا
وأقسمت لا تزال قانصة ما كرّ عصر الحياة وما دارا
وكيف يرجى النجاة من شرك لم ينج منها كسرى ولا دارا
قال فلما اعتورنا الكؤوس وطربت النفوس جرّعني اليمين الغموس
على أن أحفظ عليه الناموس فاتبعت مرامه ورعيت ذمامه
ونزّلته بين الملا منزلة الفضيل وسدلت الذيل على مخازي
الليل ولم يزل ذلك دأبه ودأبي إلى أن تهيّأ إيابي
فودعته وهو مصرّ على التدليس ومسرّ حسو الخندريس ٥

المقامة التاسعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال الجاني حكم دهر قاسط الى ان
انتجع ارض واسط فقصدتها وانا لا اعرف بها سكنا
ولا املك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت
بالبيداء والشعرة البيضاء في اللمة السوداء قادني لحظ الناظر
والجد الناكص الى خان تنزله شذاذ الافاق واخلاط الرفاق
وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغب الغريب في استيطانه
وينسيه هوى اوطانه فاستفردت بحجرة ولم انافس في اجرة
فما كان الا كلمح طرف او خطفة حرف حتى سمعت جاري مترنما
يقول لنزيله في البيت قم يا بني لا قعد جدك ولا قام ضدك
فاستصحب ذا الوجه البدري واللون الدري والاصل النقي
والجسم الشقي الذي نبش وحشر وسجن وشهر وسقي وفطم و

ادخل

ادخل النار بعد ما لطم ثم اركض الى السوق ارتكاض
المشوق فتعاوض باللائح المليح المفسد المصلح المكمد
المفرح المغني المروح ذا الزفير المحرق والجبين المشرق واللفظ
المقنع والنيل الممتع الذي اذا طرق رعد وبرق وباح بالحرق
ونفث في الحرق قال فلما قرت شقشقة الهادر ولم يبق
الا صدر الصادر برز فتى بهي ومعه انيس فرايتها
عضلة تلعب بالعقول وتغري بالدخول في الفضول فانطلقت
في اثر الغلام لاخبر فحوى الكلام فلم يزل يسعى سعي العفاريت
ويتفقد نضائد الحوانيت حتى انتهى عند الرواح الى حجارة
القداح فناول بائعها رغيفا وتناول منه حجرا لطيفا
فعجبت من فطانة المرسل والمرسل وعلمت انها سر وجيه وان لهما ال

وما كذبت ان بادرت الى الخان مطلق العنان لاخبر كنه
نعي وهل نطق في التكهن سهمي فاذا انا في الفراسة فارس و
ابو زيد بوصيد الخان جالس فتهادينا بشرى الالتقاء وتعارضنا
تحية الاصدقاء ثم قال ما الذي نابك حتى رايت خلتك فقلت
دهر عاض وجور ناض فقال والذي انزل المطر من الغمام و
اخرج الثمر من الاكمام لقد فسد الزمان وعم العدوان وعدم
المعوان والله المستعان فكيف فلتت وعلى اي وصف
انجفلت فقلت اتخذت الليل قميصا وادلجت فيه خميصا
فاطرق ينكت في الارض ويفكر في ارتياد القرض والفرض
ثم اهتز هزة من اكتنه قنص او بدت له فرص وقال قد علق
بقلبي ان تصاهر من يا سواجراتك ويريش جناحك فقلت وكيف اجمع

بين

بين غل وقل ومن الذي يرغب في فضل بن ضل فقال انا المشير بك
والسفير لك والوكيل لك وعليك مع ان دين القوم جبر الكسير ومك
الاسير واحترام العشير واستنصاح المشير الا انهم لو خطب اليهم
ابرهيم بن ادهم او جبلة بن الايهم لما زوجوه الا على خمسمائة درهم
اقتداء بما مهر الرسول ذو جاته وعقد عليه انكحة بناته على
انك لن تطالب بصداق ولن تلجا الى طلاق ثم اني ساخطب
في موقف عقدك ومجمع حشدك خطبة لم تفتق رتق سمع
ولا خطب بمثلها في جمع قال الحارث بن همام فازدهاني
بوصف الخطبة المتلوة دون الخطبة المجلوة حتى قلت
له قد وكلت اليك هذا الخطب فدبره تدبير من طب لمن
حب فنهض معرولا ثم عاد متهللا ثم قال ابشر باعتاب الدهر

واختلاب الدر فتقرر تلبث العقد واكتفلت التعقد وكان قد
ثم أحضرني مع لعدة أهل الخان وإعداد حلو الخوان فلما مد الليل
أطنابه وأغلق كل ذي باب بابه أذنه الجماعة الا الحضور في هذا
الساعة فلم يبق منهم إلا من لي صوته وحضر بيته فلما اصطفوا
لديه واجتمع الشاهد والمشهود عليه جعل يرفع الاصطرلاب و
يضعه ويلحظ التقويم ويدعه إلى أن نعس القوم وغشي النوم فقلت
له يا هذا ضع الفأس في الراس وخلص الناس فنظر نظرة في النجوم ثم
انبسط من عقلة الوجوم وأقسم بالطور والكتاب المسطور ليتكشفن
سر هذا الأمر المستور ولينتشرن ذكره إلى يوم النشور ثم جثا
على ركبته واستدعى الاستماع لخطبته **وقال**
الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود ومآل كل مطرود

ساطح المهاد وموطد الأطواد ومرسل الأمطار ومسهل
الأوطار عالم الأسرار ومدركها ومدمر الأملاك ومهلكها و
مكور الدهور ومكررها ومورد الأمور ومصدرها عم سماحه و
كمل وهطل ركامه وهمل وطاول السؤل والأمل وأوسع المرمل
والأرمل أحمده حمدا ممدودا مداه وأوحده كما وحد الأواه وهو
الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدله وسواه أرسل
محمدا علما للإسلام وإماما للحكام ومسددا للرعاع ومعطلا
أحكام ود وسواع أعلم وعلم وحكم وأحكم وأصل الأصول
ومهد وأكد الوعود وأوعد وصل الله له الإكرام وأودع
روحه السلام ورحم آله وأهله الكرام ما لمع آل وملع رال
وطلع هلال وسمع إهلال ٥ اعملوا رحمكم الله أصلح

الأعمال واسلكوا مسالك الحلال واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا
أمر الله وعوه وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا الأهواء واردعوها
وصاهروا لحمة الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع
ومصاهركم أطهر الأحرار مولدا وأحلاهم موردا وأسراهم
سؤددا وأصحهم موعدا وها هو قد أمكم وحل حرمكم
مملكا عروسكم المكرمة وماهرا لها كما مهر الرسول
أم سلمة وهو أكرم صهر أودع الأولاد وملك ما أراد
وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم أسأل
الله لكم إحماد وصاله ودوام إسعاده وألهم كلا إصلاح
حاله والإعداد لمعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمد
فلما فرغ من خطبته البديعة النظام العرية من الإعجام عقد

العقد على الخمس المئين وقال بالرفاء والبنين ثم أحضر الحلواء
التي كان أعدها وأبدى الأبدة عندها فأقبلت إقبال الجماعة
عليها وكدت أهوي بيد كلالبها فزجرني عن المواكلة وانفضني
للمناولة فوالله ما كان بأسرع من نضانض الأجفان حتى خر
القوم للأذقان فلما رأيتهم كأنهم أعجاز نخل خاوية
أو كصرعى بنت خابية علمت أنها أخت الكبر وأم العبر
فقلت له يا عدي نفسه وعبيد فلسه أعددت للقوم
حلوا أم بلوى فقال لم أعد خبيص البنج في صحاف الخلنج فقلت
أقسم بمن أطلعها زهرا وهدى بها السارين طرا لقد جئت
شيئا نكرا وأبقيت لك في المخزيات ذكرا ثم حرت فكرة في
ما يصير إليه الأمر في صبور أمره وخيفة من عدوى عره حتى

طارت نفسي شعاعاً وارتعدت فرائصي ارتياعاً فلما رأت
استطارة فرقي واستشاطة قلقي قال ما هذا الفكر المريض
والروع المومض فإن يكن نكر كل المنجلي لا يجلي فأنا الآن أربع
والظفر وأقوى هذه البقعة مني وأقفر وكم مثلها فارقتها
وهي تصفر وإن يكن نظراً لنفسك وحذراً من حسك فتناول
فضالة الخبيص وطب نفساً عن القميص حتى تأمن المستغرب
والمعتدك ويتمهد لك الأمر بعدك وإلا فأنا المعرّ المفترق قبل أن تنجب
ونجز ثم عمد لاستخراج ما في البيوت من الأكياس والصروف
وجعل يستخلص خالصة كل مخزون ونخبة كل مذروع وموزون
حتى غادر ما ألغاه فحته كعظم استخرج مخه فلما اهتز ما
اضطفاه ورزمه وشمر عن ذراعه للادلاج وتحزم أقبل

عليّ إقبال من لبس الصفاقة وخلع الصداقة وقال
هل لك في المصاحبة إلى البطيحة لأصلك بأخرى مليحة فأقسمت
له بالذي جعله مباركاً أينما كان ولم يجعله ممن خان في خان
إنه لا قبل لي بنكاح حرّتين ومعاشرة ضرّتين ثم قلت له
يا هذا أما تكفيني الأولى فخراً فاطلب لأخرى فتبسم من كلامي
ودلف لالتزامي فلويت عنه عذاري وأبديت له ازوراري فلما
بصر بانقباضي وتجلّى له إعراضي **أنشد**

يا صارماً عني المودّة والزمان له صروف
ومعنّفي في هجر من جاوزت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما أتيت فإنني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم أرهم يراعون الضيوف

وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف
ما فيهم إلا مخيف إن تمكّن أو مخوف
لا بالشفيق ولا الوفيّ ولا الحفيّ ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذئب الضريّ على الخروف
وتركتهم صرعى كأنهم سقوا كأس الحتوف
وتحكّمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الأنوف
ثم انثنيت بمغنم حلو المجاني والقطوف
ولطالما خلّفت مكلوم الحشا خلفي يطوف
ووترت أرباب الأرائك والدرانك والسجوف
ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف
ووقفت في هول تراع الأسد فيه من الوقوف

ولكم سفكت وكم فتكت وكم هتكت حمى أنوف
وكم ارتكاض موبق في الذنوب وكم خفوف
لكنني أعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف

قال فلما انتهى إلى هذا البيت لجّ في الاستعبار وألظّ با
لاستغفار حتى استمال رضى قلبي المنحرف ورجوت له ما
يرجى للمقترف المعترف ثم إنه غيّض دمعه المنهل
وتأبط جرابه وانسلّ ثم قال لابنه احتمل الباقي والله الواقي
قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت انسياب الحية و
الحبية وانتهاء الدار إلى الكية علمت أن لبثي في الخان
مجلبة للهوان فضممت رحلي وجمعت للرحلة ذيلي وبتّ
ليلتي أسري إلى الطيب واحتسب الله على الخطيب

المقامة الثلثون

حكى الحارث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور الى بلدة صور
فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض وبالك رفع وخفض
تقت الى مصر توقان السقيم الى الاساة والكريم الى المواساة
فرفضت بها علائق الاقامة ونفضت عوائق المقامة
واعروريت ظهر ابن النعامة واجفلت نحوها اجفال النعامة
فلما دخلتها بعد معاناة الاين ومداناة الحين كلفت بها كلف
النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينما انا يوما
بها اطوف وتحتي فرس قطوف اذ رأيت على جرد من الخيل
عصبة كمصابيح الليل فسألت لانتجاع النزهة عن الرفقة
والوجهة فقيل اما القوم فشهود واما المقصد فاملاك

مشهود

مشهود فحدتني ميعة النشاط على ان اخرج مع الفراط لافوز
بحلاوة اللقاط واحوز حلوا السماط فافضينا بعد مكابدة رعب
الى دار رفيعة البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء
والسناء فلما نزلنا عن صهوات الخيول وقدمنا الاقدام للدخول
رأيت دهليزها مجللا باطمار مخرقة ومكللا بمخارف معلقة
وهناك شخص على قطيفة فوق دكة لطيفة فابتى عنوان
الصحيفة ومرأى هذه البدعة الطريفة ودعاني التطير بتلك
المناحس الى ان عمدت لذلك الجالس فعزمت عليه بمصرف
الاقدار ليخبرني من رب هذه الدار فقال ما لها مالك معين
ولا صاحب مبين انما هي مضطبة المتعيفين والمدروزين
ووليجة المتقشفين والمجلوزين فقلت انا لله على ضلة

المسعى وانجال المرعى وهممت بالحال بالرجعى ولكنني
استهجنت العود من فوري والقهقرة دون غيري فولجت
الدار متجرعا الغصص كما يلج العصفور القفص واذا فيها ارائك
منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة وسجوف
مرصوفة وقد اقبل المملك يميس في بردته ويتبختر بين
حفدته فحين جلس كانه ابن ماء السماء نادى مناد من قبل الاحماء
وحرمة ساسان استاذ الاستاذين وقدوة الشحاذين لا عقد هذا
العقد المبجل في ذا اليوم الاغر المحجل الا الذي جال وجاب
وشب في الكدية وشاب فاعجب اهل الصهر ما اشار واليه
واذنوا في احضار المنصوص عليه فبرز حينئذ شيخ قد ال
الملوان قامته ونور الغتيان ثغامته فتباشرت الجماعة

باقباله

باقباله وتبادرت الى استقباله فلما جلس على زربيته
وسكنت الضوضاء لهيبته ازدلف الى مسنده ومسح سبلته بيده
ثم قال الحمد لله المبتدي بالافضال المبتدع للنوال
المتقرب اليه بالسؤال المؤمل لتحقيق الآمال الذي شرع الزكوة
في الاموال وزجر عن نهر السؤال وندب الى مواساة المضطر و
امر باطعام القانع والمعتر ووصف عباده المقربين في كتابه المبين
فقال وهو اصدق القائلين والذين في اموالهم حق معلوم للسائل
والمحروم احمده على ما رزق من طعمة هنية واعوذ به من استماع
دعوة بلا نية واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
اله يجزي المتصدقين والمتصدقات ويمحق الربوا ويربي الصدقات
واشهد ان محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه لينسخ

الظُّلمةَ بالضياء، ويَنتصِفُ للفقراء من الأغنياء، فرفق صلّى الله
عليه بالمكين، وخفض جناحه للمسكين، وفرض الحقوق في أموال
المثرين، وبيّن ما يجب للمقلّين على المكثرين، صلّى الله عليه صلوةً تحظيه
بالزُّلفة، وعلى أوليائه من أصحاب الصفّة. أما بعد فإنّ الله تعالى
شرع النكاح لتتعفّفوا، وسنّ التناسل لكي تتضاعفوا، فقال
تعالى (يا ايها الناس) إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى، وجعلناكم
شعوبًا وقبائل لتعارفوا، وهذا أبو الدرّاج ولّاج بن خرّاج ذو
الوجه الوقاح، والإفك الصُّراح، والعربدة والصياح، والإبرام والإلحاح،
يخطب سليطة أهلها، وشريطة بعلها، قنبس بنت أبي العنبس،
لما بلغه من التحافها بلحافها، وإسرافها في إسفافها، واتكالها
على معاشها، وانتعاشها عند هراشها، وقد بذل لها من الصداق

ثلاقها وعكّازًا، وصقاعًا وكرّازًا، فأنكحوه إنكاح مثله، وصِلوا
حبلكم بحبله، فإن خفتم عَيلةً فسوف يغنيكم الله من فضله،
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، وأسأله أن يكثر
في المعاطب نسلكم، وأن يحرس من المعاطب شملكم. فلمّا فرغ الشيخ
من خطبته، وأبرم للختن عقد خطبته، تساقط من النثار ما استغرق
حدّ الإكثار، وأغرى الشحيح بالإيثار، ثم نهض الشيخ يسحب
ذلاذله، ويقدم أراذله. **قال الحرث بن همام** فتبعته لأنظر
عرجة القوم، وأكمل بهجة اليوم، فعاج بهم إلى سماطٍ زيّنته
طهاته، وتناصفت في الحسن جهاته، فجنح كلّ شخصٍ منّا
على رُضيته، وطفق يرتع في روضته، إذ انسللت من الصفّ و
نزرت من الزحف، فحانت من الشيخ لفتة إليّ، ونظرة هجم بها ناظره عليّ

فقال لي إلى أين يا بوم، هلّا عاشرت معاشرة من فيه كرم، فقلت
والذي خلقها طباقًا، وطبّقها إشراقًا، لا ذقت لماقًا، أو تخبرني
من أين مدبّ صباك، ومهبّ صباك، فتنفّس الصعداء مرارًا،
وأرسل البكاء مدرارًا، حتى إذا استنزف الدمع استنصت الجمع
وقال لي اسمع

مسقط الرأس سروج ... وبها كنت أموج
بلدةٌ يوجد فيها كلّ شيءٍ ويروج ... وردها من سلسبيلٍ وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم نجومٌ وبروج ... حبّذا نفحة ريّاها ومرآها البهيج
وأزاهير رباها حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرسى جنّة الدنيا سروج
ولمن نزاح عنها زفرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ زحزحني عنها العلوج

عبرةٌ تهمي وشجوٌ كلّما قرّ يهيج
وهمومٌ كلّ يومٍ خطبها خطبٌ مريج ... ومساعٍ في الترجّي فاترات الخطو عوج
ليت يومي حُمّ لمّا حُمّ لي منها الخروج

قال فلمّا تبيّنت بلاده، ووعيت ما أنشده، أيقنت أنه
علّامتنا أبو زيد، وإن كان الهرم قد أوثقه بقيد، فبادرت
إلى مصافحته، واغتنمت مواكلته من صحفته، فظلت مدّة مقامي
بمصر أعشو إلى شواظه، وأحشو صدفي من درر ألفاظه،
إلى أن نعب بيننا غراب البين، ففارقته مفارقة الجفن للعين.

المقامة الحادية والثلثون

حكى الحارث بن همّام قال كنت في عنفوان الشباب
وريعان العيش اللباب، أقلي الاكتنان بالغاب، وأهوى

الاندلاق من القراب لعلمي أن السفر ينتج السفر ويفتح الظفر
ومعاقرة الوطن تعقر الفطن وتخفر من قطن فأجلت قداح
الاستخارة واستثرت زناد الاستخارة ثم اشحنت جاشا
أثبت من الحجارة وأصعدت إلى ساحل الشام للتجارة فلما
خيمت بالرملة وألقيت بها عصا الرحلة صادفت ركبانا
يعدون للسرى ورحالا تشد إلى أم القرى فعصفت بي ريح
الغرام واهتاج لي شوق إلى البلد الحرام فزممت ناقتي ونبذت
علقي وعلاقتي

شعر

وقلت للائمي أقصر فإني سأختار المقام على المقام
وأنفق ما جمعت بأرض جمع وأسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل

وإلى

وإلى الخير جري الخيل فلم نزل بين إدلاج وتأويب وإعناق
وتقريب إلى أن حيينا أيدي المطايا بالتحفة في إبصار إلى
الجحفة فحللناها متأهبين للإحرام متباشرين بإدراك
المرام فلم يك إلا أن أنخنا الركائب وحططنا الحقائب
حتى طلع علينا من بين الهضاب شخص ضاحي الإهاب
وهو ينادي يا أهل ذا النادي هلم إلى ما ينجي يوم التنادي
فانحاز إليه الحجيج وانثالوا وانخفزوا إليه وانصتوا فلما
رأى تألبهم حوله واستطاعتهم قوله تسنم إحدى
الأكام ثم تنحنح مستفتحا للكلام وقال يا معشر الحجاج
الناسلين من الفجاج أتعقلون ما تواجهون وإلى من توجهون
أم تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون أتظنون أن

الحج هو اختيار الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل وابتغاء
الزاد والملام تظنون أن النسك هو نقص الأردان وإنضاء الأبدان
ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان كلا والله بل هو
اجتناب الخطيئة قبل اجتلاب المطية وإخلاص النية في قصد
تلك البنية وإخلاص الطاعة عند وجدان الاستطاعة وإصلاح
المعاملات قبل إعمال اليعملات فوالذي شرع المناسك للناسك وأرشد السالك
في الليل الحالك ما ينفع الاغتسال بالذنوب من الانغماس
في الذنوب ولا يعدل تعرية الأجسام بتغطية الإجرام ولا
تغني لبسة الإحرام عن المتلبس بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالإزار
مع الاضطلاع بالأوزار ولا يجدي التقرب بالحلق مع التعاب
ظلم الخلق ولا يرحض التنسك بالتعصير دون التمسك بالتقصير

ولا يسعد

ولا يسعد بعرفة غير أهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من يرغب
في الحيف ولا يشهد المقام إلا من استقام ولا يحظى بقبول
الحجة من زاغ على المحجة فرحم الله امرءا صفا قبل سعاه إلى
الصفا وورد شريعة الرضا قبل شروعه على الأضا ونزع عن تلبيس
قبل نزع ملبوسه وفاض معروفه قبل الإفاضة من تعريفه ثم
رفع عقيرته بصوت أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم وأنشد

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ولا اعتمالك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على تجريد حج لا تقضي به حاجا
وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا ردع الهوى هاديا والحق منهاجا
وأن تواسي بما أوتيت مقدرة من مد كفا إلى جدواك محتاجا
فهذه إن حوتها همة كملت وإن خلا الحج منها كان إخداجا

حسب المرائين غبنا انهم غرسوا وما جنوا ولقوا كدا وازعاجا
وانهم حرموا الاجر او محمدة والحموا عرضهم من عاب اوهاجا
اخي فانبع بما تبديه من قرب وجه المهيمن ولاجا وخراجا
فليس يخفى على الرحمن خافية ان اخلص العبد في الطاعات او داجى
وبادر الموت بالحسنى تقدمها فما يبعثه داعي الموت ان فاجا
واقن التواضع خلقا لا تزايله عنك الليالي ولو البستك التاجا
ولا تشم كل خال لاح بارقه ولو تراءى هتون الودق ثجاجا
فما كل داع باهل ان يصاخ له كم قد اصم نعي بعض من ناجى
وما اللبيب سوى من بات مقتنعا ببلغة يدرج الايام ادراجا
وكل كثر الى قل مغبته وكل باد الى لين وان هاجا
قال الراوي فلما الفح عم الانعام بسحر الكلام اشرأبت

نحو ابي زيد وماد بي الارتياح اليه اي ميد فمكثت حتى
استوعبت شكمته وانحدر من اكمته ثم دلفت اليه
لاتصفح صفحات محياه واستشف جوهر حلاه فاذا هو رضالته
التي انشدها وناظم القلائد التي انشدها فعانقته عناق
اللام للالف ونزلته منزلة البرء عند الدنف وسالته
ان يلازمني فابى او يزور املي فما لو قال اليت في حجتي هذه ان لا
احتقب ولا اعتقب ولا اكتسب ولا انتسب ولا ارتبق
ولا ارافق ولا اوافق من نافق ثم ذهب يعرولك و
غادرني اولولك فلم ازل اقري به نظري واود لو يفتى على ناظري
حتى توقل احد الاطواد وتعد للحجيج بالمرصاد حين شاهد
ابضاع الركبان في الكثبان رمقتها بالبنان على البنان واقبل ينشد

ليس من زار البيت مثل ساع على القدم — لا ولا خادم اطاع كعاص من الخدم
كلنا يا قوم بيتوك سعي بان ومن هدم — سيقيم المفرطون غدا مأتم الندم
ويقول الذي تقرب طوبى لمن خدم — ويك يا نفس قدمي عند ذي القدم
وادري زخرف الحيوة فوجدانه عدم — واذكري مصرع الحمام اذا خطبه صدم
وانتهي فعلك القبيح وتحي له بدم — وادفعيه بتوبة قبل ان يحلم الادم
فعسى الله ان يقيل العثرة الذي اجترم — يوم لا عثرة تقال ولا ينفع الندم

ثم انه الخمد عضب لسانه وانطلق لشانه فما زلت في كل
مورد نرده ومعرس نتوسده انتقده فافتقده واستخبر
من نشده فلا اجده حتى خيلت ان الجن اختطفته
فما كابدت في الغربة كهذه الكربة ولا منيت في سفرة بمثلها من زفرة

المقامة الثانية والثلثون

حكى الحارث بن همام قال اجمعت حين قضيت مناسك الحج
واقمت وظايف النحر والعج ان اقصد طيبة مع رفقة من بني
شيبة لازور قبر المصطفى واخرج من قبيل من حج وجفا فارجف
بان المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة فحرت بين
اشفاق يثبطني واشواق ينشطني الى ان القي في روعي الاستسلام
وتغليب زيارة قبره عليه السلام فاعتمت القعدة واعددت العدة
ورحت والرفقة لا نلوي على عرجة ولا ننثني في تاويب ولا دلجة
حتى وافينا بني حرب وقد ابوا من حرب فازمعنا ان نقضي ظل ذلك
اليوم في حلة اولئك القوم وبينا نحن نخبر المناخ ونرود الورد النقاخ
اذ رايناهم يركضون كانهم الى نصب يوفضون فرابنا
انثيالهم وسالناهم ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب
اضياف

فاهم لهذا الشيب. فقلت لي فتى ألا نشهد مجمع الحي لنتبين
الرشد من الغي. فقالوا لقد أسمعت إذ دعوت ونصحت وما ألوت
ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي حتى إذا أظللنا عليه و
استشرفنا الحلقة المنهود إليه ألفينا أبا زيد ذا الشعر والبقر
والفواقر والفقر وقد اعتم القعداء واشتمل الصماء وقعد
القرفصاء وأعيان الحي به محتفون وأخلاط الخلق عليه ملتفون
وهو يقول سلوني عن المعضلات واستوضحوا مني المشكلات
فوالذي فطر السماء وعلم آدم الأسماء إني لفقيه العرب العرباء و
أعلم من تحت الجرباء. فصمد له فتى فتيق اللسان جريء الجنان
وقال إني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتخلت منهم مائة فتيا
فإن كنت ممن يرغب عن بنات غير ويرغب في مير فاستمع وأجب

لنقابلك بما يجب. فقال له الله أكبر سيبين المخبر وينكشف
المضمر. فاطرح بما تؤمر. فقال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس
ظهر نعله. فقال انتقض وضوؤه بفعله. النعل الزوجة. قال
فإن توضأ ثم أكمأه البرد. قال يجدد الوضوء من بعد. البرد النوم
قال أيمسح المتوضئ أنثييه. قال قد ندب إليه ولم يوجب عليه.
الأنثيان الأذنان. قال أيجوز الوضوء بما يقذفه الثعبان. قال
وهل أنظف منه للعريان. الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادي
قال أيستباح ماء الضرير. قال نعم ويجتنب ماء البصير. الضرير
جوف الوادي والبصير الكلب. قال أيحل الطوف في الربيع. قال
يكره ذاك للحدث الشنيع. الطوف الغوط والربيع النهر.
قال أيجب الغسل على من أمنى. قال لا ولو ثنى. أمنى نزل منى

يقال منه منى وأمنى وامتنى. قال فهل يجب على الجنب غسل فروته
قال أجل وغسل إبرته. الفروة جلدة الرأس. والإبرة عظم المرفق.
قال وإن أطلع غسل فأسه. قال هو كما لو اغفل غسل رأسه. الفأس
العظم المشرف على نقرة القفا. قال فما تقول فيمن تيمم
ثم رأى روضا. قال يبطل تيممه فليتوضأ. الروض هاهنا جمع
روضة وهي الصبابة تبقى في الحوض. قال أيجوز أن يسجد
الرجل في العذرة. قال نعم ولتجانب العذرة. العذرة فناء
الدار. قال أيجوز للدارس حمل المصاحف. قال لا ولو حملها
في الملاحف. الدارس الحائض. قال فهل يجوز له السجود على
الخلاف. قال لا ولا على أحد أطراف الخلاف. الكم. قال
فإن سجد على شماله. قال لا بأس بفعاله. الشمال جمع شملة

قال فهل يجوز السجود على الكراع. قال نعم دون الذراع. الكراع
ما استطال من الحرة. قال أيصلي على رأس الكلب. قال نعم كسائر
الهضب. رأس الكلب ثنية معروفة. قال ما تقول فيمن صلى و
عانته بارزة. قال صلاته جائزة. العانة الجماعة من حمر الوحش.
قال فإن صلى وعليه صوم. قال يعيد ولو صلى مائة يوم.
الصوم ذرق النعام. قال فإن حمل جروا وصلى. قال هو كما
لو حمل الباقلى. الجرو الصغار من القثاء والرمان. قال أتصح صلوة
حامل القروة. قال لا ولو صلى فوق المروة. القروة ميلغة الكلب.
قال فإن قطر على ثوب المصلي نجو. قال يمضي في صلوته ولا غرو
النجو السحاب الذي قد هراق ماءه. قال أيجوز أن يؤم الرجال
مقنع. قال نعم ومدرع. المقنع لابس المغفر والمدرع

لابس الدرع. قال فان امهم من فخذه وقف. قال يعيدون
ولو انهم الف. الوقف السوار من العاج او الذبل فاراد انه لا يجوز
للرجال الايتمام بالنساء والطامث هاهنا المراة التي قد طهرت من
الحيض. قال فان امهم من فخذه بادية. قال صلوته وصلاتهم
ماضية. الفخذ العشيرة وبادية يسكن البدو واختار بعض
اهل اللغة تسكين الخاء من هذه الفخذ ليفرق بينها وبين الفخذ من
الاعضاء. قال فان امهم الثور الاجم. قال صل وخلاك
ذم. الثور السيد والاجم الذي لا رمح معه. قال ايجوز
القصر في صلوة الشاهد. قال لا والغايب الشاهد صلوة
الشاهد صلوة المغرب سميت بذلك لاقامتها عند طلوع
النجم لان النجم يسمى الشاهد. قال ايجوز للمعذور

ان يفطر في شهر رمضان. قال ما رخص فيه الا للصبيان
المعذور المختون وهو ايضا المعذر. قال فهل للمعرس
ان ياكل فيه. قال نعم يحل فيه المعرس المسافر الذي ينزل
في آخر الليل ليستريح ثم يرتحل. قال فان افطر فيه الغراة قال
لا ينكر عليه الولاة. الغراة الذين تاخذهم الغروا وهي الحمى
برعدة. قال فان اكل الصايم من بعد ما اضحى اي استضحى
بالمصباح. قال فان عمد لان اكل ليلا. قال يتم للقضاء
ذيلا. الايل قيل انه فرخ الحبارى وقيل انه ولد الكروان.
قال فان اكل قبل ان تتوارى البيضاء. قال يلزمه والله
القضاء. البيضاء من اسما الشمس. قال فان استشار الصايم الكبد.
قال افطر ومن احل الصيد. الكبد الغني واستشاره استدعاها

قال فهل يفطر بالحلح الطالح. قال نعم. لا يطاي المطالح
الطالح الحمى الصالب. قال فان ضحكت المراة في صومها قال بطل
صوم يومها ضحكت هاهنا اي حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت
فبشرناها باسحق. قال فان ظهر الجدري على ضرتها قال تفطر
اذا اذن بصرتها. الضرة اصل الابهام واصل الثدي ايضا. قال
ما يجب في مائة مصباح. قال حقتان يا صاح. المصباح الناقة التي
تصبح في المبرك. قال فان ملك عشر خناجر. قال يخرج شاتين
ولا يشاجر. الخناجر النوق الغزار. واحدها خنجر وخنجور.
قال فان بيع للساعي بحميمته. قال يا بشرى له يوم قيامته
الساعي جابي الصدقة والحميمة خيار المال. قال ايستحق
حملة الاوزار من الزكوة جزء. قال نعم اذا كانوا غزاة. الاوزار السلاح

وغزا اجمع غازي. قال ايجوز للحاج ان يعتمر. قال لا ولا ان يختمر
الاعتمار لبس العمارة وهي العمامة والاختمار لبس الخمار. قال
فهل له ان يقتل الشجاع. قال نعم كما يقتل السباع. الشجاع الحية
قال فان قتل زمارة في الحرم. قال عليه بدنة من النعم.
الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار. قال فان رمى ساق
حر فجدله. قال يخرج شاة بدله. ساق حر ذكر القماري.
قال فان قتل ام عوف بعد الاحرام. قال يتصدق بقبضة
من طعام. ام عوف الجرادة. قال ايجب على الحاج استصحاب
القارب. قال نعم ليسوقهم الى المشارب. القارب طالب الماء ليلا.
قال فما تقول في الحرام بعد الشبث. قال قد حل في ذلك الوقت
الحرام المحرم والشبث حلق الراس وحل من علل الحج. قال [illegible]

في بيع الكميت قال حرام كبيع الميت الكميت الخمر ۞ قال أيجوز بيع الخل بلحم الجمل قال لا ولا بلحم الحمل الخل ابن مخاض ولا يحل
بيع اللحم بالحيوان سواء كان من جنسه أو من غير جنسه ۞ قال
أيحل بيع الهدية قال لا ولا بيع السبية الهدية بالتشديد
ما يهدى إلى الكعبة وقد يقال منها هدية بتسكين الدال
وتخفيف الياء والسبية الخمر ۞ قال ما تقول في بيع العقيقة
قال محظور على الحقيقة العقيقة ما يذبح عن المولود في اليوم
السابع من ولادته ۞ قال أيجوز بيع الداعي على الراعي قال لا
ولا على الساعي الداعي بقية اللبن في الضرع والساعي جابي الصدقة
وقد مضى تفسيره ۞ قال أيباع الصقر بالتمر قال لا ومالك
الخلق والأمر الصقر الدبس ۞ قال أيشتري المسلم سلب المسلمات

قال نعم ويورث عنه إذا مات السلب لحاء الشجر وهو أيضا
خوص الثمام ۞ قال فهل يجوز أن يبتاع الشافع قال ما الجواز
من دافع الشافع الشاة التي معها ولدها ۞ قال أيباع الأبرق
على بني الأصفر قال يكره كبيع المغفر الأبرق السيف الصقيل
الكثير الماء وبنو الأصفر الروم ۞ قال أيجوز أن يبيع الرجل صيفيه
قال لا ولكن يبيع صيفيته الصيفي الولد على الكبر والصيفية
الناقة الغزيرة الدر ۞ قال فإن اشترى عبدا فبان بأمه جراح
قال ما في رده جناح الآمة مجتمع الدماغ ۞ قال أتثبت الشفعة
للشريك في الصحراء قال لا ولا للشريك في الصفراء الصحراء الأتان التي
يمازج بياضها غبرة ۞ قال أيحل أن يحمى ماء البير والخلا قال
إن كان في الفلا فلا يحمى يمنع والخلا الكلأ ۞ قال ما تقول في ميتة

الكافر قال حل للمقيم والمسافر الكافر البحر والميتة السمك
الطافي فوق مائه ۞ قال أيجوز أن يضحي بالحول قال هو أجدر
بالقبول الحول جمع حائل ۞ قال فهل يضحى بالطالق قال نعم
ويقرى منها الطارق الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت ۞
قال فإن ضحى قبل ظهور الغزالة قال شاة لحم بلا محالة الغزالة
الشمس وقال بعضهم يقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت ۞
قال أيحل الكسب بالطرق قال هو كالقمار بلا فرق الطرق الضرب
بالحصا وهو من أفعال الكهنة ۞ قال أيسلم القائم على القاعد
قال المحظور فيما بين الأباعد القاعد التي قد قعدت عن الحيض
أو عن الأزواج ۞ قال أينام العاقل تحت الرقيع قال أجنبت
به في البقيع الرقيع السماء والبقيع بقيع المدينة ۞ قال

أيمنع الذمي من قتل العجوز قال لمعارضته في العجوز لا يجوز العجوز
الخمر وقتلها مزجها ۞ قال أيجوز للوطات أن يشتغل بعمارة أبيه
قال ما يجوز للحامل ولا نبيه العمارة القبيلة قال ما تقول في التهود
قال هو مفتاح التزهد التهود التوبة ومنه قوله تعالى إنا هدنا إليك
قال ما تقول في صبر البلية قال أعظم به من خطية الصبر الحبس و
البلية الناقة تحبس عند قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى إلى
أن تموت وكانت الجاهلية تزعم أن صاحبها يحشر عليها ۞
قال أيحل ضرب السفير قال نعم والحمل على المستشير السفير ما
تساقط من ورق الشجر والمستشير الجمل السمين وهو أيضا
الجمل الذي يعرف اللاقح من الحائل ۞ قال أيعزر الرجل أباه قال
يفعله البر ولا يأباه التعزير التعظيم والنصرة ۞ قال ما تقول

فيمن أفقر أخاه قال حبذا ما توخاه ۔ أفقره أي أعاره ناقة
يركب فقارها ۔ قال فإن أعرى ولده قال يا حبذا ما اعتمده أعراه
أعطاه ثمرة نخله عاما ۔ قال فإن أصلى مملوكه النار قال لا إثم
عليه ولا عار المملوك العجين الذي أجيد عجنه حتى نوى ۔ قال فهل
يجوز للمرأة أن تصرم بعلها قال ما حظر أحد فعلها البعل النخل
الذي يشرب بعروقه من الأرض ۔ قال فهل تؤدب المرأة على
التخجل قال أجل التخجل سوء احتمال الغنى قال ما تقول فيمن نحت أثلة
أخيه قال أثم ولو أذن له فيه نحت أثلة أخيه اغتابه وتنقص عرضه
قال أيحجر الحاكم على صاحب الثور قال نعم ليأمن غائلة الجور الثور الجنون
قال فهل له أن يضرب على يد اليتيم قال نعم إلى أن يرشد و
يستقيم ضرب على اليتيم إذا حجر عليه ۔ قال فهل يجوز له ربضا
ان تحمد

قال لا

قال لا ولو كان له رضا الربض الزوجة ۔ قال فمتى يبيع
بدن السفيه قال حين يرى الحظ له فيه البدن الدرع القصيرة ۔
قال فهل يجوز أن يبتاع لحشا قال نعم إذا لم يكن مغشى
الحش النخل المجتمع ۔ قال فهل يجوز أن يكون الحاكم ظالما قال
نعم إذا كان عالما ۔ الظالم الذي يشرب اللبن قبل أن يروب وتخرج
زبدته ۔ قال أيستقضي من ليست له بصيرة قال نعم إذا
استقضى إذا صير أحدا قاضيا
حسنت منه السيرة البصيرة هاهنا الترس ۔ قال فإن تعرى
من العقل قال ذاك عنوان الفضل ۔ العقل ضرب من الوشي ۔
قال فإن كان له زهو جبار قال لا إنكار ولا إكبار الزهو البسر
الملون والجبار النخل الذي فات اليد ۔ قال أيجوز أن
يكون الشاهد مريبا قال نعم إذا كان أريبا المريب الذي يكثر

وضده النخل القاعدة

عنده اللبن الرائب ۔ قال فإن بان أنه لاط قال هو كما لو خلط لاط
الحوض إذا طينه ۔ قال فإن عثر على أنه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل
غربل أي قتل ۔ قال فإن وضح أنه مأبون قال هو وصمة له وزين
المأبون الذي يعرف ويكفي المؤنة من ابن يون قال ما يجب على العابد
الحق قال حلف بالله الخالق العابد هاهنا الجاحد والحق هاهنا
الدين ۔ قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا قال تفقأ
عينه قودا واحدا البلبل الرجل الخفيف ۔ قال فإن جرح قطاة
امرأة فماتت قال النفس بالنفس إذا فاتت القطاة ما بين
الوركين ۔ قال فإن ألقت الحامل حشيشا من ضربه قال ليكفر
بالإعتاق عن ذنبه الحشيش الجنين الملقى ميتا ۔ قال ما يجب
على المختفي في الشرع قال القطع لإقامة الردع المختفي نباش
الزجر

القبور

القبور ۔ قال فإن سرق ثمينا من ذهب قال لا قطع كما لو غصب
الثمين الثمن كما يقال في النصف والسدس نصيف وسديس ۔ قال
فإن بان على المرأة السرق قال لا حرج عليها ولا فرق السرق
الحرير الأبيض ۔ قال أينعقد نكاح لم تشهده العوادي قال
لا والخالق البارئ العوادي الشهود لأنهم يعرون الأشياء أي يتبعوها
قال ما تقول فيمن بات بليلة حرة ثم ردت في حافرتها بكرة
أي لم يدخل بها الزوج
قال يجب لها نصف الصداق ولا يجب عليها عدة الطلاق ۔ يقال
باتت العروس بليلة حرة إذا امتنعت على زوجها فإن اقتضها
قيل باتت بليلة شيباء والردة الحافرة الرجوع في الطريق الأول
وكني به عن طلاقها وردها إلى أهلها ۔ فقال له السائل لله
درك من بحر لا يضعضعه الماتح وحبر لا يبلغ مدحه المادح ثم
ضعضع أي أنقص

اطرف اطراف الحي سوادم ادمام العين فقال له ابو زيد ايه

يا فتى فالى متى والى متى ترماه ولا بعد اشراق صبح ممارأة

فبالله اي ابن داهية انت فما احق ما انت فانشد ابو زيد بلسان

ذلق وصوت صهصلق **شعر** انا في العالم مثلٌ ولاهل الارض قبله

غير اني كل يوم بين تعريس ورحله • والغريب الدار لو حلّ

بطوبى لم تطب له • ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هديك

ويهدي فاجعلهم ممن يهتدي ويعري • فساق القوم اليه

ذودا مع قنية وسألوه ان يزورهم الغبّة بعد الغبّة

فنهض يتبعهم العبد ويزجي الامة والذود **قال**

الحرث بن همام فاعترضته وقلت عهدي بك سفيها

فمتى صرت فقيها فظل على هنيهة يجول • ثم انشد يقول

لبستُ لكل زمان لبوسا • ولابستُ صرفيه نعمى وبوسا

وعاشرتُ كلَّ جليسٍ بما يلائمه لأروق الجليسا •

فعند الرواة ادير الكلام وبين السقاة ادير الكؤوسا

وطورا ابو عظةٍ أُسيل الدموع وطورا بلهوي أسرّ النفوسا

واقري المسامع اما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا

وان شئتُ ارعفتُ كفي اليراع فساقط درا يحلّي الطروسا

وكم مشكلات حكين السها خفاءً فصرن بكشفي شموسا

وكم ملح لي خلبن العقول وانشأن في كل قلب رسيسا

وعذراء جيء بها فانثنى عليها الثنا طليقا حبيسا

على انّ زماني خصصتُ • بكيدٍ ولا كيد فرعون موسى

يسعّر لي كل يوم وغى اطامن لظاها وطيسا وطيسا

وتنزعني الخطوب التي يذبن القوى ويشبن الرؤوسا

ويدني اليّ البعيد البغيض • ويبعد مني القريب الانيسا

ولولا خساسة هذا الزمان • لما كان حظي فيه خسيسا •

فقلت له خفّض الاحزان ولا تلم الزمان واشكر من نقلك

عن مذهب ابليس الى مذهب ابن ادريس فقال دع الهذار ولا

تهتك الاستار وانهض بنا لنضرب الى مسجد يثرب فعسى ان نرحض

بالمزار درن الاوزار فقلت هيهات ان اسير او انفقه التفسير

فقال والله لقد اوجبت ذمًا وطلبت اذ طلبت امما فهاك

ما يشفي النفس وينفي اللبس • قال فلما اوضح لي المعمّى و

كشف عني الغمّى شددنا الاكوار وسرتُ وسار ولم ازل

في مسامرته مدة مسايرته فيما انساني طعم المشقة ووددت

معه بعد الشقة حتى اذا دخلنا مدينة الرسول وفزنا

من الزيارة بالسول • اشأم واعرقتُ وغرّب وشرّقتُ

المقامة الثالثة وثلثون

اخبر الحرث بن همام قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت

ان لا اوخر الصلوة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات

ولهو الخلوات اراعي اوقات الصلوات • واحاذر من مأثم الفوات

واذا رافقت في رحلة او حللت بحلة هجتُ بصوت الداعي

اليها واقتديت بمن يحافظ عليها فاتفق حين دخلت

تفليس ان صليتُ مع قوم مفاليس فلما قضينا الصلوة • و

ازمعنا الانفلات برز شيخ بادي اللقوة بالي الكسوة

والقوة فقال عزمتُ على من خلق من طينة الحرية

وتعوق در العصبية إلا ما تكلفت لبثه واستمر من نفثه
ثم له الخيار من بعد وبيده البذل والرد فعقد القوم الحبا
ودسوا أمثال الربا فلما آنس حسن إنصاتهم ودرا استحصافهم
قال يا أولي الأبصار الرامقة والبصائر الرائقة أما يغني عن الخبر العيان
وينبي عن النار الدخان شيب لائح ووهن فادح وضعف بائح
وداء واضح والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن ملك
ومال وولي وآل ورفد ونال ووصل وصال فلم تزل
الجوائح تسحت والنوائب تنحت حتى الوكر قفر و
الكف صفر والشعار ضر والعيش مر والصبية يتضاغون
من الطوى ويتمنون مصاصة النوى ولم أقم هذا المقام
الشائن وأكشف لكم الدفائن إلا بعد ما شقيت ولقيت

وشئت ما لقيت وليتني لم أك بقيت ثم تأوه تأوه الأسيف
وأنشد بصوت ضعيف

أشكو إلى الرحمن سبحانه — تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات نزعت مروتي — وقوضت مجدي وبنيانه
واهتصرت عودي ويا ويل من — تهتصر الأحداث أغصانه
وأمحلت ربعي حتى خلت — من ربعي الممحل جرذانه
وغادرتني حائرا بائرا — أكابد الفقر وأشجانه
من بعد ما كنت أخا ثروة — يسحب في النعمة أردانه
تخبط العافون أوراقه — ويحمد السارون نيرانه
فأصبح اليوم كأن لم يكن — أعانه الدهر الذي عانه
وازور من كان له زائرا — وعاف عافي العرف عرفانه

فهل فتى يحزنه ما يرى — من ضر شيخ دهره خانه
فيفرج الهم الذي همه — ويصلح الشأن الذي شانه

قال الراوي فنصب الجماعة إلى أن تستثبته لتستنجث خباءه
وتستشف حقيبته فقال لقد عرفنا قدر زنتك وإياد مزنتك
فعرفنا دوحة شعبتك واحسر اللثام عن نسبتك فأعرض إعراض
من مني بالإعنات أو بشر بالبنات وجعل يلعن القردان ثم تأفف
من تعيض المروات ثم أنشد بلفظ صادع وجرس خادع وقال

لعمرك ما كل فرع يدل — جناه اللذيذ على أصله
فكم ما حلا جنى تونى به — ولا يسأل الشهد عن نحله
وميز إذا ما اعتصرت الكروم — سلافة عصرك من خله
لتعلي وترخص عن خبرة — وتشري كلا يشرا مثله

فعاد على الفطن اللوذعي — دخول الغميزة في عقله

قال فأدهى القوم بذكائه ودهائه ولختلبهم بحسن أدائه مع
دائه حتى جمعوا له خبايا الخبن وخفايا الثبن وقالوا له
يا هذا إنك حمت على ركية بلية وتعرضت لحلبة خلية
فخذ هذه الصبابة وهبها لا لخطأ ولا إصابة فنزل
لهم منزلة الكنز ووصل قبوله بالشكر ثم تولى يجر
شقه وينهب بالخبط طرقه قال المخبر بهذه الحكاية
فصور لي أنه محيل لحليته متصنع في مشيته فنهضت
أسلك منهاجه واقفو أدراجه وهو يلحظني شزرا
ويوسعني هجرا حتى إذا خلا الطريق وأمكن التحقيق
نظر إلي نظر من هش وبش وماحض بعد ما غش

وقال اني لكما اخا غربة ورائد صحبة فهل لك في رفيق يرفق بك
ويرتفق ويشفق عليك ويشتفق فقلت له لو اتاني هذا الرفيق
لاتاني التوفيق فقال لي لقد وجدت فاغتبط واستكرمت فارتبط
ثم ضحك مليا وتمثل لي بشرا سويا فاذا هو شيخنا السروجي لا قلبة
بجسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت بلقيته بعد غمي كان للعوبته
وهممت بملامته على سوء مقامته فشحا فاه وانشد قبل ان الحاه

ظهرت رث لكيما يقال ... فقير يرجي الزمان المرجى
واظهرت للناس اني فلجت ... فكم نال قلبي به ما ترجى
فلولا الرثاثة لم يرث لي ... ولولا التفالج لم الف ملجا

ثم قال اني لم يبق لي بهذه الارض مرتع ولا في اهلها مطمع
فان كنت الرفيق فالطريق الطريق فسرنا متجردين ورافقته

عامين اجردين وكنت على ان اصحبه ما عشت فابى الدهر المشتت

المقامة الرابعة والثلثون

حكى الحارث بن همام قال لما جبت البيد الى زبيد صحبني غلام
كنت ربيته الى ان بلغ اشده وثقفته حتى اكمل رشده
وكان انس باخلاقي وخبر مجالب وفاقي فلم يكن يتخطى مرامي
ولا يخطي في المرامي لاجرم انه نزته الناطق بعقري واخلصته
لحضري وسفري فاودى به الدهر المبيد حين حللنا زبيد
فلما شالت نعامته وسكنت نامته بقيت عاما لا اسيغ طعاما
ولا اريغ غلاما حتى الجاتني شوائب الوحدة ومتاعب القومة
والقعدة الى ان اعتاض عن الدر بالخرز وارتاد من هو سداد
من عوز فقصدت من يبيع العبيد بسوق زبيد وقلت ابغي عبدا

يعجب اذا قلب ويحمد اذا جرب وليكن ممن خرجه الاكياس و
اخرجه الى سوق الاملاق فاهتز كل منهم لمطلبي ووثب وبذل
تحصيله عن كثب ثم دارت الاهلة دورها وتقلبت حورها وكورها
وما نجز موعودهم وعد ولا لاح لها رعد فلما رايت النخاسين نائين
او متناسين علمت ان ليس كل من خلق يفري وان لن يحك جلدك
مثل ظفرك فرفضت مذهب التفويض ونهدت الى السوق بالصفر والبيض
فاني لاتعرض الغلمان واستعرض الاثمان اذ عارضني رجل قد اختمر
باللثام وقبض على زند غلام وقال

شعر

اتشترى مني غلاما صنعا ... في خلقه وخلقه قد برعا
يلك ما انطقته مضطلعا ... يشفيك ان قال وان قلت وعى
وان تصبك عثرة يقل لعا ... وان تسمه السعي في النار سعى

وان تصاحبه ولو يوما رعى ... وان تقنعه بطلق قنعا
وهو على الكيس الذي تدرعا ... ما فاه قط كاذبا ولا ادعى
ولا اجاب مطمعا حين دعا ... ولا استجاز سر اودعا
وطالما ابدع فيما صنعا ... وفاق في النظم وفي النثر معا
والله لولا نكد عيش صرعا ... وصبية اضحوا عراة جوعا
ما بعته بملك كسرى اجمعا

قال فلما تاملت خلقه القويم وحسنه الصميم خلته من ولدان
جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ثم
استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لانظر اين فصاحته
من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلو ولا
مر ولا فاه فوه ابن امة ولا حرة فضربت عنه صفحا وقلت

لعينك وشحها فغار في الضحك وانجد ثم انقض رأسه الى وانشد

يا من تلهب غيظه اذ لم ابح باسمي له ما هكذا من ينصف

ان كان لا يرضيك الا كشفه فاسمع له انا يوسف انا يوسف

ولقد كشفت لك الغطاء فان تكن فطنا عرفت وما اخالك تعرف

قال فسرى عني شعره واستبى لبي سحره حتى شدهت عن التحقيق وانسيت قصة يوسف الصديق ولم يبن لي هم الا مساومة مولاه فيه واستطلاع طلع الثمن لاوفيه وكنت احسب انه سينظر شزرا الي او يغلي السيمة علي فما لاق الى حيث حلقت ولا اعتلق بما به اعتلقت بل قال ان العبد اذا نزرت ثمنه وخفت مؤنته تبرك به مولاه والتحف عليه هواه واني لا اوثر تخييب هذا الغلام اليك فان اخفف ثمنه عليك فزن مائتي درهم ان شئت واشكرني ما حييت

فتعقدته بالمبلغ في الحال كما يتعقد في الرخيص الحلال ولم اخطر ببالي ان كل مرخص غال فلما تحققت الصفقة وحقت الفرقة هملت عينا الغلام كهمول دمع الغمام ثم ابل على صاحبه

وقال

لحاك الله هل مثلي يباع لكيما تشبع الكرش الجياع

وهل في شرعة الانصاف اني اكلف خطة لا تستطاع

واذ ابلى بروع بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع

اما جربتني فخبرت مني نصائح لا يمازجها خداع

وكم ارصدتني شركا لصيد فعدت وفي حبائلي السباع

ونطت بي المصاعب فاستقادت مطاوعة وكان بها امتناع

واي كريهة لم ابل فيها وغيم لم يكن لي فيه باع

وما ابدت لي الايام جرما فيكشف في مصادمتي القناع

ولم تعثر بحمد الله مني على عيب يكتم او يذاع

فاني ساغ عندك نبذ عهدي كما نبذت براتيها الصناع

ولم سمحت قرونك بامتهاني وان اشرى كما يشرى المتاع

فهلا صنت عرضي عنه صوني حبيبك يوم جد بنا الوداع

وقلت لمن يساوم في هذا سكاب فما تعار ولا تباع

فما انا دون ذاك الطرف لكن طباعك غيرتها تلك الطباع

على اني سانشد عند بيعي اضاعوني واي فتى اضاعوا

قال فلما وعى الشيخ ابياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء وبكى حتى ابكى البعداء ثم قال لي ان هذا الغلام محل ولدي ولا اتبرزه عن افلاذ كبدي ولولا خلو مراحي وخبو مصباحي لما درج عن عشي الى ان تشيع نعشي وقد رايت ما نزل به

من لوعة البين والموت منه بين لين فهل لك في تسلية قلبه وتفرية كربه بان تعاهدني على الاقالة فيه متى استقلت ولا تستثقلني اذا استثقلت ففي الاخبار المنتقاة المروية عن الثقات من اقال نادما بيعته اقال الله عثرته قال الحارث فوعدته وعدا ابرزه الحياء وفي القلب اشياء فاستدنى حينئذ الغلام اليه وقبل ما بين عينيه وانشد والدمع يرفض من جفنيه شعر

خفض فديتك النفس ما تلاقي من برحاء الوجد والاشفاق

فما تطول مدة الفراق ولا تني ركائب التلاقي

بحسن عون القادر الخلاق.

ثم قال له استودعك من هو نعم المولى ثم شمر ذيله وولى ولبث الغلام في زفير وعويل ريثما يقطع مدى ميل فلما استفاق

وَلْيُكَفْكِفْ دَمْعَهُ المُهْرَاقَ، قَالَ: أَتَدْرِي لِمَ أَعْوَلْتُ، وَعَلَامَ عَوَّلْتُ

فَقُلْتُ: أَظُنُّ فِرَاقَ مَوْلَاكَ هُوَ الَّذِي أَبْكَاكَ. فَقَالَ: إِنَّكَ لَفِي وَادٍ وَأَنَا

فِي وَادٍ، وَكَمْ بَيْنَ مُرِيدٍ وَمُرَادٍ. ثُمَّ أَنْشَدَ

لَمْ أَبْكِ وَاللهِ عَلَى إِلْفٍ نَزَحْ ... وَلَا عَلَى فَوْتِ نَعِيمٍ وَمَرَحْ

وَإِنَّمَا مَدْمَعُ أَجْفَانِي سَفَحْ ... عَلَى غَبِيٍّ لَحْظُهُ حِينَ طَمَحْ

وَرَّطَهُ حَتَّى تَعَنَّى وَافْتَضَحْ ... وَضَيَّعَ المَنْقُوشَةَ البِيضَ الوُضُحْ

وَبِكَ أَمَا مَاجَنَكَ هَابِلُ اللُّمَحْ ... بِأَيِّ حُرٍّ وَمَعِي نَمَّ بَيَحْ

إِذْ كَانَ فِي يُوسُفَ مَعْنًى قَدْ وَضَحْ

قَالَ: فَتَمَثَّلَتْ مَقَالَهُ فِي مِرْآةِ المَرَاعِبِ وَمَعْرِضِ المَلَاعِبِ

فَتَصَدَّيْتُ تَطَلُّبَ المُحِقِّ وَتَبَرَّأَ مِنْ طِينَةِ الرِّقِّ، فَخِلْنَا

فِي مُخَاصَمَةٍ اتَّصَلَتْ بِمُلَاكَمَةٍ وَأَفْضَتْ إِلَى مُحَاكَمَةٍ، فَلَمَّا

أَوْضَحْنَا لِلْقَاضِي الصُّورَةَ، وَتَلَوْنَا عَلَيْهِ السُّورَةَ، قَالَ: أَلَا إِنَّ مَنْ أَنْذَرَ

فَقَدْ أَعْذَرَ، وَمَنْ حَذَّرَ كَمَنْ بَشَّرَ، وَمَنْ بَصَّرَ فَمَا قَصَّرَ، وَإِنَّ فِيمَا

شَرَحْنَاهُ لَدَلِيلًا عَلَى أَنَّ هَذَا الغُلَامَ قَدْ بَهَتَكَ فِيمَا ادَّعَيْتَ

وَنَصَحَ لَكَ فَمَا وَعَيْتَ، فَاسْتَرْدِدْ ذَاءَ بَلَهِكَ وَاكْتُمْهُ، وَلَمْ تَفْضَحْ

وَلَا تَلُمْهُ، وَحَذَارِ مِنْ إِعْلَانِهِ وَالطَّمَعِ فِي اسْتِرْقَاقِهِ، فَإِنَّهُ حُرُّ الأَدِيمِ

غَيْرُ مُعَرَّضٍ لِلتَّقْوِيمِ، فَقَدْ كَانَ أَبُوهُ أَحْضَرَهُ أَمْسِ قُبَيْلَ أُفُولِ الشَّمْسِ

وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ فَرْعُهُ الَّذِي أَنْشَأَهُ، وَأَنْ لَا وَارِثَ لَهُ سِوَاهُ. فَقُلْتُ

لِلْقَاضِي: أَوَتَعْرِفُ أَبَاهُ أَخْزَاهُ اللهُ؟ فَقَالَ: وَهَلْ يَجْهَلُ أَبُو زَيْدٍ

الَّذِي جُرْحُهُ جُبَارٌ، وَعِنْدَ كُلِّ قَاضٍ لَهُ أَخْبَارٌ وَاخْتِبَارٌ، فَتَحَرَّقْتُ

حِينَئِذٍ وَحَوْقَلْتُ وَأَفَّفْتُ، وَلَكِنْ حِينَ فَاتَ الوَقْتُ، وَأَيْقَنْتُ

أَنَّ لِشَآمَةٍ كَانَ نَزَلَ مَكِيدَتُهُ وَبَيْتُ قَصِيدَتِهِ، فَنَكَّسْتُ

طَرْفِي بِمَا لَقِيتُ، وَآلَيْتُ أَنْ لَا أُعَامِلَ مِثْلَهُمَا مَا بَقِيتُ، وَلَمْ أَزَلْ

أَتَأَوَّهُ لِخُسْرِ صَفْقَتِي وَالِافْتِضَاحِ بَيْنَ رُفْقَتِي، فَقَالَ لِيَ القَاضِي

حِينَ رَأَى امْتِعَاضِي وَحَرَارَةَ تَمَاضِي: يَا هَذَا مَا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ

وَلَا أَجْرَمَ إِلَيْكَ مَنْ أَيْقَظَكَ، فَاتَّعِظْ بِمَا نَابَكَ، وَكَافِ مَنْ أَصَابَكَ

مَا أَصَابَكَ، وَتَذَكَّرْ أَبَدًا مَا دَهَمَكَ لِتَنْفِيَ الذِّكْرَى دَرَاهِمَكَ، وَتَخَلَّقْ

بِخُلُقِ مَنْ أُسْلِيَ فَصَبَرَ، وَتَجَلَّتْ لَهُ العِبَرُ فَاعْتَبَرَ، فَوَدَّعْتُهُ لَابِسًا

ثَوْبَ الخَجَلِ لِجَرِّ مَا جَادَ ذَيْلُ العَثْرِ وَالعَبْرِ، وَنَوَيْتُ مُكَاشَفَةَ

أَبِي زَيْدٍ بِالهَجْرِ، وَمُصَارَمَتَهُ يَدَ الدَّهْرِ، فَجَعَلْتُ أَتَنَكَّبُ عَنْ

ذَرَاهُ، وَأَتَجَنَّبُ أَنْ أَرَاهُ، إِلَى أَنْ غَشِيَنِي فِي طَرِيقٍ ضَيِّقٍ فَجَاءَنِي

تَجَنُّبُهُ شَيِّقٌ، فَمَا زِدْتُ عَلَى أَنْ عَبَسْتُ وَمَا أَبَشْتُ، فَقَالَ

مَا بَالُكَ شَامِخًا بِأَنْفِكَ عَلَى إِلْفِكَ؟ فَقُلْتُ: أَنَسِيتَ أَنَّكَ

أَحْلَلْتَ وَخَلَّلْتَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ، فَاخْرُطْ بِي سَنَامِيَا

ثُمَّ أَنْشَدَ مُتَلَافِيًا شعر

يَا مَنْ يَلَامُ لِصُدُودٍ مُوحِشٍ وَتَجَهُّمٍ ... وَغَدَا يُرِيشُ مَلَامًا مِنْ دُونِهِ الأَسْهُمُ

وَيَقُولُ هَلْ حُرٌّ يُبَاعُ كَمَا يُبَاعُ الأَدْهَمُ ... أَقْصِرْ فَمَا أَنَا فِيهِ بِدْعًا مِثْلَ مَا تَتَوَهَّمُ

قَدْ بَاعَتِ الأَسْبَاطُ قَبْلِي يُوسُفًا وَهُمُ هُمُ ... هَذَا وَأُقْسِمُ بِالَّتِي يَسْرِي إِلَيْهَا المُتْهِمُ

وَالطَّائِفِينَ بِهَا وَهُمْ شُعْثُ النَّوَاصِي سُهَّمُ ... مَا قُمْتُ ذَاكَ المَوْقِفَ المُزْرِي وَعِنْدَكَ دِرْهَمُ

فَاعْذِرْ أَخَاكَ وَكُفَّ عَنْهُ مَلَامَ مَنْ لَا يَفْهَمُ

ثُمَّ قَالَ: أَمَّا مَعْذِرَتِي فَقَدْ لَاحَتْ، وَأَمَّا دَرَاهِمُكَ فَقَدْ طَاحَتْ، فَإِنْ

كَانَ اقْشِعْرَارُكَ مِنِّي وَازْوِرَارُكَ عَنِّي لِتَشَفُّقِكَ عَلَى غَيْرِ نَفَقَتِكَ

فَلَسْتُ مِمَّنْ يُلْسَعُ مَرَّتَيْنِ وَيُوطَأُ عَلَى جَمْرٍ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ كُنْتَ طَوَيْتَ

كَشْحَكَ وَأَطَعْتَ شُحَّكَ لِتَسْتَعِيدَ مَا عَلِقَ بِأَشْرَاكِي فَلْتَبْكِكَ

قلبك على عيلك البواكي قال الحارث فاضطرني بلفظه
الخالب وسحره الغالب الى ان عزت له صفيّا وبحجيّا
ونبذت فعلته ظهريّا وان كانت شيئا فريّا

المقامة الخامسة والثلثون

حكى الحارث بن همام مررت في تطوافي بشيراز على ناد يستوقف
المجتاز ولو كان على اوفاز فلم استطع تعدّيه ولا خطت قدمي
في تخطيه فعجت اليه لاسبر سرّ جوهره وانظر كيف
ثمره من زهره فاذا اهله افراد والفاتح البهم مفاد
وبينما نحن في فكاهة اطرب من الاغاريد واطيب من خلب
العناقيد اذ اخشنّ بنا ذو طمرين قد كاد يناهز العمرين
فحيّا بلسان طليق وابان ابانة منطيق ثم احتبى حبوة

وقال اللهم اجعلنا من المهتدين فازدراه القوم لطمريه
ونسوا ان المرء باصغريه واخذوا يتداعون فصل الخطاب
ويعتدّون عوده من الاحطاب وهو لا يفيض بكلمة ولا
يبين عن سمة الى ان سبر قرائحهم وخبر شائلهم ورجحهم
فحين استخرج دفائنهم واستشفّ كنائنهم قال يا قوم لو علمتم
ان وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا الاطلاق ولعلمتم
ما له من خلاق ثم فجّر من ينابيع الادب والنكت النخب ما جلب
بدائع العجب واستوجب ان يكتب بذوب الذهب فلما خلب
كلّ لبّ وقلب اليه كلّ قلب تحلحل ليرحل وتاهّب ليذهب
فتعلقت الجماعة بذيله وعاقت سرب سيله وقالت له
قد آنستنا ولم تدجك فخبّرنا عن فضلك ومحلّ فصمت

من الغمّ ثم اعول حتى رحم قال الراوي فلما رايت شؤبوبه وذروبه
والاسلوب المألوف وصوبه تاملت الشيخ على شعوذة محياه وشكله
ورياه فاذا هو اياه فكتمت سرّه كما يكتم الداء الدخيل وسترت
تمره وان لم يكن بخيل حتى اذا انزع عن اعواله وقد عرف
عثوري على حاله دمعتي بعين مضحاك ثم طفق ينشد بلسان
متباك شعر استغفر الله واعنوا له من فرطات اثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتق عانس ممدوحة الاوصاف في الانديه
قتلتها لا اتقي وارثا يطلب مني قودا او ديه
وكلما استذنبت في قتلها احلت بالذنب على الاقضيه
ولم ازل انفي في غيّها وقتلها الانكار مستيثريه
حتى تعاطى الشيب لما بدا بمفرقي عن تلكم المعصيه

فلم ارق مذ شاب فودي دما من عاتق يوما ومن مصبيه
وها انا الآن على ما ترى كعني ومن حرفتي المكديه
ارب بكر طال تعنيسها وحجبها حتى عن الاهويه
وهي على التعنيس مخطوبة لخطبة الغانية المغنيه
ولي يكفيني لتجهيزها على الرضا بالدون الا ميه
واليد لا توكي على درهم والارض قفر والسما مصحيه
فهل معين لي على نقلها مصحوبة بالفئة الملعيه
فيغسل الهم بصابونه والقلب من افكاره المضنيه
ويقتني منّا الثناء الذي يصوع رياه مع الادعيه
قال فلم يبق في الجماعة الا من نديت له كفه وانباع
اليه عرفه فلما نجح بغيته وكملت منيته اخذ يثني عليهم

بصالح ويشمّر عن ساقٍ سارح فتبعته لأستعرف دخيلة خبره
ومن قبل حدّثنا أمره فكانت رأى قيامي مثل له انهزامي فازدلف
مني وقال أفقه عني شعر

قتل مثلي يا صاح مزج المدام ليس مثلي بالهدم اوحسام
والتي عنيت هي البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام
ولتجهيزها الى الطاس والكاس قيامي الذي ترى ومقامي
ما فلتته وعكر في التقاضي إن شئت او في الملام

ثم قال أنا عن هبد وانت رعديد وبيننا بون بعيد ثم
ودّعني وانطلق وزودني نظرة من ذي علق

المقامة السادسة والثلثون

اخبر الحارث بن همام قال الفيت بملطية مطية البين و

حقيبتي ملأى من العين فجعلت مجراي مذ ألقيت بها عصاي
أن أتورّد موارد المرح وأتصيّد شوارد الملح فلم يبق لي
بها منتزه ولا مستمع ولا خلا مني ملعب ولا مرتع حتى إذا
لم يبق لي فيها مأرب ولا في الثواء بها مرغب عمدت
لإنفاق الذهب في ابتياع الأهب فلما اكملت الإعداد
وتهيّأ الظعن منها أو كاد رأيت تسعة رهط قد تساووا
قهوة وادبون ادبونة ودماثتهم قبل الألحاظ ومفاكهتهم
حلاوة الألفاظ فنحوتهم طلبا لمنادمتهم لا لمدامتهم
وشغفا بمحاجتهم لا بزجاجتهم فلما انتظمت عاشرهم
وأصحبت معاشرهم ألفيتهم أبناء علات وقد ائتلفوا
ألا إن لحمة الأدب قد ألفت شملهم ألفة النسب وساوت

بينهم في الرتب حتى كانوا مثل كواكب الجوزاء وكالحلقة المتناسبة
الأجزاء فأعجبني اهتداء النعم وأحمدت الطالع الذي أطلعني عليهم
وطفقت أفيض بقدحي مع قداحهم وأستشفي براحهم حتى إذا نا
تجرّد المفاوضة الى التحاجي بالمفايضة كقولك إذا عيبت به
الكرامات ما مثل النوم فات فانشأنا نجلوا السهاو الغمر
ونجني الشوك والثمر وبينا نحن ننشر القشيب والرث و
ننثل السمين والغث طلع علينا شيخ قد ذهبت حبرته وسبره و
بقي خبره وسبره فسأل سؤال من يسمع وينظر ويلتقط ما ينثر
الى ان نفضت الأكياس وحصحص الياس فلما رأى اجبال
القرائح واكداء الماتح والمائح جمع أذياله وولّى قذاله و
قال ما كل سوداء تمرة ولا كل صهباء خمرة فاعتلقنا به

اعتلاق الحرباء بالأعواد وضربنا دون وجهته بالأسداد
وقلنا له إن دواء الشق أن يحاص داء الا فالقصاص القصاص
فلا تطمع في أن تجرح وتنتهر الغنق وتسرح فلوى عنا نه
راجعا ثم جثم بمكانه راصعا وقال أما إذا استثرتموني
بالبحث فسأحكم حكم سليمن في الحرث اعلموا يا ذوي التمايل
الأدبية والشمول الذهبية أن وضع الأحاجي لامتحان
الألمعية واستخراج الخبيئة وشرطها أن تكون ذات مماثلة
حقيقية وألفاظ معنوية ولطيفة أدبية فمتى
كانت هذا النمط فاهت السقط ولم ترحل السفط ولم
تلم أركم حافظتكم على هذه الحدود ولا ميزتم بين
المقبول والمردود فقلنا له صدقت فكل لنا من لبابك وافض

وَأَفِضْ علينا من عُبابك فقال أفعل لئلا تُنابَ المبطلون وتظنوا بي الظنون ثم قابل ناظورة القوم وقال

يا من سما بذكاء في الفضل واري الزناد ... ماذا يماثل قولي جوع بزاد

ثم ضحك إلى الثاني وقال

يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنسه شين ... ما مثل قول المحاجي ظهر اصابته عين

ثم لحظ الثالث وقال

يا من نتائج فكره مثل النقود الجائزه ... ما مثل قولك للذي حاجيت صادف جائزه

ثم التفت إلى الرابع وقال

أيا مستنبط الغامض من لغز وإضمار ... ألا اكشف لي ما مثل تناول ألف دينار

ثم رمى الخامس ببصره وأنشد

يا أيها الألمعي أخو الذكاء المنجلي ... ما مثل اهمال حلية بين هدب وعلي

ثم التفت إلى السادس وأنشد

يا من تقاصر عن مداه خطى مجاريه وتضعف ... ما مثل قولك للذي أضحى يحاجيك القفا الكفف

ثم خلج السابع بحاجبه وقال

يا من له فطنة تجلت ورتبة في الذكاء جلت ... بين فما زلت ذا بيان ما مثل قولي الشقيق أفلت

ثم استنصت الثامن وأنشد

يا من حدائق فضله مطلولة الأزهار غضة ... ما مثل قولك للمحاجي ذي الحجى ما اختار فضه

ثم حدج التاسع ببصره وقال

يا من سار إليه في القلب الذكي ذي البراعه ... أوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي دون جماعه

قال الراوي فلما انتهى إلى هز منكبي وقال

يا من له النكت التي يشجى الخصوم بها ويبكت ... أنت المبين فقل لنا ما مثل قولي خالي اسكت

ثم قال قد أمهلتكم وإن شئتم أن أعللكم عللتكم

قال فألجأنا لهب الغلل إلى استسقاء العلل فقال لست كمن يستأثر على نديمه ولا ممن يمتنه في أديمه ولا ثم كر على الأول وقال

يا من إذا أشكل المعنى جلته ألفاظه الدقيقه ... إن قال يوما لك المحاجي خذ تلك ما مثله حقيقه

ثم ثنى جيده إلى الثاني وقال

يا من بدا بيانه عن فضله مبينا ... ماذا مثل قولهم حمار وحش زينا

ثم أومى إلى الثالث بلحظه وأنشد

يا من علا في فضله وذكائه كالأصمعي ... ما مثل قولك للذي حاجاك النفق تقمع

ثم حلق إلى الرابع وقال

يا من إذا ما غوص دجا أنار ظلامه ... ماذا يماثل قولي استنشق ريح مدامه

ثم أومض إلى الخامس وقال

يا من تنزه فهمه على أن يروي أو يشكا ... ما مثل قولك للذي أضحى يحاجي غط هلكى

ثم أقبل قبل السادس وأنشد

يا أخا الفطنة التي بان فيها كماله ... سار بالليل مرة أي شيء مثاله

ثم نحا ببصره إلى السابع وقال

يا من على بفهمه تمام في الناس سوقه ... لك البيان فبين ما مثل أخيف فوقه

ثم قصد الثامن وقال

يا من تبوأ ذروة في الفضل فاقت كل ذروه ... ما مثل قولك أعط أربعا يلوح بغير عروه

ثم ابتسم الى التاسع وقال

يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك

ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء النور ملكن

ثم قبض بجمعه على زندي وقال

يا من عما بثقوب فطنته في المشكلات ونور كوكبه

ماذا مثال صغير جحفلة بينه تبيانا نبه به

قال الحرث بن همام فلما اطربنا ما سمعناه وطالبنا
بكشف معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل
هذه العقد يدان فان ابنت مننت وان كتمت
غممت فظل يشاور نفسه ويقلب قدحيه حتى هان
بذلك الماعون عليه فاقبل حينئذ على الجماعة وقال

سأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ولا ظننتم انكم تعلمون
فاوكوا عليه الاوعية ودرسوا به الاندية ثم اخذ في
تفسير صقل به الاذهان واستفرغ معه الاردان حتى اضحى
الابهام انور من الشمس والاكمام كان لم تغن بالامس وكلام بالمعز
يل عن المعز فتنفس كما يتنفس الثكول ثم انشا يقول

كل شعب لي شعب وبه ربعي رحب

غير اني بسروج مستهام القلب صب — هي ارضي البكر والجو الذي منه المهب

والى روضتها الغناء دون الروض اصبو — ما حلالي بعدها حلو ولا اعذوذب عذب

قال الراوي فقلت لاصحابي هذا ابو زيد السروجي الذي اذعن
لمليحه الاحاجي فاخذت اصف لهم حسن تؤدته وانقياد الكلام
لمشيته ثم التفت فاذا به قد طمر وتابعا قمر فعجبنا مما صنع

ولم ندر ان سكع وصقع ه **تفسير الاحاجي المودعة هذه المقامة**

اما جوع امد زاد فمثله طوامير ه واما ظعن اصابته عين فمثله مطاعين
واما صادف جائزة فمثل الفاصلة ه واما سادل الف دينار فمثله هلاليه
واما اهمل حلية فمثله العاشيه ه واما اكف اكف فمثله مهمه
واما الشفيق انلت فمثله الاخطار واما اختار فضة فمثل ابارقه
لان الرقة من اسماء الفضة وقد نطق بها النبي صلى الله عليه وسلم
فقال في الرقة ربع العشر واما دن جماعة فمثله طافيه
واما خالى اسكت فمثله خالصه لان تكرار انا دبت مضافا
الى نفسه جاز لك حذف الياء واثباتها ساكنة ومتحركة
وقد حذف هاهنا حرف النداء كما حذفه في اصل الاحجية
وصه بمعنى اسكت ه واما خذ ذلك فمثله هاك ه واما

حمار وحش زمنا فمثله فراابن لان الفرا حمار الوحش ومنه الخبر
كل صيد في جوف الفرا ه واما قوله ايفق تعمع فمثله تهمم
لان الامر من يان يئوف من ومضارع وتمت نهم واما
استنشى ريح مدامة فمثله رحراح لان الامر من استنشاء الرائحة
رح ه واما غطا هلكى فمثله صنبور لان البور هم الهلكى
وفي القرآن وكنتم قوما بورا ه واما سار بالليل مدة فمثله
سراحين ه واما اجبن فرقة فمثله مقلاع لان الامر من ومق يمق
مق واللاع الجبان يقال فلان هاع لاع اذا كان جبانا جزوعا
واما اعط ابريقا بلوح بغير عروة فمثله اكوب لان الادر
العطية والامر منه أن والكوب الابريق بغير عروة ه واما
الثور ملكى فمثله اللالك لان اللالك على وزن القانون الوحش

وامّا صغير جحفلة فمثله مكاشفة لان المكا الصفير
قال الله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء و
تصدية والاصل في المكاء المدّ ولكنه قصره في هذه الا
كما حذف همزة الغرا في احجيته وكلا الامرين من قصر الممدود وحذف الهمزة
جائز

المقامة السابعة والثلثون

حكى الحارث بن همام قال اصعدت الى صعدة وانا ذو شطاط
يخلي الصعدة واشتداد يبدد بنات صعدة فلما رايت نضرتها
ورعيت خضرتها سالت مخابر الرواة ومعادن الخبرات
لاتخذه مصباحا في الظلمات ونجدة في الظلامات فنعت
لي قاض بها رحيب الباع خصيب الرباع تميمي النسب
والطباع فلم ازل اتقرب اليه بالالمام واتشفع عليه بالاجمام

حتى صرت صدى صوته وسلمان بيته وكنت مع اشتيار شهده و
التشاف زبده اشهد مشاجر الخصوم واسمع بين المخصوم منهم
والموصوم فبينما القاضي جالس للاسجال في يوم المحفل والاحتفال
اذ دخل شيخ بالي الرياش بادي الارتعاش فاستجر الحفل بتبجح
نقاد ثم زعم ان له خصما غير منقاد فلم يكن الا كخطوة
شرارة او وحي اشارة حتى احضر غلام كانه ضرغام فقال
الشيخ ايد الله القاضي وعصمه من التغاضي ان ابني هذا كالقلم
الردي والسيف الصدي يجهل اوصاف الانصاف ويرضع
اخلاف الخلاف ان اقدمت احجم وان اعربت اعجم وان اذكيت اخمد
ومتى ثوبت رمدم اني كفلته مذ دب الى ان شب
وكنت له الطف من ربي ورب فاكبر القاضي ما شكا اليه

واطرف الله من حواليه ثم قال اشهد ان العقوق احد الثكلين
ولرب عقم اقر للعين فقال الغلام وقد امعضه هذا الكلام
والذي نصب القضاة للعدل وملكهم ازمة العقد والفصل
انه ما دعا قط الا امنت ولا ادعى الا آمنت ولا ابتنى الا اعنت
واحرمت ولا اورى الا واضرمت بيد انه لمن يبغي بعض الانوق
ويطلب الطيران من النوق فقال له القاضي وبم اعنتك
وامتحن طاعتك فقال انه منذ صفر من المال وهني بالمحال
يسومني ان اتلمظ بالسؤال واستمطر سحب النوال ليعفو
ثريه الذي غاض ويتجبر من حاله ما انهاض وقد كان حين
اخذني بالتدريس وعلمني ادب النفس الترب قلبي
ان الحرص متعبة والطمع معيبة والشره متخمة و

والمستبيلة ملامة ثم انشدني من فلق فيه واذواني من فواقه
ارض بادني العيش واشكر عليه شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل يحط قدر المراقي اليه
وحام عن عرضك واستبقه كما يحامي الليث عن لبدتيه
واصبر على ما ناب من فاقة صبر اولي العزم واغض عليه
ولا ترق ماء المحيا ولو خولك المسؤول ما في يديه
فالحر من ان قذيت عينه اخفى قذى جفنيه عن ناظريه
ومن اذا اخلق ديباجه لم يرو ان يخلق ديباجتيه
قال فعبس الشيخ واكفهر وانبرى على ابنه وهر وقال
له صه يا عقق يا من هو الشجا والشرق اتعلم امك
البضاع وطرق الارضاع لقد تحككت العقرب بالافعى

واستشب الغضا حتى القرعى ثم كأنه ندم على ما فرط من فيه
وحدته المقت الى تلافيه فرنا اليه بعين عاطف وخفض
له جناح ملاطف وقال له ويلك يا بني ان من امر بالقناعة و
زجر عن الضراعة هم ارباب البضاعة واولوا المسكنة بالمناعة
فاما ذووا الضرورات فقد استثني بهم في المحظورات و
هبك جهلت هذا التاويل ولم يبلغك ما قيل الست الذي
عارض اباه اذ قال له وما حاباه ، شعر

لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينك هل ارض معطلة من النبات كارض حفها الشجر
فعد عما تشير الاغبياء به فاي فضل لعود ماله ثمر
وارحل ركابك عن ارض ظمئت بها الى الجناب الذي يهمي به المطر

واستنزل الري من در السحاب فان بلت يداك به فليهنك الظفر
وان رددت فما في الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر

فلما راى القاضي هنا في قول الفتى وفعله وتحليه بما ليس من اهله
نظر اليه بعين غضبى وقال اتميميا مرة وقيسيا اخرى اف
لمن ينقض ما يقول ويتلون كما يتلون الغول فقال الغلام و
الذي جعلك مفتاحا للحق وفتاحا بين الخلق لقد انشيت
مذ ابيت وصلك فهي مذ صديت على انه ابن الباب الفتح
والعطاء الرح وهل يعي من يترع بالآلى واذا استطعم
يقول ها فقال له القاضي مه فمع الخواطي سهم صايب
وما كل برق خالب فميز البروق اذا شمت ولا تشهد الا
بما علمت فلما تبين الشيخ ان القاضي قد غضب للكرام

واعظم التخييل جمع الانام عليها انه سينشر كلمته ويظهر
اكرومته فما كذب ان نصب شبكته وسوى في الحرق سمكته

وانشا يقول

يا ايها القاضي الذي علمه وحلمه ارجح من رضوى
قد ادعى هذا على جهله ان ليس في الدنيا اخو جدوى
وما درى انك من معشر عطاؤهم كالمن والسلوى
فخذ بما يثنيه مستخبرا بما افترى من كذب الدعوى
والثني جذلان اثني بما اوليت من جدوى ومن عدوى

قال فعش القاضي لقوله واجزل له من طوله ثم لفت
وجهه الى الغلام وقد نصل له اسهم الملام قال له
ارايت بطلان زعمك وخطاء وهمك فلا تعجلن بعدها بذم

ولا تهجن عودا قبل عجم واياك وتابيك عن مطاوعة ابيك فانك
ان عققت تعقك حافدة بل منى ما شحقه فسقط الفتى
في يده ولاذ بحقو والده ثم نهض يحفد وتبعه الشيخ ينشد

من ضامه او ضاره دهره فليقصد القاضي في صعده
سماحه ازرى بمن قبله وعدله اتعب من بعده

قال الراوي فحرت بين تعريض الشيخ وتنكيره الى المغرور
لمسيره فتاقت النفس باتباعه ولو الى رباعه لعلي اظهر
على اسراره واعرف شجرة نجاره فبدرت العلوق وانطلقت
حين انطلق ولم ازل يخطو واعتقب ويبعد واقترب
الى ان ترائى الشخصان وحق التعارف على الخلصان فا
بدر حينئذ الاهتشاش ورفع الارتعاش وقال من كاذب اخاه

فلا عاش فعرفت حينئذ أن الاهتشاش وَدَفْعَ الارتعاش والأحوال حاله وأسرعت إليه لمصافحته واستعرفت سانحه وبادحه فقال دونك ابن الخل البر وتوكّني ومرّ فلم يعد الفتى أن افترّ ثم فرّ كما فرّ فعدت وقد استبنت عيبهما ولكن ابن هما

المقامة الثامنة والثلثون

حكى الحارث بن همام قال حُبِّب إليّ مذ بعثت قدمي ونفث قلمي أن أتخذ الأدب شرعة والاقتباس منه نجعة وكنت أنقّب عن أخياره وخزنة أسراره فإذا ألفيت منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدي بغرزه واستنزلت منه زكوة كنزه على أني لم ألق كالسروجي في غزارة السحب ووضع الهناء مواضع النقب إلا أنه

كان أسير من المثل وأسرع من القمر في النقل وكنت لهواي لملاقاته أرغب في الاغتراب وأستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب فلما نطحت إلى مرو ولا غرو وبشّرني بملقاه زجر الطير والفأل الذي هو بريد الخير فلم أزل أنشده في المحافل وعند تلاقي القوافل فلا أجد عنه مخبرا ولا أرى له أثرا ولا عثيرا حتى غلب اليأس الطمع وانزوى التأميل وانقمع فأتيت لذات يوم حضرة والي مرو وكان ممن جمع الفضل والثروة وإذ طلع أبو زيد في خلق مملاق وخلق ملّاق فحيّا الوالي تحية المحتاج إذا لقي رب التاج ثم قال له اعلم وقيت الذم وكفيت الهم أن من عُلِّقت به الأعمال عَلِقت به الآمال ومن رُفعت له الدرجات رُفعت إليه الحاجات

وأن السعيد من إذا قدر وواتته القدر أدّى زكوة النعم كما يؤدي زكوة النعم والتزم لأهل الحرم كما يلتزم للأهل والحرم وقد أصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك ترجى للركائب إلى حرمك وترجى الرغائب من كرمك وتنزل المطالب بساحتك وتستنزل الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما ثم إني شيخ ترب بعد الإتراب وعدم الإعشاب حين شاب قصدتك من محلّة نازحة وحالة رازحة آمل من بحرك دفعة ومن جاهك رفعة والتأميل أفضل وسائل السائل ونائل النائل فأوجب ما يجب عليك وأحسن كما أحسن الله إليك وإياك أن تلوي عذارك عمن أزدارك وأمّ دارك وتقبض راحتك عن استماحك واستماح ماحك فوالله ما مجد من جمد ولا رشد من حشد بل

اللبيب من إذا وجد جاد وإن بدأ بعائدة عاد والكريم من إذا استوهب الذهب لم يهب أن يهب ثم أمسك يرقب أكل غرسه ويرصد مطيّة نفسه وأحب الوالي أن يعلم هل نطفته ثمد أم لقريحته مدد فأطرق يروّي في استنزار درّه واستشفاف فرنده والتبس على أبي زيد سر صمته وإرجاء صلته فتنمّر غضبا وأنشد مقتضبا شعر

لا تحقرنّ أبيت اللعن ذا أدب ... لأن بدا خلق السربال مسبروتا

ولا تضع لأخي التأميل حرمته ... أكان ذا الثراء أم كان سكّيتا

وانقع بعرفك من وافاك مختبطا ... وانعش بغوثك من الغيث منكوتا

فخير مال الفتى مال أشاد له ... ذكرا تناقله الركبان أو صيتا

وما على المشتري حمد الموهبة ... غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا

لولا المروءة ضاق العذر عن فطن اذا اشرأب الى ما جاوز القوتا
لكنه لا يني الجد جد ومن حب السماح ثنى نحو الغنا ليتا
ومن تنشق نشر الشكر ذو كرم ازرى بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل اعيا الجمع بينهما حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا
والشح ما زال محجوجا خلائقه والجامد الكف ما ينفك ممقوتا
وللشحيح على اموال علته سوء يصيره ابدا ذما وتبكيتا
فجد بما جمعت كفاك من نشب حتى ترى مجتدي جدواك مبهوتا
وخذ نصيبك منه قبل رائعة من الزمان تريك العود منحوتا
فالدهر انكد من ان تستمر به حال تكرهت تلك الحال ام شيتا
فقال له الوالي تالله لقد احسنت فاي الرجلين انت
فنظر اليه عن عرض ثم انشد وهو مغض شعر

لا تسأل المرء من ابوه ورز خلاله ثم صله او فاصرم
فما يشين السلاف حين حلا مذاقها كونها ابنة الحصرم
قال فقربه الوالي لبيانه الفاتن حتى احله مقعد الخائن
ثم فرض له من سيوب نيله ما آذن بطول ذيله وقصر ليله
فنهض عنه بردن ملآن وقلب جذلان وتبعته قافيا
خطوه وحاذيا حذوه حتى اذا خرج من بابه وفصل عن غابه
قلت له هنئت بما اوتيت ومليت بما اوليت فاسفر وجهه
وتلألأ ووالى شكر الله تعالى ثم خطا اختيالا وانشد ارتجالا
من يكن نال بالحماقة حظا او سما قدره لطيب الاصول
فبفضلي انتفعت لا بفضولي وبقولي ارتفعت لا بقبولي
ثم قال تعسا لمن جنب الادب وطوبى لمن جد فيه ودأب ثم

وودعني وذهب واودعني اللهب

المقامة التاسعة والثلاثون

حدث الحارث بن همام قال لججت مذ اخضر ازاري وبقل
عذاري بان اجوب البراري على ظهور المهاري انجد طورا واسلك
تارة غورا حتى اذا افليت المعالم والمجاهل وبلوت المنازل والمناهل
وادميت السنابك وانضيت السوابق والرواسم فلما مللت
الاصحار وتذكرت اربي بصحار ملت الى اختيار البحار و
اختيار الفلك السيار فنقلت اليه اساودي واستصحبت زادي
ومزاودي ثم ركبت فيه ركوب حاذر ناذر وعاذر لنفسه
وعاذر فلما شرعنا في القلعة ورفعنا الشرع للسرعة
سمعنا من شاطئ المرسى حين دجا الليل واغساه انسانا يقول

يا اهل هذا الفلك القويم المزجى في اليم العظيم هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فقلنا له اقبسنا نارك
ايها الدليل وارشدنا كما يرشد الخليل الخليل فقال استصحبون
ابن سبيل زاده في زبيل وظله غير ثقيل وما يبغي سوى مقيل
فاجمعنا على الجنوح اليه وان لا نبخل بالماعون عليه فلما استوى
على الفلك قال اعوذ بمالك الملك من دواعي الهلك ثم قال
انا روينا في الاخبار المنقولة عن الاحبار ان الله تعالى ما اخذ على
الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلموا وان معي
لعوذة عن الانبياء ماثورة ولي فيكم نصيحة براهينها
صحيحة وما وسعني الكتمان ولا من شيمي الحرمان فتدبروا
القول وتفهموا واعملوا بما تعلمون وعلموا ثم صاح صيحة المباهل

وقال اتدرون ما هي هي والله حرز السفر عند مسيرهم في البحر
والجنة من الغم إذا جاش موج اليم وبها استعصم نوح يوم
الطوفان ونجا ومن معه من الحيوان على ما صدعت به آي القران
ثم قرا اساطير تلاها وزخارف جلاها وقال اركبوا فيها
بسم الله مجريها ومرسيها ثم تنفس تنفس المغرمين او عباد
الله المكرمين وقال اما انا فقد قمت فيكم مقام المبلغين
ونصحت لكم نصح المبالغين وسلكت بكم محجة الراشدين
فاشهد اللهم وانت خير الشاهدين قال الحارث بن همام
فاعجبنا بيانه البادي الطلاوة وعجنا له اصواتنا بالتلاوة
واين قلبي من جرسه معرفة عين شمسه فقلت له بالذي
سخر البحر اللجي الست السروجي قال بلى وعزة من عز وعلا

وعلت خفي ابن جلا فاحمدت حينئذ السفر وسفرت عن نفسي
اذ سفر ووجدت لمغيبانه وجد المثري بعقيانه واستبشرت
بمناجاته استبشار الغريق بمنجاته ولم نزل نسير والجو صحو
والبحر رهو والعيش صفو والزمان لهو الى ان عصفت
الجنوب وعسف الجنوب ونسي السفر ما كان وجاءهم
الموج من كل مكان فملنا لهذا الحدث الثائر الى احدى الجزائر
لنريح ونستريح ريث ما يوافي الريح وتمادى اعتياص المسير
حتى نفد الزاد غير اليسير فقال لي ابو زيد انه لن يحرز جنا
العود بالقعود فهل لك في استثارة السعود بالصعود فقلت
له اني لك لاتبع من ظلك واطوع من نعلك فنهضنا الى الجزيرة
لنركض في امتراء الميرة على ضعف المريرة وما منا من يملك فتيلا

ولا يهتدي فيها سبيلا فاقبلنا نجوس خلالها ونتفيا ظلالها
حتى افضينا الى قصر مشيد له باب من حديد ودونه زمرة
من عبيد فناسمناهم لنتخذهم سلما الى الارتقاء وارشية
للاستقاء فالفينا كلا منهم في شغل كبير وكرب اثير فقلنا ايتها
الغلمة ما هذه الغمة فلم يجيبوا النداء ولا فاهوا ببيضاء
ولا سوداء فلما راينا نارهم نار الحباحب وجرهم كسراب السباسب
قلنا شاهت الوجوه وقبحا للكلح ومن يرجوه فابتدر خادم قد علته
كبرة وعرته عبرة وقال يا قوم لا توسعونا سبا ولا توجعونا
عتبا فانا لفي حزن شامل وشغل عن الحديث شاغل فقال
له ابو زيد نفس خناق البث وانفث ان قدرت على النفث
فانك ستجد مني عرافا كافيا ووصافا شافيا فقال اعلم ان رب

هذا القصر وقطب هذه البقعة وشاه الرقعة الا انه لم يخل
من كمد لخلوه من ولد ولم يزل يستكرم المغارس ويتخير
من المغارس النفائس الى ان بشر بحمل عقيلة وآذنت
دقليته بفسيلة فنذرت له النذور واحصيت الايام والشهور
ولما حان النتاج وصيغ الطوق والتاج عسر مخاض الوضع حتى
خيف على الاصل والفرع فما فينا من يعرف قرارا ولا يطعم النوم
الا غرارا ثم اجهش بالبكاء واعول وردد الاسترجاع وطول فقال
له ابو زيد اسكن يا هذا واستبشر وابشر بالفرج وبشر فعندي عزيمة
الطلق التي انتشر سمعها في الخلق فتبادرت الغلمة الى مولاهم
مبشرة بانكشاف بلواهم فلم يكن الا كلا ولا حتى برز
من هلم بنا اليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه قال

لابي زيد ليهنك ما لك ان صدق مقالك ولم يفل فالك فاستحضر
فلما ممر يا وزبدا بحريا وزعفرانا قد ديف في ماء ورد نظيف
فما ان رجع النفس حتى احضر ما التمس فسجد ابو زيد وعفر
وسبح واستغفر ثم اخذ القلم واستخفر وكتب على الزبد بالمزعفر

ايهذا الجنين اني نصيح لك والنصح من شروط الدين
انت مستعصم بكن كنين وقرار من السكون مكين
لا ترى فيه ما يروعك من خل مداج ولا عدو مبين
فمتى ما برزت منه تحولت الى منزل الاذى والهون
وترامى لك الشقاء الذي تلقى فتبكي له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر ان تبيع المحقوق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يرتيك ليلقيك في العذاب المهين

ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيح مشبه بظنين

ثم انه طمس المكتوب على غفلة وتفل عليه مائة تفلة وشد
الزبد في خرقة حرير بعد ما ضمخها بعبير وامر بتعليقها على
فخذ الماخض وان لا تعلق بها يد حائض فلم يك الا كذواق
شارب او فواق حالب حتى اندلق شخص الولد الخصي
الزبد بقدرة الواحد الصمد فامتلا القصر حبورا واستطير
عميده وعبيده سرورا واحاطت الجماعة بابي زيد تثني
عليه وتقبل يديه وتتبرك بمساس طمريه حتى خيل لي
انه القرني اويس او الاسدي دبيس ثم انثال عليه من
جوائز المجازاة ووصائل الصلات ما قيض له الغنى وبيض وجه
المنى ولم يخل من ان يتتابع الدخل مذ تبجح النجل الى

ان اعطى البحر الامان وتسنى الامام الى عمان فالتفى ابو زيد النحلة
وتاهب للرحلة فلم يسمح الوالي بحركته بعد تجربة بركته
بل اوعز بضمه الى خزانته وان تطلق يده في خزانته
قال الراوي فلما رايته قد مال الى حيث يكتسب المال الحيث
عليه بالتعنيف مفارقة المالف والاليف فقال اليك عني واسمع مني

لا تصبون الى وطن فيه تضام وتمتهن
وارحل عن الدار التي تعلي الوهاد على القنن
واهرب الى كن يقي ولو انه حضنا حضن
وارب بنفسك ان تقيم بحيث تغشاك الدرن
وجب البلاد فايها ارضاك فاختره وطن
ودع التذكر للمعاهد والحنين الى السكن

واعلم بان الحر في اوطانه يلقى الغبن
كالدر في الاصداف يستزرى ويبخس في الثمن

ثم قال حسبك ما استمعت وحبذا انت لو اتبعت فاوضحت
معاذيري وقلت له كن عذيري فعذر واعتذر وزود
ولم يذر ثم شيعني تشييع الاقارب الى ان ركبت في
القارب فودعته وانا اشكو الفراق واذمه واود
لو هلك الجنين وامه

المقامة الاربعون

اخبر الحرث بن همام قال ازمعت التبريز من تبريز حين
نبت بالذليل والعزيز وخلت من المجير والمجيز فبينا انا
في اعداد الاهبة وارتياد الصحبة لقيت ابا زيد السروجي

ملتفعا بكساء ومحتفا بنساء فسألته عن خطبه وإلى أين
يسرب مع سربه فأومأ إلى امرأة منهن باهرة السفور
ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة وترحض
عني قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة تمطلني
بحقي وتكلفني فوق طوقي فأنا منها نضو وجى وحلف شجو و
شجى وها نحن قد تساعينا إلى الحاكم ليضرب على يد الظالم
فإن انتظم بيننا الوفاق وإلا فالطلاق والانطلاق قال
فملت إلى أن أخبر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب فجعلت
شغلي دبر أذني وصحبتها وإن كنت لا أغني فلما حضر القاضي
وكان ممن يرى فضل الإمساك ويضن بنفاثة السواك
جثا أبو زيد بين يديه وقال أيد الله القاضي وأحسن إليه

إن هذه أبية القياد كثيرة الشراد مع أني أطوع لها
من بنانها وأحنى عليها من جنانها فقال لها القاضي ويحك
أما علمت أن النشوز يغضب الرب ويوجب الضرب
فقالت إنه ممن يدور خلف الدار ويأخذ الجار بالجار فقال
القاضي له تبا لك أتبذر بالسباخ وتستفرخ حيث لا أفراخ
اعزب عني لا نعم عوفك ولا أمن خوفك فقال أبو زيد
إنها ورب الرياح لأكذب من سجاح فقالت بل هو ومن
طوق الحمامة وجنح النعامة أكذب من ابن ثمامة مخرق
باليمامة فزفر أبو زيد زفير الشواظ واستشاط ٢
استشاطة المغتاظ وقال لها ويلك يا دفار يا فجار
يا غصة البعل والجار أتعمدين في الخلوة لتعذيبي

وتبدين في الحفلة تكذيبي وقد علمت أني حيث بنيت عليك
ودنوت إليك ألفيتك أقبح من قردة وأيبس من قدة و
أخشن من ليفة وأنتن من جيفة وأثقل من هيضة وأقذر من
حيضة وأبرز من قشرة وأبرد من قرة وأحمق من رجلة و
أوسع من دجلة فسترت عوارك ولم أبد عارك على أنك لو
حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها وبوران
بفرشها والزباء بملكها ورابعة بنسكها وخندف بفخرها والخنساء
بشعرها في صخرها لأنفت أن تكوني قعيدة رحلي و
طروقة فحلي قال فتذمرت المرأة وتنمرت وحسرت
عن ساعدها وشمرت وقالت له يا ألأم من مادر وأشأم
من قاشر وأجبن من صافر وأطيش من طامر أترميني بشنارك

وتفري عرضي بشفارك وأنت تعلم أنك أحقر من قلامة وأعيب
من بغلة أبي دلامة وأفضح من حبقة في حلقة وأحير من بقة
في حقة وهبك الحسن البصري في لفظه ووعظه والشعبي
في علمه وحفظه والخليل في عروضه ونحوه وجريرا في غزله
وهجوه وقسا في فصاحته وخطابته وعبد الحميد في بلاغته
وكتابته وأبا عمرو في قراءته وإعرابه والأصمعي في روايته
عن أعرابه أتظنني أرضاك إماما للمحراب أو حساما للقراب لا
والله ولا بوابا للباب ولا عصا للجراب فقال لهما القاضي
أراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة فاترك أيها الرجل
اللدد واسلك في سيرك الجدد وأما أنت فكفي عن سبابه و
قري إذا أتى البيت من بابه فقالت المرأة والله ما أنجح

عنه لساني الا اذا كساني ولا ارفع له ذراعي دون اشباعي
فحلف ابو زيد بالمحرجات الثلث انه لا يملك سوى اطماره الرثاث
فنظر القاضي في قصصهما نظر الالمعي وافكر فكرة اللوذعي
ثم اقبل عليهما بوجه قد قطبه ومجن قد قلبه وقال
الم يكفكما التسافه في مجلس الحكم والاقدام على هذا الجرم حتى
ترقيتما من خزي المقاذعة الى خبث المخادعة وايم الله لقد
اخطأت استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة فان
امير المومنين اعز الله تعالى ببقائه الدين نصبني لاقضي بين
الخصماء لا لاقضي دين الغرماء وحق نعمته التي احلتني
هذا المحل وملكتني العقد والحل لئن لم توضحا لي جلية
وخبيئة خبثكما لاندّدنّ بكما في الامصار ولاجعلنكما عبرة

لاولي الابصار فاطرق ابو زيد اطراق الشجاع ثم قال له سماع سماع

انا السروجي وهذي عرسي وليس كفو البدر غير الشمس
وما تنافى انسها وانسي ولا نأت ديرها عن قسي
ولا عدت سقياي ارض غرسي لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي لا نعرف المضغ ولا التحسي
حتى كانا لخفوت النفس اشباح موتى نشرت من رمس
فحين عز الصبر والتأسي وشفنا الضر الاليم المس
قمنا لسعد الجد او للنحس هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلجي الحر حين يرسي الى التحلي بلباس اللبس
فهذه حالي وهذا درسي فانظر الى يومي وسل عن امسي
وامر بجبري ان تشا او حبسي ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليثبت انسك ولتطب نفسك فقد حق
لك ان تغفر خطيئتك وتوفر عطيتك فنادت الزوجة عند
ذلك واستطالت واشارت الى الحاضرين وقالت

يا اهل تبريز لكم حاكم اوفى على الحكام تبريزا
ما فيه من عيب سوى انه يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغي جنا عود له ما زال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من جدواه تخصيصا وتمييزا
وردني اخيب من شائم برقا خفا في شهر تموزا
كانه لم يدر اني التي لقنت الشيخ الاراجيزا
وانني لو شئت غادرته اضحوكة في اهل تبريزا

فلما راى القاضي اجترا جنانها وانصلات لسانها علم انه

قد مني منهما بالداء العيا والداهية الدهيا وانه متى منح احد
الزوجين وصرف الآخر صفر اليدين كان كمن قضى الدين بالدين
وصلى المغرب ركعتين فطلسم وطرسم واخرنطم وبرطم وهمهم
وغمغم ثم التفت يمنة وشامة وتململ كآبة وندامة
واخذ يذم القضاء ومتاعبه ويعدد شوائبه ونوائبه ويفند
طالبه وخاطبه ثم تنفس كما يتنفس الحريب وانتحب حتى
كاد يفضحه النحيب وقال ان هذا لشي عجيب اارشق في موقف
بسهمين االزم في قضية مغرمين انى اطيق ان ارضي الخصمين
ومن اين ومن اين ثم التفت الى حاجبه المنفذ لمآربه وقال
ما هذا يوم حكم وقضا وفصل وامضا هذا يوم الاغتمام هذا يوم
الاغترام هذا يوم العراك هذا يوم الخسران هذا يوم عصيب

هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب فأرحني من هذين المعذرين
واقطع لسانهما بدينارين ثم فرّق الأصحاب وأغلق الباب
وأشيع أنه يوم مذموم وأن القاضي فيه مهموم ولئلا تحضرني
خصوم فأمّن الحاجب على دعائه وتباكى لبكائه ثم نقدا بالدينارين
وعرّسه المتقالين وقال أشهد أنكما لأحيل الثقلين
ولكن احترما مجالس الحكام واجتنبا فيها فحش الكلام فما
كل قاضٍ قاضي تبريز ولا في كل وقت تسمع الأراجيز فقالا له
مثلك من حجب وشكرك قد وجب ونهضا وقد حظيا
بدينارين وأصليا قلب القاضي نارين ٥ تفسير
ما تضمنت هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال
العربية ٥ قوله لقيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب

لمن يلقى شدة من الأمر الذي يزاوله كما أن حامل القربة
يلقى جهدا حتى يعرق وقوله جعلته دبر أذني يعني اطرحته
وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم ٥ وقوله أكذب
من سجاح يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت
إليه لتناظره وتختبره ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهذا الاسم
مبني على الكسر مثل حذام وقطام لكونه من الأسماء المعدولة
واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة ومنه قولهم
ملكت فاسجح ٥ وقوله أكذب من ابن ثمامة هذه كنية
مسيلمة الكذاب وكان تنبأ باليمامة ومخرق بها حتى سار إليه
خالد بن الوليد فقتله ٥ وقوله لا نعم عوفك العوف
الحال والعوف أيضا الذكر ويدعى للباني على أهله فيقال

نعم عوفك ٥ وقوله يا دفار يا فجار هذان الاسمان المعدولان عن
دفرة وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا أم دفر وكل
ما سمي بصفة غالبة ثم عدل بها إلى فعال بني على الكسر عند
النداء كقولك يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز
استعمال ذلك في غير النداء إلا في ضرورة الشعر كقول الشاعر
أطوف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكاع
وأما قوله وأحمق من رجلة فهي ضرب من الحمض ينبت في مجاري
السيل فيجترفها ٥ وأما قوله ألأم من مادر فهو رجل من هلال بن
عامر كان اتخذ حوضا لسقي إبله فلما رويت سلح فيه ومدره
بسلحه لئلا ينتفع به من بعده ٥ وأما قوله أشأم من قاشر فإنه
فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة ما طرق إبلا إلا أماتت

من بني

وقيل المراد به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره وجه
الأرض من النبات ٥ وأما قولها أجبن من صافر فقد اختلف
في تفسيره فقال بعضهم يعني به كل ما يصفر من الطير وخص
بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الطير ومصائد الأرض
وقيل إنه طائر بعينه إذا جنه الليل تعلق ببعض الأغصان
برجليه ولم يزل منكوسا يصفر طول ليلته خوفا من أن ينام
فيؤخذ ٥ وقيل إنه الذي يصفر بالمرأة فهو يجبن وقت
صفيره مخافة أن يظهر على أمره وقيل المراد به في
المثل المصفور به وهو الذي يتبذر بالصفير فعلى هذا القول
فاعل ههنا بمعنى مفعول ٥ كقوله تعالى ماء دافق أي
مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وقد جاء في كلامهم

مفعول بمعنى فاعل كقوله حجابا مستورا اى ساترا واما قوله
اطيش من طامر فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر لكثرة
وثوبه ٥ واما قول القاضى اراكما شنا وطبقة وحداة وبندقة
فاراد ان كلا منكما كفو لصاحبه مقاوم له ولكل من
المثلين تفسير يختلف الناس فيه اما شن وطبقة فان العلماء
مختلفون فى معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الاكثرون انهما
قبيلتان فشن هو ابن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة
بن نزار وطبقة حى من اياد وكانت طبقة لا تطاق فاوقعت
بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة
العرب وكان الزم نفسه ان لا يتزوج الا بامراة تلايمه
فكان يجوب البلاد فى ارتياد طلبته فصاحبه رجل فى بعض

فلما اخذ بهما السير قال له شن احملنى او احملك فقال له
الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب الراكب فامسك وسارا حتى
اتيا على زرع فقال له شن اترى هذا الزرع اكل ام لا فقال
فقال يا جاهل اما تراه فى سنبله فامسك حتى استقبلهما جنازة
فقال له شن اترى صاحبها حيا فقال له ما رايت اجهل منك
اتراهم حملوا الى القبر حيا ثم انهما وصلا الى قرية الرجل
فصار به الى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة فاخذ يطرف
ابنته بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا بصواب ولا
استفهم الا عما يستفهم عن مثله اما قوله احملنى ام
احملك فانه اراد اتحدثنى ام احدثك حتى نقطع الطريق
بالحديث واما قوله اترى هذا الزرع قد اكل ام لا فانه

اراد الحديث هل استلف ربه ثمنه ام لا واما استفهامه
عن حيوة صاحب الجنازة فانه اراد به اخلف عقبا يحيا به
ذكره ام لا فلما خرج الى الرجل حدثه بتاويل ابنته كلامه
فخطبها اليه فزوجه اياها فلما سار بها الى قومه وخبروا ما
فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة فصارت مثلا
وحكى ان الاصمعى سئل عن تفسير هذا المثل اطن شن وعاء من
ادم كان قد اشتن فلما اتخذ له غطاء وافقه ضرب فيه هذا
المثل ٥ واما حداة وبندقة فانه يقال فى المثل المضروب
لمن يفزع بعدوه او يبلى بنظيره حدا حدا وراءك بندقة
وكان الاصل حداة باثبات الهاء فرخم فى النداء وقد اختلف فى
المراد بهما فقيل هما الطائر المعروف وبندقة الرامى وقيل

انهما قبيلتان من سعد العشيرة فاغارت حداة وكانت تنزل
بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم
كرت بندقة على حداة فاتت عليهم وروى بعضهم
هذا المثل حدا حدا غير مهموز على مثال قفا وعصا وزعم انه
اسم القبيلة ٥ واما قوله اخطات استك الحفرة فانه
مثل يضرب به لمن يخطئ فى مقصده ويضع الشى فى غير موضعه
واما قوله طلسم وطرسم فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم
اى اطرق وقوله اخرنطم وبرطم يعنى غضب وقطب وقيل
ان الاخرنطام الغضب مع التكبر والبرطمة الغضب مع
العبوس ٥ وقوله همهم وغمغم اى لم يبين الكلام

المقامة الحادية والاربعون

اخبر الحارث بن همام قال اطعت دواعي التصابي في غلواء
شبابي فلما ازل فيرا للغيد وادنا للاغاريد الى ان وافى
النذير وولى العيش النضير فنهضت الى رشد الانتباه وندمت على
ما فرطت في جنب الله ثم اخذت في كسع الهنات بالحسنات
وتلافي الهفوات قبل الفوات فملت عن مغاداة الغادات
الى ملاقاة التقاة وعن مغاناة القينات الى مداناة اهل
الديانات وآليت ان لا اصحب الا من نزع عن الغي ونفض
منشره الى الطي وان الفيت من هو خليع الرسن مديد الوسن
انأيت داري عن داره وفررت من عره وعاره فلما القتني
الغربة بسنجار واحلتني مسجدها الآبس رأيت به ذا حلقة
ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو يقول بجاش مكين و

لسان مبين مسكين ابن آدم اي مسكين ركن من الدنيا الى
غير ركين واستعصم منها بغير مكين وذبح من حبها بغير
سكين يكلف بها لغباوته ويكلب عليها لشقاوته ويعتد
فيها للمفاخرة ولا يتزود منها للآخرة اقسم بمن مرج البحرين
ونور القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن آدم لما نادم ولو افكر
فيما قدم لبكى الدم ولو ذكر المكافاة لاستدرك ما فات ولو نظر في المآل
لحسن قبح الاعمال يا عجبا كل العجب ممن يقتحم ذات اللهب في
اكتناز الذهب وخزن النشب لذوي النسب ثم من البدع العجيب
ان يعظك وخط المشيب ويؤذن شمسك بالمغيب ولست
ترى ان تنيب وتهذب المعيب ثم اندفع ينشد انشاد من يرشد

يا ويح من انذره شيبه وهو على غي الصبى منكمش

يعشو الى نار الهوى بعد ما اصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويعتده اوطأ ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذي ما رأى نجومه ذو اللب الا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك ان مات فسحقا له وان يعش عد كمن لم يعش
لا خير في محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيب يروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه هلك يا مسكين ان تنتعش
فاخلص التوبة تطمس بها من الخطايا السود ما قد نقش
وعاشر الناس بخلق رضا وداري من طاش ومن لم يطش
ورش جناح الحر ان حصه زمانه لا كان من لم يرش

وانجد الموتور ظلما فان عجزت عن انجاده فاجهش
وانعش اذا ناداك ذو كبوة عساك في الحشر به تنتعش

وهاك كاس النصح فاشرب وجد بفضلة الكاس على من عطش

قال فلما فرغ من منكياته وقضى انشاد ابياته نهض صبي
قد شدف واعرى البدن وقال يا ذوي الحصافة والانصاف
الى الوصاة قد وعيتم الانشاد وفهمتم الارشاد فمن نوى منكم
ان يقبل ويصلح المستقبل فليبن بري عن نيته ولا يعدل عن
عطيته فو الذي يعلم الاسرار ويغفر الاصرار ان سري لكما
ترون وان وجهي ليستوجب الصون فاعينوني رزقتم
العون قال واخذ الشيخ بما يعطف عليه القلوب ويسني
له المطلوب حتى ابنط جفره واعشوشب قفره فلما انتزع

الكيس انصلت بمين وبجد تبين ولم يحل للشيخ المقام
بعد ما افتضح الغلام فاستدرع الادلاج بالدعا ثم نحا نحو النجا
قال الراوي فارتحت الى ان اعجمه واحل مترجمه فتبعه
وهو يشتد في سمته ولا يفتر ريثما يصمته فلما امن المفاجي
وامكن التناجي لفت جيده الي وسلم تسليم البشاشة علي
ثم قال اراقك ذكاء ذلك الشويدن فقلت اي والمومن المهيمن
فقال انه فتى السروجي ومخرج الدر من اللجي فقلت اشهد انك
لشجرة ثمرته وشواظ شرارته فصدق مقالي واستحسن ابالتي
ثم قال هل لك في ابدار البيت لتشارع كاس الكميت فقلت له
فقلت له ويحك اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فافتر افترار
متضاحك ومر غير مماحك ثم بدا له ان تراجع الي ثم قال

اصرف بصرف الراح عنك الاسى وروح القلب ولا تكتئب
وقل لمن لامك فيها تدفع عنك الغم قدك اتئب
ثم قال اما انا فسانطلق الى حيث اصطبح واغتبق واذا
كنت لا تصحب ولا تلايم من يطرب فلست لي برفيق ولا طريقك
بطريق فخل سبيلي ونكب ولا تنفر عني ولا تنقب ثم ولى يدعو
ولم يعقب قال الحرث بن همام فالتهبت وجدا عند انطلاقه
ووددت لو لم الاقه

المقامة الثانية والاربعون

حكى الحارث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى ومسارح
الهوى الى ان جبت ابن كل ذي تربة واطاك كل ذي غربة الا
اني لم اكن اقطع واديا ولا اشهد ناديا الا لاقتباس الادب
المسلي عن الاشجان المغلي قيمة الانسان حتى عرفت لي هذه

الشنشنة وتناقلتها عني الالسنة وصادفت اعلق بي من
الهوى ببني عذرة والشجاعة بآل ابي صفرة فلما القيت الجران بنجران
واصطفيت بها الخلان والجيران تخذت انديتها معمري
ومواسمها فكاهتي وسمري وكنت اتعهدها صباحا ومساء واظهر فيها
على ما سر وساء فبينما انا في ناد محشود ومحفل مشهود اذ جثم لدينا
هم عليه هدم فحيا تحية ملق بلسان ذلق ثم قال يا بدور
المحافل وبحور النوافل قد بدا الصبح لذي عينين وناب العيان
مناب عدلين فماذا ترون فيما تروون اتحسنون العون ام تاوون
اذ تدعون فقالوا تالله لقد غظت ورمت ان تخبط فعضضت
فما شدهم الله عما اصدرهم حتى استوجب ردهم فقالوا
فقالوا انا كنا نتناضل بالالغاز كما يتناضل يوم البراز

فما تنفك ان تبعث من المنضول والحق هذا العقد بنمطه
فاسنه سنن القوم وخزوه بالسنة اللوم فاخذهم بمنصل
من هوته وبتندم على فوهته وهم مضبون على مواخذته
وملبون داعي منابذته الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال من كرم
الطبع فعدوا عن اللذع والقذع ثم هلم الى ان تلغزوا و
تحكموا المبرز فسكن عند ذلك توقدهم واعملت عقدهم
ورضوا بما شرط عليهم ولهم واقترحوا ان يكون اولهم فاكتسى
ريثما يعقد شسع او يشد نسع قال لهم وقيتم الطيش
ومليتم العيش وانشد ملغزا في مروحة الخيش
وجارية في سيرها مشمعلة ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها على انه في الاحتثاث رسيلها

اسمعوه

تُرى وأوان القيظ تنطف بالندى ويبدو إذا أودى المصيف محولها

ثم قال وهاكم يا أولي الفضل ومراكز العقلاء وأنشد ملغزاً في جابول

ومنتسب إلى أم تنشأ أصله منها

يعانقها وقد كانت تعتبه برهة عنها   به يتوصل الجاني ولا الملحي ولا الباغي

ثم قال ودونكم الخفية العلم للمتكدرة الظلم وأنشد ملغزاً في القلم

ومأموم به عرف الإمام كما باهت بصحبته الكرام

له ترنو نطيشان صادٍ ويبكي حين يعروه الأوام .

ويذري حين يستسقي دموعاً يرق كما يروق الابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قبل وأنشد ملغزاً

وما ناكح أختين جهراً وخفية وليس عليه في النكاح سبيل

متى يغش هذي يغش في الحال هذه وإن نال بعلاً لم تجده يميل

يزيدهما عند المشيب تعهداً وبرّاً وهذا في البعول قليل

ثم قال وهذه يا أولي الألباب معيار الآداب وأنشد ملغزاً في الدولاب

وجاف هو موصول وصول ليس بالجافي

غريق بارز فاعجب له من بارز طاف

يسح دموع محصور ويعصم عصم متلاف

وتخشى منه حدته ولكن قلبه صاف

قال فلما رشق بالخمس التي نسق قال يا قوم تدبروا واعدوا الخمس

واعقدوا عليها بالخمس ثم رأيكم وضم الذيل أو الازدياد

من الكيل قال فاستغرب القوم شهوة الزيادة على ما

أشربوا من البلادة فقالوا له إن وقوفنا دون حدك

ليفحمنا عن استبراء زندك فإن تممت عشراً فمن عندك

فاهتز اهتزاز من فلج سهمه وانخزل خصمه ثم افتتح النطق بالتسمية

وأنشد ملغزاً في المزملة

ومسرورة مغمومة طول دهرها وما إن تدري ما السرور ولا الغم

تقرب أحياناً لأجل جنينها ولم تلد لولاه طلقت الأم

وتبعد أحياناً وما حال عهدها وإبعاد من لم يستحل عهده ظلم

إذا قصر الليل استلذ وصالها وإن طال فالإعراض عن وصلها غنم

لها ملبس بادٍ أنيق مبطن بما يزدري لكن لما يزدري الحكم

ثم كشر عن أنيابه الصغر وأنشد ملغزاً في الظفر

ومرهوب الشبا ناب ولا يرعى ولا يشرب

يرى في العشر دون النحر فاسمع وصفه واعجب

ثم تغازر تغازر العفريت وأنشد ملغزاً في طاقة الكبريت

وما محقورة تدني وتقصى وما منها إذا فكرت بدّ

لها رأسان مشتبهان جداً وكل منهما للأخيه ضد

تعذب إن هما خضبا وتلغى إذا عدما الخضاب ولا تغرّ

ثم تحمحم تحمحم القرم وأنشد ملغزاً في حلب الكرم

وما شيء إذا فسد تحول غيّه رشداً وإن هو راق أوصافاً أثار الشر حيث بدا

زكي العرق والده ولكن بئس ما ولدا

ثم اعتضد عصا التسيار وأنشد ملغزاً في الطيار

وذي طيشة شقه مائل وما عابه بهما عاقل

يرى أبداً فوق علية كما يعتلي الملك العادل

تساوى لديه الحصا والنضار وما يستوي الحق والباطل

وأعجب أوصافه إن نظرت كما ينظر الكيس الفاضل

تراضى الخصوم به حاكما وقد عرفوا انه مايل

قال فظلت الافكار تهيم في اودية الاوهام وتجول جولان المستهام الى ان طال الامد وحصحص الكمد فلما راهم يرتدون ولا يرتدعون ويقضون النهار بالمنى قال يا قوم الام تنظرون وحتام تنتظرون الم يان لكم استخراج الخبي واستسلام الغبي فقالوا له تالله لقد اعوصت ونصبت الشرك فقنصت فتحكم كيف شيت وجز الغنم والصبت فغرض عن كل معمى فرضا واستخلصه منهم نضا ثم فتح الاقفال ووسم الاغفال وحاول الانجفال فاعتلق به مدرة القوم وقال له لا لبسة بعد اليوم فانتسب قبل الانطلاق وهبها متعة الطلاق فاطرق حتى قلنا مريب وانشد والدمع يجيب

سروج مطلع شمسي وربع لهوي وانسي

لكن حرمت نعيمي بها ولذة نفسي

واعتضت عنها اغترابا امر يومي وامسي ٭ ما لي مقر بارض ولا قرار لعيسي

يوما بنجد ويوما بالشام اضحي وامسي ٭ ازجي الزمان بقوت منغص متحسي

ولا ابيت وعندي فلس ومن لي بفلس ٭ ومن يعش مثل عيشي باع الحيوة ببخس

ثم انه اختبن خلاصة النص ونهد ضاربا في الارض فناشدناه ان يعود واستنينا له الوعود فلا وابيك ما عاج ولا الترغيب له

المقامة الثلثة والاربعون

اخبر الحارث بن همام قال هفا بي البين المطوح والسير المبرح الى ارض يضل بها الخريت ويفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد الحاير الوحيد ورايت ما كنت منه احيد الا اني شجعت قلب المرؤود ونشأت نضو المجهود وسرت

سير الضارب بعد حين المستسلم للحين ولم ازل بين وخد وذميل واجازة ميل بعد ميل الى ان كادت الشمس تجب والضياء يحتجب فارتعت لاطلال الظلام واقتحام جيش حام ولم ادر ااكفت الذيل وارتبط ام اعتمد الليل واختبط وبينا انا اقلب العزم وامتخض الحزم اذ تراءى لي شبح جمل متسربل بجلال فرجيته نعدة مريح وقصدته قصد مشيح فاذا الظن كهانة والعدة عبرانة والمريح قد ازدمل ببجاده واكتحل برقاده فجلست عند راسه حتى هب من نعاسه فلما ازدهر سراجاه واحس بمن فاجاه نفر كما ينفر المريب وقال اخوك ام الذيب فقلت بل خابط ليل ضل المسلك فاضئ لي اتدلج ام تبرك فقال ليسر عنك همك فرب اخ لم تلده امك فاسرى عند ذلك

اشفاقي وسرى الوسن في اماقي فقال عند الصباح يحمد القوم السرى فهل ترى كما ارى فقلت له اني لك لاطوع من حذايك واوفق من غذايك فصدع بمحمدتي وحج بصحبتي ثم اقتعدنا مجذين وارتحلنا مدلجين ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى الى ان لمع الليل غايته ورفع الفجر رايته فلما اسفر الفاضح ولم يبق الا واضح توسمت رفيق رحلتي وسمير ليلتي فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد فتهادينا تحية المحبين اذا التقيا بعد البين ثم تناثنا الاسرار وتناثينا الاخبار وبعيري يخطو من الكلال وراحلته ترف زفيف الرال فاعجبني اشتداد اسرها وامتداد ضبرها واخذت استشف جوهرها واستبله من اين تخيرها فقال

إن لهذه الناقة خبرًا أحلى من المذاقة مليح السياقة فإن أحببت
استماعه فأنخ وإن لم تشأ فلا تصخ فأنخت نضوي و
أرهفت السمع لما يروي فقال اعلم أني استعرضتها بحضرموت
وكابدت في تحصيلها الموت فلم أزل أجوب عليها البلدان
وأطوي بإخفافها الطيران إلى أن وجدتها عبر أسفار و
عدة قرار لا يلحقها الونى ولا تواهقها وجناء ولا تدرك ما
العجناء فأرصدتها للخير والشر وأحللتها محل البر السر
فاتفق أنها ندت ندة وما لي سواها قعدة فاستشعرت
الأسف واستشرفت التلف ونشبت كل نشب سلف و
مكثت ثلثًا لا أستطيع انبعاثًا ولا أطعم النوم إلا حثاثًا
ثم أخذت في استقراء المسالك وتفقد المسارح والمبارك

وأنا لا أستنشي منها ريحًا ولا أستغشي ما سامريحًا وكلما
ذكرت مقامها وأنبراها لمباراة الطير لاعني الادكار واستهوتني
الأفكار فبينا أنا في جواء بعض الأحياء إذ سمعت من شخص متبعد
صوت متجرد من ضلت له مطية حضرمية وطية جلدها
قد قد ووسم وعرها قد حسم وزمامها قد ضفر وظهرها
كان قد كسر ثم جبر تزين الماشية وتعين الناجية وتقطع
المسافة النائية وتظل أبدًا مدانية لا يعتورها الونا ولا
يعترضها الوجا ولا تحوج إلى العصا ولا تعصي يمن عصا قال
أبو زيد فجذبني الصوت إلى الصائت وبشرني بدرك الفائت
فلما أفضيت إليه وسلمت عليه قلت له سلم المطية وتسلم
العطية فقال وما مطيتك غفرت خطيئتك فقلت ناقة

جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة وحلبتها ملء
العلبة وكنت أعطيت بها عشرين مذ حالت يبرين
فاستزدت الذي أعطى وودت أنه أخطأ قال فأعرض
حين سمع صفتي وقال لست بصاحب لقطتي فأخذت بتلابيبه
وأصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق جلابيبه وهو يقول
يا هذا ما مطيتي بطلبتك فاكفف من غربك وعد عن سبك
وإلا فقاضني إلى حكم هذا الحي البري من الغي فإن أوجبها
لك فتسلم وإن زواها عنك فلا تتكلم فلم أر دواء قصتي
ولا مساغ غصتي إلا أن آتي الحكم ولو لكم فانخرطنا
إلى شيخ ركين النصبة أنيق العصبة يؤنس منه سكون
الطائر واللين بالجابر فاندرأت أتظلم وأنا أتألم و

صاحبي مرمرم لا يترمرم حتى إذا نثلت كنانتي وقضيت من
القصص لبانتي أبرز نعلًا دنيئة الوزن محذوة للمسلك
الحزن وقال هذه التي عرفت وإياها وصفت فإن كانت
هي التي أعطيت بها عشرين وها هو من المبصرين فقد كذب في
دعواه وكبر ما افتراه اللهم إلا أن يمد يداله ويبين صداق
ما قاله فقال الحكم اللهم غفرًا وجعل يقلب النعل بطنًا
وظهرًا ثم قال أما هذه النعل فنعلي وأما مطيتك ففي رحلي
فانهض لتسلم ناقتك وافعل الخير بحسب طاقتك فقمت وقلت

أقسم بالبيت العتيق ذي الحرم

والطائفين والعاكفين في الحرم	إنك يا من البيد يحتكم
وخير قاض في الأعاريب حكم	فاسلم ودم دوم النعام والنعم

فأجاب من غير رويّة ولا عقد نيّة وقال

جزيت عن شكرك خيرًا يا ابن عمر ... إذ لست أستوجب شكرًا ملتزم
شرّ الأنام من إذا استعفي ظلم ... شرٌّ من استرعى فلم يرعَ الحرم
فذان والكلب سواءٌ في القيم

ثم إنه نفر بين يدي من سلم الناقة إليّ ولم يمسّ على قرحة
أجرّ ذيل الطرب وأقول يا للعجب قال الحارث بن همام فقلت
له لعمر الله لقد طرفت وهرفت بما عرفت فأنشدك الله هل لقيت
أسحر منك بلاغة وأحسن للفظ صياغة فقال اللهم نعم فاسمع
وأنعم كنت عزمت حين أنهمت على أن أتخذ ظعينة لتكون
لي معينة فحين تعيّن الخطب وكاد الأمر يستتبّ أفكرت
فكر المتحرّز من الوهم المتوقّي كيف مسقط السهم وبتّ

ليلتي أناجي القلب المعذّب وأقلّب العزم المذبذب إلى
أن جمعت على أن أصحر وأشاور أوّل من أبصر فلما قوّضت
الظلمة أطنابها وولّت الشهب أذنابها غدوت غدوة المتعرّف
وابتكرت ابتكار المتعيّف فانبرى لي يافع في وجهه شافع
فتيمّنت بمنظره البهيج واستشرته في التزويج
فقال أو تبغيها عوانًا أو بكرًا تعانى فقلت اختر لي ما ترى
فقد ألقيت إليك العرى فقال إليّ التبيين وعليّ التعيين
فاسمع أنا أفديك بعد ذي أعاديك أما البكر فالدرّة
المخزونة والروضة الأنف والطوق الذي ثمن وشرف
لم يدنّسها لامس ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث
ولا وكسها طامث ولها الوجه الحييّ والطرف الخفيّ و[illegible]

[illegible]

العيّ والقلب النقيّ ثم هي الدمية الملاعبة واللعبة المداعبة
والغزالة المغازلة والملحة الكاملة والوشاح الطاهر القشيب
والضجيع الذي يؤنس ولا يشيب وأما الثيّب فالمطيّة
المذلّلة واللهنة المعجّلة والبغية المسهّلة والطبّة المعلّلة
والصناع المدبّرة والقرينة المتحبّبة والحليلة المتقرّبة
والفطنة المختبرة ثم إنها عجالة الراكب وأنشوطة الخاطب
وقعدة العاجز ونهزة المبارز عريكتها ليّنة وقعدتها
هيّنة ودخلتها متبيّنة وخدمتها مزيّنة وأقسم لقد صدقت
في النعتين وأجليت المعنيين فأيّتهما هام قلبك وعلى
أيّتهما قام ربّك قال أبو زيد فرأيته جذيلة يتقيّها
المراجم ويتدمّى منها المحاجم إلا أني قلت له كنت قد سمعت

أن البكر أشدّ حبًّا وأقلّ خبًّا فقال لعمري قيل هذا
ولكن كم من قول آذى ويحك أما هي المهرة الأبيّة العنان
والمطيّة البطيئة الإذعان والزندة المتعسّرة الاقتداح
والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم إن مؤونتها كثيرة
ومعونتها يسيرة وعشرتها صلفة وإدلالها مكلفة ويدها
خرقاء وفتنتها صمّاء وليلتها ليلاء وعريكتها خشناء وفي
رياضتها عناء وعلى خبرتها غطاء ولطالما أخزت المنازل
وفلّت المغازل وأخنقت الهازل وأضرعت الفنيق البازل
ثم إنها التي تقول أنا ألبس وأجلس فاطلب من يطلّق و
يعبس فقلت له فما ترى في الثيّب يا أبا الطيّب فقال
ويحك أترغب في فضالة المآكل وثمالة المناهل والبال

المستبذلة والوعاء المستعمل والذوّاقة المتطرّفة و
الخرّاجة المتصرّفة والوقاح المتسلّطة والمخركرة المتسخّطة
ثم كلمتها كنت وصرت وطال ما بغى علىّ فنصرت وشتان
بين اليوم وامس وهيهات من القمر والشمس وان كانت الحانة
البزول والطماحة الهلوك فهي الغل القمل والجرح الذي
لا يندمل فقلت له فهل ترى ان ارهب واسلك هذا المذهب
فانتهرني انتهار المؤدّب عند زلة المتأدّب ثم قال
ويلك أتقتدي بالرهبان والحق قد استبان اف لك ولوهن
رايك والوهن رايك وتبًّا لك ولاوليك أتراك ما سمعت بان
لا رهبانية في الاسلام ولا حدّثت بما نكح نبيّك عليه السلام
اما تعلم ان القرينة الصالحة تربّ بيتك وتلبي صوتك

وتغضّ طرفك وتطيب عرفك وبها ترى قرة عينك وريحانة انفك
وفرحة قلبك وخلد ذكرك وتعلّة يومك وغدك فكيف
رغبت عن الرمل ومتعة المتأهّلين وشرعة المحصنين
ومجلبة المال والبنين والله لقد ساءني فيك ما سمعت منك
فيك ثم اعرض اعراض المغضب وتزاور ازورار المقطّب فقلت له
قاتلك الله اتنطلق متبحّرا وتدعي متحيّرا فقال اظنك
تدّعي الخبرة لتجلد عميرة وتستغني عن المهيرة فقلت له قبّح الله
ظنّك ولا أشبع بطنك ثم رحت عنه مراح الحرمان وبتّ
من مشاورة الصبيان قال الحارث بن همام فقلت له اقسم
بمن انبت الايك ان الجدل منك والبك فاغرب في الضحك وطرب
طربة المنهمك ثم قال العق العسل ولا تسل فاخذت انعت

في مدح الادب وافضاله وبه على ذي النشب وهو ينظر الى نظر المستجهل
ويغضي عني اغضاء المتمهّل فلما افرطت في العصبية للعصبة
الادبية قال صه واسمع منّي وافقه

يقولون ان جمال الفتى وزينته ادب راجح
وما ان الفقير فخير له من الادب القرص والكامخ
وما ان يزين سوى المكثرين ومن طود سؤدده باذخ
واي جمال له ان يقال اديب يعلّم او ناسخ

ثم قال سيصح لك صدق لهجتي واستنارة حجّتي ثم سرنا
لا نألو جهدا ولا نستفيق جهدا حتى اذا انا السير الى قرية
عزب عنها الخير فدخلناها للارتياد وكلانا منفض من
الزاد فما ان بلغنا المحط والمناخ المختط اذ لقينا غلام

لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث فحيّاه ابو زيد تحية المسلم
وساله وقفة المتفهم فقال وعمّ تسال وفّقك الله قال ايباع
ههنا الرطب بالخطب قال لا والله قال ولا البلح بالملح
قال كلّا والله قال ولا التمر بالثمر قال هيهات والله قال
ولا العصايد بالقصايد قال اسكت عافاك الله قال ولا الثرايد
بالفرايد قال اين يذهب بك ارشدك الله قال ولا الدقيق
بالمعنى الدقيق قال عدّ عن هذا اصلحك الله واشتهى ابو زيد
ان يراجع السؤال والجواب والتكايل من هذا الجراب ولمح
الغلام ان الشوط بطين والشيخ شويطين فقال حسبك
يا شيخ فقد عرفت فنّك واستبنت انك فخذ الجواب
صبرة واكتف به خبرة اما بهذا المكان فلا يشترى الشعر

ولا النثر بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الرسالة بغسالة
ولا حكم لقمن بلقمة ولا اخبار الملاحم بملحمة واما اجيال هذا
الزمان فما منهم من يمنح اذا اصيغ له الحديث ولا من يغير
ولو انه امير وعندهم ان مثل الاديب كالربع الجديب ان لم
يجد الربع ديمة لم يكن له قيمة ولا دانته بهيمة وكذا الاديب
ان لم يعضده نشب فدرسه نصب وحرفه حصب ثم اشتد
بعدوا وولى لحدوا فقال لي ابو زيد اعلمت ان الادب بار
وولت انصاره الادبار فبؤت له بحسن البصيرة وسلمت
بحكم الضرورة فقال دعنا الآن من المصاع وخذ في حديث
القصاع واعلم ان الاسجاع لا تشبع من جاع فما التدبير
فيما يمسك الرمق ويطفي الحرق فقلت الامر اليك

والزمام بيديك فقال ارى ان ترهن سيفك لتسبغ جونك
وضيفك فناولنيه واقعد لمنقلبي اليك بما تلتقم فاحسنت
به الظن وقلدته السيف والرهن فما لبث ان ركب الناقة
ورفض الصديق والصداقة فمكثت مليا اترقبه ثم نهضت
اتعقبه فكنت كمن ضيع اللبن في الصيف ولم الغذا ولا السيف

المقامة الرابعة والاربعون

حكى الحارث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم
فاحمة اللمم الى نار تضرم على علم وتخبر عن كرم فكانت
ليلة جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها مغموم وغيمها
مركوم وانا فيها اصرد من عين الحرباء وعنز الجرباء فلم
ازل انص عنسي واقول طوبى لك ولنفسي الى ان بصر الموقد

وتبين ازملالي فانحدر يعدو الى الجمزى وينشد مرتجزا

حييت من خابط ليل سار ... هداه بل اهداه ضوء النار
الى رحيب الباع رحب الدار ... مرحب بالطارق الممتار
نفاح جعد الكف بالدينار ... ليس بمزور عن الزوار
ولا بمعتام القرى مختار ... اذا اقشعرت ترب الاقطار
وضنت الانواء بالامطار ... فهو على بؤس الزمان الضاري
جم الرماد مرهف الشفار ... لم يخل في ليل ولا نهار

ثم تلقاني بمحيا حيي وصافحني براحة اريحي واقتادني الى
بيت عشاره تخور واعشاره تفور وولايده تمور و
موايده تدور وباكناره اضياف قد جلبهم جالبي و
قلبوا في قالبي وهم يجتنون فاكهة الشتاء ويمرحون مرح

ذوي الغناء واخذت ماخذهم في الاصطلاء ووجدت بهم
وجد الثمل بالطلاء ولما ان سرى الخصر وانسرى الخصر اتينا
بموايد كالهالات دورا وكالروضات نورا وقد شحنت باطعمة الولايم
وحمين من العايب واللايم فرفضنا ما قيل في البطنة وراينا
الامعان فيها من الفطنة حتى اذا اكتلنا بصاع الحطم واستوفينا
على خطر التخم تعاورنا مسوك الغمر ثم تبوانا مقاعد السمر
واخذ كل منا يشوك بلسانه وينثر ما في صوانه ما عدا شيخا
مشتعبا فوداه مخلولقا برداه فانه ربض حجرة واوسعنا
هجرة فغاظنا تجنبه الملتبس موجه المعذور فيه مؤنبه
الا انا لم نال القول وخشينا في المسئلة الغول وكلما رمنا
ان يفيض كما افضنا او يغيض كما اغضنا اعرض اعراض العلية

عن الاراذلين وقال ان هذا الا اساطير الاولين ثم كان
الحمية هاجته والنفس الابية ناجته فدلف وازدلف وخلع
الصلف وبذل ان يلافي ما سلف ثم استرعى سمع السامر
واندفع كالسيل الهامر وقال

احاجي

عندي اعاجيب ارويها بلا كذب عن العيان فكنوني ابا العجب
رأيت يا قوم اقواما غذاؤهم بول العجوز وما اعني ابنة العنب
بول العجوز لبن البقرة والعجوز ايضا من اسماء الخمر
ومستنين من الاعراب قوتهم ان يشتووا خرقة تغني من السغب
الخرقة القطعة من الجراد
وقادرين متى ما شاء صنعهم او قصروا فيه قالوا الذنب للحطب
القادر الطابخ والقدير المطبوخ في القدر

وكاتبين وما خطت انامله حرفا ولا قرأوا ما خط في الكتب
الكاتبون الخرازون يقال كتب السقاء والمزادة اذا خرزهما
وكتب البغلة والناقة اذا جمع بين شفريها وخاطهما
وتابعين عقابا في مسيرهم على تكميهم في البيض واليلب
العقاب الراية وكانت راية النبي عليه السلام تسمى العقاب
ومنتدين ذوي نبل بدت لهم نبيلة فانثنوا منها الى الهرب
النبيلة الجيفة ومنه تنبل البعير اذا مات واروح
وعصبة لم تر البيت العتيق وقد حجت جثيا بلا شك على الركب
معنى حجت جثيا اي غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب
ونسوة بينما ادلجن من حلب اصبحن كاظمة من غير ما تعب
اي اصبحوا يحلبون اللبن

وناعل بلا اصل قط غاشية شاهدته وله نسل من العقب
النسل هاهنا العدو ومنه قوله تعالى من كل حدب ينسلون والعقب مؤخر القدم
وشائبا مشتهرا بالمشيب بما في البدو وهو فتى السن لم يشب
الشائب هاهنا مازج اللبن يقال للممزوج مشيب ومشوب
ومرضعا بلبان لم يفه فمه رأيته في شجار بين السبب
الشجار المحفة ما لم تكن مظللة وان ظللت فهي الهودج
والسبب هاهنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب الى السما
وزارعا ذرة حتى اذا حصدت صادت غبيرا ابوها اخو الطرب
الغبيراء السكر المتخذ من الذرة وتسمى السكركة ايضا
وفي الحديث اياكم والغبيراء فانها خمر العالم
وراكضا وهو مغلول على فرس قد غل ايضا وما ينفك من خبب

المغلول هاهنا العطشان وغل اي عطش
وذا ابد طلق يقتاد راحلة مستعجلا وهو ماسور اخو كرب
الماسور الذي يجد الاسر وهو احتباس البول
وجالسا ماشيا تهوي مطيته به وما بالذي اوردت من ريب
الجالس الآتي نجدا والماشي الذي كثرت ماشيته وفي
بعضهم قوله ان امشوا انه دعا لهم بالنماء وكثرة الماشية
وحائكا اجذم الكفين ذا خرس وان عجبتم فكم في الخلق من عجب
الحائك هاهنا الذي اذا مشى حرك منكبيه وفحج بين رجليه
وذا انتطاط لصدر الرمح قامته صادفته يحمي يشكو من الحدب
الحدب ما ارتفع من الارض
وساعيا في مسرات الانام يرى افراحهم ماثما كالظلم والكذب

أفواههم أنتعالهم ومنه قوله عليه السلام لا شرك في الإسلام ولا مغرج

ومعزما بمناجاة الرجال له وما له في حديث الخلق من أدب

الخلق هاهنا الكذب ومنه قوله تعالى ان هذا الا خلق الأولين

وذا ذمام وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب

الذمام الأول العهد والذمام الثاني جمع ذمة وهي البئر

القليلة الماء وعن المذهب المسلك اي ما له بالبدو آبار قليلة الماء

وساجدا فوق فحل غير مكترث مما أتى بل يراه أفضل القرب

الفحل الحصير المتخذ من فحال النخل

وذا قوى ما استبانت قط لينته ولينه مستبين غير محتجب

اللين النخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة

وعاذرا مؤلما من ظل يعذره مع التلطف والمعذور في صخب

العاذر الخاتن والمعذور المختون

وبلدة ما بها ماء لمغترف والماء يجري عليها جري منسرب

البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى البلجة أيضا

وقرية دون أفحوص القطاء تحت بدئلم عيشهم من خلسة السلب

القرية بيت النمل والدئلم النمل الكثير

وكوكبا يتوارى عند رؤيته الإنسان حتى يرى في أمنع الحجب

الكوكب النكتة البياض التي تحدث في العين والإنسان

هاهنا إنسان العين

وروثة قومت ما لا له خطر ونفس صاحبها بالمال لم تطب

الروثة هاهنا مقدم الأنف

وصفحة من نضار خالص شربت بعد المكاين نفيرا من الذهب

النضار هاهنا شجر النبع ومنه قول التابعين

لا بأس أن يشرب في قدح النضار

ومستجيشا بخشخاش ليدفع ما أظله من أعاديه فلم يجب

الخشخاش جماعة عليهم دروع وأسلحة

وطالما مر بي كلب وفي فمه ثور ولكنه ثور بلا ذنب

الثور القطعة من الأقط

وكم رأى ناظري نبلا على جمل وقد تورك بين الرحل والقتب

النبل الرجل العاقل الرأي

وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا وما اشتكى قط في جد ولا لعب

المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة

وكنت أبصرت كرازا لراعية بالدو ينظر من عينين كالشهب

الكراز كبش يحمل عليه الراعي أداته والكراز شيء من الكمرة والجوالق

وكم رأت مقلتي عينين ماؤهما يجري من الغرب والعينان في حلب

الغرب مجرى الدمع والعينان مقلتان وحلب البلدة المعروفة

وصادعا بالقنا من غير أن علقت كفاه يوما برمح لا ولم يثب

القنا ارتفاع الأنف وتحدب وسطه وصدع به أي شقه

وكم نزلت بأرض لا نخيل بها وبعد يوم رأيت البسر في القلب

البسر جمع بسرة وهو الماء الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب

وكم رأيت بأقطار الفلا طبقا يطير في الجو منصبا إلى صبب

الطبق القطعة من الجراد

وكم مشايخ في الدنيا رأيتهم مخلدين ومن يخلو من العطب

المخلد الذي أبطأ شيبه

وكم بدا لي وحشٌ يشتكي سغبًا منطقٍ ذلقٍ أمضى من القضب

الوحش الرجل الجائع

وكم دعاني مستنجٍ فحادثني وما أخلّ ولا أخللت بالأدب

المستنجي الجالس على نجوة وهي المكان المرتفع

وكم أخذت قلوصي تحت جنبذةٍ تظلّ ما شئت من غربٍ ومن غرب

الجنبذة القبة والغرب جمع غروب

وكم نظرت إلى من سُرّ ساعته ودمعه مستهلّ القطر كالسحب

سُرّ أي قطع سرره والسرر ما يقطع وما يبقى بعد القطع سرّة

وكم رأيت قميصًا ضرّ صاحبه حتى اشتكى وأهي الأعضاء والعصب

القميص الدابة الكثيرة القماص

وكم إزارٍ لو أن الدهر أتلفه لجفّ لبد حيث السير مضطرب

شرح الإزار المرأة ومنه قول الشاعر فدًى لك من أخي ثقةٍ إزاري

هذا وكم من أفانين معجبة عندك ومن مُلَحٍ عندي ومن نُخَب

فإن فطنتم للحن القول بان لكم صدقي ودلّكم طلعي على رطبي

وإن بلهتم فإن العار فيه على من لا يميّز بين العود والخشب

قال الحارث فطفقنا نخبط في تقليب قريضه وتأويل

معاريضه وهو يلهو بنا لهو الخليّ بالشجيّ ويقول ليس

بعشّك فادرجي إلى أن تعسّر النتاج واستحكم الارتتاج

فألقينا إليه المقادة وخطبنا منه الإفادة فوقفنا

بين الطمع واليأس وقال لات الإيناس قبل الإبساس فعلمنا أنه

ممن يرغب في الشكم ويرتشي في الحكم وساءنا أن

نعرض للغرم أو نخيب بالرغم فأحضرناه ناقة عيدية وحلّة

سعيدية وقال له خذهما حلالًا ولا تزرأ ضيافي زبالًا

قال أشعر أنها تشتيه أخرجيه وأريحيه حاتمية ثم قابلنا بوجه

بشره يشفّ ونضرته ترفّ وقال يا قوم إن الليل قد اجلوّذ والنعاس

قد استحوذ فافزعوا إلى المراقد واغتنموا راحة الراقد لتستريحوا نشاطًا

وتبعثوا نشاطًا فتعوا ما أفسّر ويسهل عليكم المتعسّر كلّ ما رآه

وتوسّد وسادة كراه فلما وسنت الأجفان وأغفت الخيفان وثب إلى

الناقة فرحلها وقال مخاطبًا لها

تروّحي يا ناقُ فبرّي وخدكِ وادّلجي وادني واسئدي

حتى تطأ خفّاك مرعى البلدِ فتنعمي جنيذه وتسعدي

وتأمني أن تنهمي أو تجهدي إيه فدتك النوق جدّي واجهدي

وأزري أدم فدفدٍ وفدفدِ واقتنعي بالنشح عند المورد

ولا تخطّي عند ذاك المقصد فقد حلفت حلفة المجتهد

بحرمة البيت الرفيع العمد إنك إن أحللتني في بلدي

حللت مني محلّ الولد

قال فعلمت أنه السروجي الذي إذا باع انباع وإذا ملأ القاع القاع

ولما انبلج صباح اليوم وهبّ النوّام من النوم أعلمتهم أن

الشيخ حين أغشاهم السبات طلّقهم البتات وركب الناقة وفات

فأخذهم ما قدم وما حدث ونسوا ما طاب منه وما خبث ثم انشعبنا

في كل شعب وذهبنا كل مذهب قال القسم بن علي قد فسرت

سرّ كل لغز بيتٍ تحته ولم أبعد على من يقرأه كشفه وقد

بقيت ألفاظ اشتملت عليها هذه المقامة وربما التبس تفسيرها

على بعض من تقع إليه فأحببت إيضاحها لئلا يكون حيرة الشبهة

وكلفة الفكرة ووصمة البحث والمسئلة وبالله التوفيق

قوله عشوت الى النار يعني تنورتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت

عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له

شيطانا اي من يعرض عن ذكر الرحمن ٭ وقوله اصرد من عنز

جرباء والعنز الجرباء هذان مثلان يضربان لمن بلغ منه البرد

لان الحرباء تدور مع الشمس وتستقبلها بعينها والى هذا اشار

ابن الرومي في قوله مشبها رقيب الحسناء بالحرباء

ما بالها قد حسنت ورقيبها ابدا قبيح قبح الرقباء

ما ذاك الا انها شمس الضحى ابدا يكون رقيبها الحرباء

والعنز الجرباء لا تدفأ في الشتاء لقلة شعرها وذكر بعض

العلماء ان الجربا تصحيف المثل الاول وقوله بحر وار يعني الجمل الكثير

شحما الكثير لحما وقوله عشاره تخور العشار النوق الحوامل

والاعشار البرمة العظيمة كانها تشعبت لعظمها يقال

برمة اعشار وجفنة اكسار وثوب اسمال وبرد اخلاق

وحبل ارمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد وقوله

فاكهة الشتاء يكنى بها عن النار ومنه قول المحدثين

النار فاكهة الشتاء فمن يرد اكل الفواكه شاتيا فليصطلي

وقوله موايده كالهالات يعني دارات القمر ودائرة الشمس تسمى

الطفاوة وقوله مشوش الغمر يعني المنديل يقال مششته اي

مسحتها ومنه قول امرئ القيس

نمش باعراف الجياد اكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقوله مشتهبا فوداه اي صار من الشيب في لون الاشهب ومنه قول الشاعر

قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدي راس هذا واشتهب

وقوله ربض حجرة اي ناحية ويقال في المثل لمن يشارك عند

الرخاء ويجانب عند البلاء يرتع وسطا ويربض حجرة ٭

وقوله ثم اثنى على سمع السامر يعني السمار والسامر اسم للجميع

كالحاضر اسم للحي النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر

وقال بعض اهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق

السامر من السمر وهو ظل القمر ماخوذ من السمرة ٭ وقوله

وقوله لين تعشك فادرجي هذا مثل يضرب لمن يتعاطى

ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجرة فان كان في حائط او كهف

جبل فهو وكر ٭ وقال بعضهم العش في الكرم والوكر في الشجر

والوكن في الجبل والجدار والافحوص على وجه الارض ٭ وقوله

الابساس قبل الابساس هذا مثل ايضا ومعناه انه ينبغي ان

يؤنس الانسان ثم يكلف واصله ان حالب الناقة يؤنسها

حين يروم حلبها ثم يبتدي بها الحلب والابساس ان تقول

لها بس بس لتسكن وتدر واذا كانت الناقة تدر على الابساس

سميت البسوس ٭ وقوله يرغب في الشكر الشكر

ما اعطيته على سبيل المجازاة فان اعطيت مبتديا فهو النائل

وقوله سا ابا مثوانا يعني المضيف الذي اوى اليه وثوى عنده

وقوله ناقة عيدية يقال انها منسوبة الى فحل منجب اسمه

عيد ويقال هي منسوبة الى فخذ من مهرة اسمه عيد وكانت

مهرة وعيد تتخذان نجائب الابل فنسبت اليهما ٭ وقوله

حلة سعيدية هي منسوبة الى سعيد بن العاص فكان رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسَاهُ حُلَّةً وَهُوَ غُلَامٌ فَسَحَبَهَا إِلَيْهِ ٥
لَا تُرْزَأُ أَضْبَافِي زُبَالًا أَيْ لَا تُرْزَأُهُمْ شَيْئًا وَإِنْ قَلَّ وَالْأَصْلُ فِي
الزُّبَالِ مَا تَحْمِلُهُ النَّمْلَةُ بِفِيهَا ٥ وَقَوْلُهُ شِنْشِنَةٌ أَخْزَمِيَّةٌ
أَشَارَ بِهِ إِلَى الْمَثَلِ الَّذِي ضَرَبَهُ جَدُّ حَاتِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ
الْحَشْرَجِ بْنِ أَخْزَمَ الطَّائِيِّ حِينَ نَشَأَ حَاتِمٌ وَتَقَيَّلَ أَخْلَاقَ جَدِّهِ أَخْزَمَ
فِي الْجُودِ فَقَالَ شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمَ وَتَمَثَّلَ عَقِيلُ بْنُ عُلَّفَةَ حِينَ قَالَ
إِنَّ بَنِيَّ ضَرَّجُونِي بِالدَّمِ مَنْ يَلْقَ آسَادَ الرِّجَالِ يُكْلَمِ
شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ ٥ وَمَنِ ادَّعَى أَنَّ الْمَثَلَ لَهُ فَقَدْ سَهَا فِيهِ
وَقَوْلُهُ اجْلَوَّذَ أَيْ أَسْرَعَ لِلذَّهَابِ وَمِثْلُهُ اخْرَوَّطَ ٥ وَقَوْلُهُ
وَثَبَ إِلَى النَّاقَةِ فَرَحَلَهَا يَعْنِي شَدَّ عَلَيْهَا الرَّحْلَ وَبِهِ سُمِّيَتْ
الرَّاحِلَةُ لِأَنَّهَا فَاعِلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ كَقَوْلِهِ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ

أَيْ مَرْضِيَّةٍ وَمِنْ مَاءٍ دَافِقٍ أَيْ مَدْفُوقٍ وَالرَّاحِلَةُ تَقَعُ عَلَى
النَّاقَةِ وَالْجَمَلِ وَدُخُولُ الْهَاءِ فِيهَا لِلْمُبَالَغَةِ مِثْلُ دَاهِيَةٍ وَرَاوِيَةٍ
وَقَوْلُهُ ارْتَحَلَهَا أَيْ رَكِبَهَا وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ فَرَكِبَهُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ فَأَبْطَأَ فِي سُجُودِهِ فَلَمَّا
قَضَى صَلَوتَهُ قَالَ إِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ ٥ وَقَوْلُهُ
وَرَحَّلَهَا أَيْ أَزْعَجَهَا الرَّحِيلَ وَأَخَذَهَا بِالسَّيْرِ وَالرَّحِيلِ وَمِنْهُ
الْخَبَرُ تَخْرُجُ عِنْدَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ نَارٌ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ تُرَحِّلُ النَّاسَ
وَقَوْلُهُ فَأَوْبِي وَادَّلِجِي وَأَسْئِدِي الْإِدْلَاجُ أَنْ يَسِيرَ اللَّيْلَ كُلَّهُ
وَالِاسْمُ مِنْهُ الدَّلْجَةُ وَالِادِّلَاجُ بِالتَّشْدِيدِ أَنْ يَسِيرَ مِنْ آخِرِهِ وَالِاسْمُ
مِنْهُ الدُّلْجَةُ بِضَمِّ الدَّالِ وَفَتْحِهَا الْمَعْنَى وَاحِدٌ وَالتَّأْوِيبُ أَنْ يَسِيرَ
بِالنَّهَارِ وَحْدَهُ وَالْإِسْآدُ أَنْ يَسِيرَ لَيْلًا وَنَهَارًا ٥ وَالشَّيْخُ يَعْنِي

دُونَ الرَّبْعِ ٥ وَقَوْلُهُ فَأَخَذَهُمْ مَا قَدُمَ وَمَا حَدُثَ يُقَالُ ذَلِكَ لِمَنْ
يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ الْهَمُّ وَالدَّالُ مِنْ حَدُثَ تُضَمُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَحْدَهُ
لِيُوَافِقَ لَفْظَ قَدُمَ فَإِذَا أُفْرِدَ حَدَثَ عَنْ قَدُمَ وَجَبَ فَتْحُ الدَّالِ مِنْ
حَدَثَ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ هَنَأَنِي وَمَرَأَنِي تُحْذَفُ الْأَلِفُ مِنْ مَرَأَنِي
إِذَا ذُكِرَ مَعَ هَنَأَنِي فَإِنْ أُفْرِدَ وَجَبَ أَنْ تَقُولَ أَمْرَأَنِي الشَّيْءُ
وَقَوْلُهُ ذَهَبُوا تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ هَذَا الْمَثَلُ يُضْرَبُ لِمَنْ تَخْتَلِفُ فِي السَّفَرِ
طُرُقُهُمْ وَتَتَبَايَنُ سُبُلُهُمْ

الْمَقَامَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ كُنْتُ أَخَذْتُ عَنْ أُولِي التَّجَارِبِ
أَنَّ السَّفَرَ مِرْآةُ الْأَعَاجِيبِ فَلَمْ أَزَلْ أَجُوبُ كُلَّ تَنُوفَةٍ وَأَقْتَحِمُ
كُلَّ مَخُوفَةٍ حَتَّى اجْتَلَيْتُ كُلَّ أُطْرُوفَةٍ فَمِنْ أَحْسَنِ مَا لَمَحْتُهُ (مَعَارَهُ) وَأَغْرَبِ

مَا اسْتَمْلَحْتُهُ أَنِّي حَضَرْتُ قَاضِيَ الرَّمْلَةِ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الدَّوْلَةِ
وَالصَّوْلَةِ وَكَانَ قَدْ تَرَافَعَ إِلَيْهِ بَازِلٌ فِي بِزَّةٍ وَذَاتُ جَمَالٍ وَأَطْمَارٍ
فَهَمَّ الشَّيْخُ بِالْكَلَامِ وَتِبْيَانِ الْمَرَامِ فَمَنَعَتْهُ الْفَتَاةُ مِنَ الْإِفْصَاحِ وَ
خَسَأَتْهُ عَنِ النُّبَاحِ ثُمَّ نَضَتْ عَنْهَا فَضْلَةَ الْوِشَاحِ وَأَنْشَدَتْ (لِاطِّهَارِ)
بِلِسَانِ السَّلِيطَةِ الْوَقَاحِ

شعر

يَا قَاضِيَ الرَّمْلَةِ يَا ذَا الَّذِي فِي يَدِهِ التَّمْرَةُ وَالْجَمْرَةُ
إِلَيْكَ أَشْكُو جَوْرَ بَعْلِي الَّذِي لَمْ يَحْجُجِ الْبَيْتَ سِوَى مَرَّةْ
وَلَيْتَهُ لَمَّا قَضَى نُسْكَهُ وَخَفَّ ظَهْرًا إِذْ رَمَى الْجَمْرَةْ
كَانَ عَلَى رَأْيِ أَبِي يُوسُفٍ فِي صِلَةِ الْحَجِّ بِالْعُمْرَةْ
هَذَا عَلَى أَنِّي مُذْ ضَمَّنِي إِلَيْهِ لَمْ أَعْصِ لَهُ إِمْرَةْ
فَمَرَّةً إِمَّا أَلِفْتُهُ حُلْوَةً تُرْضِي وَإِمَّا فُرْقَةً مُرَّةْ

من قبل أن أخلع ثوب الحيا ... في طاعة الشيخ أبي قِرّه

فقال له القاضي قد سمعتَ ما عزتْك إليه وتوعدتك عليه فجانب ما عرّك وحاذر أن تغرّك وتعرّك فجثا الشيخ على ثفناته وطأطأ عن ... نفثاته وفجّر ينبوع نفثاته وقال

اسمع عداك الذم قول امرئ ... يوضح فيما رابها أمره
والله ما أعرضت عنها قلى ... ولا هوى قلبي قضى نذره
وإنما الدهر عدا صرفه ... فابتزّ ما الدرّة والذرّه
فحين لي فقر كما جيدها ... عطل من الخرزة والشذره
وكنت من قبل أرى في الهوى ... دينه دأب بني عذره
فمذ نبا الدهر هجرت التي ... هجران عفّ آخذ حذره
وملت عن حرثي لا رغبة ... عنه ولكن أتقي بذره

فلا تلُم من هذه حاله ... واعطف عليه واحتمل عذره

قال فالتظت المرأة من مقاله وانتضت الحجج لجداله وقالت له ويحك يا مرقعان يا من هو للطعام ولا طعان أتضيق بالولد ذرعا ولكل أكولة مرعى لقد ضلّ فهمك وأخطأ سهمك و سفهت نفسك وشقيت بك عرسك فقال لها القاضي أما أنت فلو جادلت الخنساء لانثنت عنك خرساء وأما هو فإن كان صادقا في زعمه ودعوى عدمه فله في همّ قبقبه ما يشغل عن ذبذبه فازورّت المرأة ازورار من ملكه الخفر أو حاق به الظفر ثم أطرقت تنظر ازورارا ولا ترجع حوارا فقال لها الشيخ تبًّا لك أن زخرفت أو كتمت ما عرفت فقالت ويحك وهل بعد المنافرة كتم أو بقي لنا على سرّ ختم وما فينا إلا من صدق وهتك

صونه إذ نطق فليتنا لاقينا البكم ولم نلق الحكم ثم ثم التفعت بوشاحها وتباكت لافتضاحها وجعل القاضي يعجب من خطبهما ويعجب ويلوم لهما الدهر ويؤنب ثم أحضر من الورق ألفين وقال أرضيا بهما الأجوفين وعاصيا النازغ بين الإلفين فشكراه على حسن الارتياح وانطلقا وهما كالماء والراح وطفق القاضي بعد مسرحهما وتنائي شبحهما يثني على أدبهما ويقول هل من عارف بهما فقال له عين أعوانه وخالصة خلصانه أما الشيخ فهو السروجي المشهود بفضله وأما الفتاة فهي قعيدة رحله وأما تحاكمهما فمكيدة من فعله وأحبولة من حبائل ختله قال فاحفظ القاضي ما سمع وتلهّب كيف خُدع ثم قال للواشي بهما قم تردّهما ثم اقتصهما

وصدّهما فنهض ينفض مذرويه ثم عاد يضرب أصدريه فقال له القاضي اطلعنا على ما بثثت وبيّن لنا ما اشترطت ولا تخف ما استخبيت فقال له لم أزل أستقري الطرق و أستفتح الغلق إلى أن أدركتهما مصحرين وقد ركبا مطيّة البين فرغّبتهما في العلالة وكفلت لهما الأمل فأشرب قلب الشيخ أن ييأس وقال الفرار بقراب أكيس وقالت هي بل العود أحمد والجبان يكمد فلما تبيّن الشيخ سفه رأيها وغرر اجترائها أسبل ذلاذلها ثم أنشد يقول لها

دونك نصحي فاتبعي سبله ... واغني عن التفصيل بالجمله
طيري متى نفّرت من نخلة ... وطلّقيها بتّة بتله
وحاذري العود إليها ولو ... سبّلها ناطورها الأبله

فخير ما لا يرك بقعة فيها له عملة

ثم قال لي قد عنيت فيما وليت فارجع من حيث جئت وقل

رويدك لا تعقب جميلك بالأذى فتضحى وشمل المال والحمد منصدع

ولا تغضبن من زور سائل فما هو في صوغ اللسان بمبتدع

فان تك قد ساءتك مني خديعة فقبلك شيخ الأشعريين قد خدع

فقال له القاضي قاتله الله فما أحسن شجونه وأملح فنونه

ثم أصحب رائده بدينين وصرة من العين وقال سر بينهما من لا يرى

الالتفات إلى أن ترى الشيخ والفتاة فبادرهما بهذا الحبا

وبين لهما انخداعي للأدباء قال الراوي فلم أر في الاغتراب

كهذا العجاب ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب

المقامة السادسة والأربعون

أخبر الحرث بن همام قال نزع بي إلى حلب شوق غلب وطلب

يا له من طلب وكنت يومئذ خفيف الحاذ بطيء النفاذ فأ

خذت أهبة السير وخففت نحوها خفوف الطير ولم أزل

مذ حللت ربوعها وارتبعت ربيعها أفاني الأيام فيما

يشفي الغرام ويروي الأوام إلى أن أقصر القلب عن ولوعه

واستطار غراب البين بعد وقوعه فأغراني البال الخلو

والمرح الحلو بأن أقصد حمص لأصطاف ببقعتها وأسبر

رقاعة أهل رقعتها فأسرعت إليها إسراع النجم إذا

انقض للرجم فلما خيمت برسومها ووجدت روح نسيمها

صادف طرفي شيخا قد أقبل هريره وأدبر غريره وعنده

عشرة صبيان صنوان وغير صنوان فقصدته بقدم الحرص

حثيث النفاذ

لاختبر به أدب أهل حمص فبش بي حين وافيته وحيا بأحسن

مما حييته فجلست إليه لأبلو خبايا نطقه وأكتنه كنه حمقه

فما لبث أن أشار بعصيته إلى أكبر أصيبيته وقال له أنشد

الأبيات العواطل أن تماطل فجثا جثوة ليث واستمر من غير ريث

أعدد لحسادك حد السلاح وأورد الآمل ورد السماح

وصارم اللهو ووصل المها وأعمل الكوم وسمر الرماح

واسع لإدراك محل سما عماده لا لادراع المراح

والله ما السؤدد حسو الطلا ولا مراد الحمد رود رداح

واها لحر صدره واسع وهمه ما سر أهل الصلاح

مورده حلو لسؤاله وماله ما سألوه مطاح

ما أسمع الآمل ردا ولا ماطله والمطل ظلم صراح

واحذرهم

ولا أطاع اللهو لما دعا ولا كسا راحا له كاس راح

سودده إصلاحه سره وردعه أهواءه والطماح

وحصل المدح له علمه ما مهر العور مهور الصحاح

فقال له أحسنت يا بدير يا داس الدير ثم قال للتلو

المشتبه بصنوه ادن يا نويرة يا قمر الدورة فدنا

ولم يتباطا وجلس منه مقعد المعاطي فقال له أجل

الأبيات العرائس وإن لم يكن نفائس فبرى وقط

ثم احتضن اللوح وخط

فتنتني فجنتني تجني بتجن يفتن غب تجني

شغفتني بجفن ظبي غضيض غنج يقتضي تقيض تمني

غشيتني بزينتين فشفتني بزي يشف بين تثني

فتظنيت تجنبي فتجزني شغفت يشغف فيجب ظني
ثبتت في غش خب مزين خبيث سعي تسغ صنغن
فنزت في تجنبي فتنتني بنشيج بشجي بغن ففني

فلما نظر الشيخ الى ما حبّره وتصفح ما زبّره قال بورك
فيك من طلا كما بورك في لا ولا ثم هتف اوثب يا قطرب
فاقترب منه فتى يحكي نجم دجية او تمثال دمية فقال
له اكتب الابيات الاخياف وتجنب الخلاف فاخذ القلم وكتب

اسمح فبث السماح زين ولا تخب آملا تضيف
ولا تجز رد ذي سؤال فنن ام في السؤال خفف
ولا تظن الدهور تبقي مال ضنين ولو تقشف
واحلم فجفن الكرام يغضي وصدرهم في العطا نفنف

ولا تخن عهد ذي وداد ثبت ولا تبغ ما تزيف

فقال له لا شلت يداك ولا كلت مداك ثم نادى يا غشمشم باعطر
منشم فلباه غلام كدرة الغواص اوجؤذر قناص فقال
له اكتب الابيات المتايم ولا تكن من المشايم فتناول القلم
المثقف وكتب ولم يتوقف

زينت زينب بقد يقد وتلاه ويلاه نهد يهد
جندها جيدها وظرف وطرف ناعس ناعش بحد يحد
قدرها قد زها وباهت وتاهت واعتدت فاغتدت بجد تجد
فارقتني فارقتني وشطت وشطت ثم فر وجد وجد
فدنت قربت وحنت وحيت مغضبا مغضبا بود بود

بود بود

قال فجعل الشيخ يتأمل ما سطره ويقلب فيه نظره فلما

استحلى خطه وارتضى شكله وضبطه قال لا شل عشرك ولا
استخبث نشرك ثم اهاب بفتى فتان يسفر عن ازهار بستان
فقال له انشد البيتين المطرفين المشتبهي الطرفين اللذين
اسكتنا كل نابث وامنا ان يعززا بثالث فقال له اسمع لا وقر
سمعك ولا حرم جعلك وانشد من غير تلبث ولا تريث شعر

بسمة تحسن آثارها واشكر لمن اعطى ولو بسمسمة
والمكر مهما اسطعت لا تاته لتقتني السودد والمكرمه

فقال له اجدت يا زغلول يا ابا الغول ثم نادى اوضح يا ياسين
ما يستشكل من ذوات السين فنهض ولم يتان وانتدب بصوت اغن

بقس الدواة ورسغ الكف مثبتة سيناهما ان هما خطا وان درسا
وهكذى السين في تسبب ويابسة والسفح والبخس والقسر واقتبس قبسا

الزغلول الرجل الخفيف الجسم

وفي تغشمت بالليل الكلام وفي مسيطر وسموس واتخذ جرسا
وفي قريس وبرد قارس فخذ الصواب مني وكن للعلم مقتبسا

فقال له احسنت يا نغيش يا صناجة الجيش ثم قال ثب
يا عنبسة فبين الصادات الملتبسة فوثب وثبة شبل ضار ثم
انشد من غير عثار

بالصاد يكتب قد قبصت دراهما بالكف واصخ لتسمع الخبر
وبصقت اصق والصماخ وصنجه والقص وهو الصدر واقتص الاثر
وبخصت مقلته وهذي فرصة وقد ارعدت منه الفريصة للحذر
وقصرت هنا اي حبست وقد دنا فصح النصارى وهو عيد منتظر
وقرصته والخمر قارصة اذا احذت اللسان وكذاك مستنطر

فقال له رعيا لك يا بني فلقد اقررت عيني ثم استنهض

ذا جثة كالبندق وتغنشة كالنودق وامره أن يقف بالمرصاد

ويرد ما يجري على السين والصاد فنهض يجر برديه وانشد

مشيرا بيديه إن تبت بالسين فاكتب ما ابيّنه وإن تشأ فهو

بالصادات يكتتب مغص وفقص ومسطار ومملص وسالغ وبساط اللحود

المغص الوجع المعترض في الجوف وهو مثل المغس والقفص قفص

البيضة والمسطار الخمرة المزة ويقال له المسطارة والمملص الزلق

يسقط من يدك ولا تشعر به والسالغ آخر اسنان ذوات الظلف والسقب

والصامغان وصقر والسويق ومسلاق وعن كل هذا تفصح الكتب

الصامغان جانبا الفم والمسلاق الشديد الصوت ومنه قوله تعالى

سلقوكم بألسنة حداد فقال له الحسن يا حبقة يا عين بقة

يقال لمن يصغر اليه نفسه يا حبقة بحاء غير معجمة وبخاء معجمة

بواحدة من فوق ثم نادى يا دغفل يا با زنغل فلباه فتى

لحن من بيضة قد وضعته فقال له بيّن ما عقد هجاء الافعال

التي آخرها حرف الاعتلال فقال له اسمع لا أصم صداك ولا عمت

عداك ثم انشد وما استرشد شعر

اذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه فالحق به تاء الخطاب ولا تقف

فإن تر قبل التاء ياء فكتبه بياء والا فهو يكتب بالالف

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما اداه ثم عوذه وفداه ثم قال هلم يا قعقاع

يا يافعة اليفاع فاقبل الحسن من نار القرى في عين ابن السري

فقال له اصدع بتمييز الظاء من الضاد لتصدع اكباد الاضداد

فاهتز لقوله واهتش وانشد بصوت اجش شعر

ايها السائلي عن الضاد والظاء لكيلا تضله الالفاظ

إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمع شرحها سمع من له استيقاظ

هي ظمياء والمظالم والاظلام والظلم والظبى والحاظ

والعظاء الظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ

والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ

والحظى والنظير والظئر والجاحظ والناظرون والايقاظ

والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظا والشظاظ

والاظافير والمظفر والمحظور والحافظون والاحفاظ

والحظيرات والمظنة والظنة والكاظمون والمغتاظ

والوظيفات والمواظب والظنبات والانتظار والانظاظ

الظابيف من الروائب الكظة داء يقال للصحيح جسم ماله ظنظاب

ووظيف وظالع وعظيم وظهير والفظ ثم الغلاظ

ونظيف والظرف والظلف والظاهر ثم القيظ والوعاظ

وعكاظ والظعن والمظ والحنظل والقارظان والاوشاظ

المظ رمان البر والقارظان جانيا القرظ وهو نبات

يدبغ به والاوشاظ الجماعات والاخلاط

وظراب الظران والشظف الباهظ والجعظري والجواظ

الظران الحجارة المحددة والظراب الربا الصغار واحدها

ظرب والجعظري المنتفخ بما ليس عنده والجواظ قيل انه الفاجر

وقيل انه المختال الاكول والشظف البؤس

والظرابين والحناظب ثم الظيان والارعاظ

الظرابين جمع ظرباب وهي دويبة لا يطاق فسوها

يجمع أيضا على ظرابي بحذف النون وظرباء وهو شاذ و
الخناظب ذكور الخنافس والعنظب ذكر الجراد والظيان
ياسمين البر والأرعاظ جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم
والشناظي والدلظ والظأب والظبظاب والعنظوان والجنعاظ
الشناظي نواحي الجبل والدلظ الدفع والظأب الصخب و
يقال ظاب وظام وقيل إن الظأب والظأم اسمان لسلف
الرجل والعنظوان نبت والظبظاب الداء يقال
ما به ظبظاب أي داء والجنعاظ الأحمق وقيل إنه المتسخط عند الطعام
والشناظير والنعاظل والعظلم والبظر بعد والأنعاظ
الشناظير جمع شنظور وهو السيء الخلق والنعاظل ملازم
الجراد والكلاب عند السفاد والعظلم الخطمي

هي هذه سوى النوادر فاحفظها لتفضل أترابك الحفاظ
ما قص فيما صرفت منها كما تقتضيه في أصله كغيظ وقاظوا
فقال له الشيخ أحسنت لا فض فوك ولا برح من يجفوك فما لله
انك مع الصبى الغض لأحفظ من الأرض واجمع من يوم العرض
ولقد أوردتك ورفعتك لآلي وثقفتكم بتثقيف
العوالي فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون
قال الحارث بن همام فعجبت لما أبدى من براعة مجونه بزقاعة و
أوضح من حذاقة ممزوجة بحماقة ولم يزل بصري يصعد فيه
ويصوب وينقر عنه وينقب وأنا كمن ينظر في ظلماء أو يبرك
في يهماء فلما استراب تنبعي واستبان تدلهي حملق إلي
وتبسم وقال لم يبق من يتوسم فنبهت لفحوى كلامه

وعرفت أنه أبو زيد بابتسامه وجلت الأمة على تدبير
بقعة النوكى وتخير حرفة الحمقى فاسفر وجهه وتلألأ وأنشد ولم يتلجلج
تخير فحص وهذي الصناعة لا رزق حظوة أهل الرقاعة
فما يصطفي الدهر غير الرقيع ولا يوطن المال إلا بقاعه
ولا لأخي اللب من دهره سوى ما العبير ربيط بقاعه
ثم قال أما إن التعليم لأشرف صناعة وأربح بضاعة وأكمل
فضيلة وبراعة وصاحبه ذو إمرة مطاعة وهيبة شائعة
ورعية مطواعة يستبطر تسيطر أمير ويرتب ترتيب
وزير ويتحكم تحكم قدير ويتشبه بذي الملك الكبير
إلا أنه يخرف في التدبير ويتسم بحمق شهير وينقلب
بعقل صغير ولا ينبئك مثل خبير فقلت له تالله إنك

لابن الأيام وعلم الأعلام والساحر اللاعب بالأفهام المذلل له
سبل الكلام ثم لم أزل معتكفا بناديه ومغترفا من نيل
واديه إلى أن غابت الأيام الغر وتاب إلى أحداث الغر ففارقته

المقامة السابعة والأربعون

حكى الحارث بن همام قال احتجت إلى الحجامة وأنا بحجر اليمامة
فأرشدت إلى شيخ يحجم بلطافة ويسفر عن نظافة فبعثت
الغلام لإحضاره وارصدت النفس لانتظاره فأبطأ بعد ما انطلق
حتى خلته قد أبق أو ركب طبقا عن طبق ثم عاد عود المخفق
مسعاه الكل على مولاه فقلت له ويلك أبطأ فند وصلود زند
فزعم أن الشيخ أشغل من ذات النحيين وفي حرب كحرب الحنين
فعفت المشي إلى حجام وجرت بين إقدام وإحجام ثم رأيت

أن لا تعنيف على من تأتي الكنيف فلما شهدت موسمه وشاهدت
ميسمه ألفيت شيخاً هيئته نظيفة وحركته خفيفة وعليه
من النظارة أطواق ومن الزحام طباق وبين يديه فتى كالصمصامة
مستهدف للحجامة والشيخ يقول له أراك قد أبرزت داءك
قبل أن تبرز دراهمك وأريتني قذالك ولم تعلمني ذلك و
لست ممن يبيع نقداً بدين ولا يطلب أثراً بعد عين فإن أنت
رضخت بالعين حجمت في الأخدعين وإن كنت ترى الشح أولى
وخزن الفلس في النفس أحلى فاقرأ عبس وتولى واغرب عني وإلا
فقال الفتى والذي حرم صوغ المين كما حرم صيد الحرمين
إني لأفلس من ابن يومين فثق بسيل ملعبي وانظرني إلى ميسرتي
فقال الشيخ ويحك إن مثل الموعود كغرس العود وما يدري

أيدركه العطب أو يدرك منه الرطب فما يدريني أيحصل
من عودك جناً أم أحصل منه على ضنى ثم ما الثقة بأنك
حين تستقل تستقي بما تعد وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية
هذا الجيل فأرحني بالله من هذا التعذيب وارحل إلى حيث
يأوي الذيب فاستوى الغلام إليه وقد استولى الخجل عليه
وقال والله ما يحنث بالوعد غير الخبيث الوغد ولا يرد غدير
الغدر غير الوضيع القدر ولو عرفت من أنا لما أسمعتني الخنا
ولكنك جهلت فقلت وحيث وجب أن تنجد بلت وما أقبح
الغربة والإقلال وأحسن قول من قال

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه ما تشين الحر موجعة فالمسك يسحق والكافور مفتوت

وطالما اصطلى الياقوت جمر غضاً ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا أويلة أبيك وعولة أهليك أأنت في موقف
فخر يظهر وحسب يشهر أم موقف جلد يكشط ووقفاً
بشرط وهب أن لك البيت الذي ادعيت أيحصل بذلك
حجم قذالك كلا والله ولو أن أباك أناف على عبد مناف أو خالك
دان له عبد المدان فلا تضرب في حديد بارد ولا تطلب ما لست
له بواجد وباه إذا باهيت بموجودك لا بجدودك وبمحصولك لا
بأصولك وبصفاتك لا برفاتك وبأعلاقك لا بأعراقك ولا تطع الطمع
فيذلك ولا تتبع الهوى فيضلك ولله القائل لابنه

بني استقم فالعود تنمي عروقه قويماً ويغشاه إذا ما التوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى إذا التهبت أحشاؤه بالطوى طوى

وعاص الهوى المردي فكم من محلق إلى النجم لما أن أطاع الهوى هوى
وأسعف ذوي القربى فيقبح أن يرى على من إلى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون إذا نبا زمان ومن يرعى إذا ما النوى نوى
وإن تعد ذو ناصح فلا خير في امرئ إذا اعتلقت أظفاره بالشوى شوى
وإياك والشكوى فلم ير ذو نهى شكا بل أخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

ضوى

شوى

فقال الغلام للنظارة يا للعجيبة وللطرفة الغريبة أنفث
في السماء وإستن في الماء ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء ثم
أقبل على الشيخ بلسان سليط وغيظ مستشيط وقال
أف لك من صائغ باللسان رواغ عن الإحسان يأمر بالبر
ويعق عقوق الهر فإن يكن سبب تعنتك نفاق
صنعتك فرماها الله بالكساد وإفساد الحساد حتى ترى

أفرغ من حجام ساباط وأضيق رزقًا من سم خياط فقال
له الشيخ بل سلط الله عليك بثر الفم وتبيغ الدم حتى
تلجأ إلى حجام عظيم الاشطاط ثقيل الاشتراط كليل
المشراط كثير المخاط والضراط قال فلما تبين الفتى أنه
يشكو إلى غير مصمت ويزاول استفتاح باب مصمت أضرب
عن رجع الكلام واحتفز إلى القيام وعلم الشيخ أنه قرع الأم
بما أسمع الغلام فجنح إلى حلمه وبذل أن يذعن لحكمه وألا
يبغي أجرًا على حجمه وأبى الغلام إلا المنى بدائه والهرب
من لقائه وما زال في حجاج وسباب ولزاز وجذاب إلى
أن ضج الفتى من الشقاق وتلا دونه سورة الانشقاق
فأغول حينئذ لوفادة خسره وانعطاط عرضه وطمره وأخذ

الشيخ يعتذر من فرطاته ويغتص من عبراته وهو
لا يصغي إلى اعتذاره ولا يقصر عن استعباره إلى
أن قال له فداك عمك وعداك ما يغمك أما تشام الاغوال
أما تعرف الاحتمال أما سمعت بمن أقال وأخذ بقول من قال

أخمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه ... من نار غيظك واصفح إن جنى جان
فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به ... والأخذ بالعفو أحلى ما جنى جان

فقال له الغلام أما إنك لو ظهرت على عيشي المكدر
ودمعي المنهمر لكن هان على الأملس ما لاقى الدبر ثم كأنه
نزع إلى الاستحياء وأقلع عن البكاء وفاء إلى الارعواء فقال
الشيخ فقصرت إلى ما اشتهيت فارغ ما أهويت
فقال هيهات شغلت شعري عن جدواي فشم بارق سواي ثم إنه

نهض يستقري الصفوف ويستجدي الوقوف وينشد في ضمن ما يطوف

أقسمت بالبيت الحرام الذي ... تهوي إليه الزمر المحرمه
لو أن عندي قوت يوم لما ... مست يدي المشراط والمحجمه
ولا اتهمت نفسي التي لم تزل ... تسمو إلى المجد بهدي الهمه
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة ... مني ولا تأكيد من حجمه
لكن صروف الدهر غادرنني ... كخابط في الليلة المظلمه
واضطرني الفقر إلى موقف ... من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى تدركه رقة ... علي أو تعطفه مرحمه

قال الحارث بن همام فكنت أول من آسى لبلواه ورق لشكواه
فنفحته بدرهمين وقلت لا كانا ولو كان ذا أين فابتهج بما أوتي
جاه وتفاءل بها لغناه ولم تزل الدراهم تنثال عليه وتتتالى لديه

حتى آل ذا عيشة خضراء وحقيبة بجراء فازدهاه الفرح عند ذلك
وهنأ نفسه هنالك وقال للغلام هذا ريع أنت بذره وحلب
لك شطره فهلم لنقتسم ولا تحتشم فتقاسماه بينهما شق الأبلمه
ونهضا متفقي الكلمة ولما انتظم عقد الاصطلاح وهم
الشيخ بالرواح قلت له قد تبوغ دمي ونقلت إليك قدمي
فهل لك في أن تحجمني وتكفكف ما دهمني فصوب
في وصعد ثم اندلف إلي وأنشد

كيف رأيت خدعتي وختلي ... وما جرى بيني وبين سخلي
حتى انثنيت فائزًا بالخصل ... أدعى رئيس الخصب بعد المحل
بالله يا مهجة قلبي قل لي ... هل أبصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالرقية كل قفل ... ويسبي بالسحر كل عقل

ويعجز الجد بماء العزل — ان يكن الاسكندري قبلي
فالطل قد يبدو امام الوبل — والفضل للوابل لا للطل
قال فتبعتني ارجوزته عليه وادتني انه شيخنا المشار اليه
فقرعته على الابتذال والالتحاق بالارذال فاعرض عما سمع ولم
يبل بمن قرع وقال كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع ثم فاصاني
مفاصاة المعان وانطلق وانبه كفرسي رهان ه قال
(مفارقة) القسم بن علي قد اودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من امثال
العرب وها انا افسر منها ما اخاله يلتبس على من يقتبس ه
ه اما قوله بظ فند فهو مولى عايشة بنت سعد بن ابي وقاص و
كانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد مصر واقام
بها سنة ثم جاءها بعد السنة يشتد ومعه جمر فتبدد منه

فقال تعست العجلة ه واما ذات النحيين فهي امراة من تيم الله (التيم العبد)
بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى
بها خوات بن جبير الانصاري ليبتاعهما منها ففتح احدهما
وذاقه ودفعه اليها فامسكته باحدى يديها ثم فتح الاخر
وذاقه ودفعه اليها فامسكته بيدها الاخرى ثم تغشاها
وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين ونجها على
الثمن فلما قام عنها قالت لا هناك فضربت بها المثل فيمن
شغل وهي في هذا المثل مفعولة لانها شغلت واكثر الامثال
التي تاتي على افعل من فعل الفاعل ه واما قوله افرغ من حجام
ساباط فذكر انه كان حجاما ملازما ساباط المداين يحجم الجند
بدانق نسية ويمر عليه برهة لا يقربه احد فكان

يبرز امه عند تمادي عطلته فيحجمها لكيلا يقرع بالبطالة
فما زال يحجمها حتى نزف دمها فماتت ه واما قوله اشكوا
الى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشان صاحبه
ولا يعبا باستمرار شكايته لانه لو اشكاه لصمت عن الكلام
والمسك ومنه قول الراجز يخاطب جملا له
انك لا تشكو الى مصمت — فاصبر على الحمل الثقيل او مت
ونحو هذا المثل هان على الاملس ما لاقى الدبر ه واما قوله
شغلت شعابي جدواي فالمراد به انه ليس يفضل عني ما
اصرفه الى غيري والشعاب النواحي واحدها شعب وقوله
كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع فمعناه ان المجهود يقنع بما يجد ه
والوقع ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها ه واما

البعير الموقع فهو الذي يكثر آثار الدبر بظهره

المقامة الثامنة والاربعون وتعرف بالحرامية

حدث الحارث بن همام عن ابي زيد السروجي قال مازلت مذ رحلت
عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي احن الى عيان البصرة حنين
المظلوم الى النصرة لما اجمع عليه ارباب الدراية واصحاب
الرواية من خصايص معالمها وعلمائها ومآثر مشاهدها و
(جمع مأثورة وهي المكرمة)
شهدائها واسال الله ان يوطيني ثراها لافوز بمرآها
وان يمطيني قراها لامتري قراها فلما احلنيها الحظ وسرح
فيها اللحظ (شعر) رايت بها ما يملا العين قرة ويسلي عن الاوطان
كل غريب فغلست في بعض الايام حين نصل خضاب الظلام
وهتف ابو المنذر بالنيام لاخطو في خططها واقضي الوطر من
(جمع خطة)

توسطها فأداني الاختراق في مسالكها والانصلات في
سككها الى محلة موسومة بالاحترام منسوبة الى بني حرام
ذات مساجد مشهودة وحياض مورودة ومبان وثيقة ومغان
أنيقة وخصائص أثيرة ومزايا كثيرة

بها ما شئت من دين ودنيا وجيران تناغوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني
ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع الى تخليص عاني
وكم من قارئ فيها وقار أضرا بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها ونادٍ للندى حلو المجاني
ومغنى لا يزال يرن فيه أغاريد الغواني والأغاني
فصل ان شئت فيها من يصلي وإما شئت فادن من الدنان

ودونك صحبة الأكياس فيها أو الكاسات منطلق العنان

قال فبينما أنا أنفض طرقها وأستشف رونقها و
معجب بتقويم قبلتها ومتعجب لتكاثر مساجدها وتقابلها
إذ لمحت عند دلوك براح وأظلال الرواح مسجدا مشتهرا بطرائقه
مزدهرا بطرائقه وقد تجارى أهله ذكر حروف البدل وجروا في
حلبة الجدل فعجت نحوهم لا لاستمطر نوالهم الا لاستمع نحوهم
فما كان الا كقبسة العجلان حتى ارتفعت الأصوات بالأذان ثم
ردف التأذين بروز الإمام فأغمدت ظبا الكلام وخلت الحباء
للقيام وشغلنا بالقنوت عن استمداد القوت وبالسجود عن
استنزال الجود ولما قضينا صلوة الفرض وأبيح لنا الانتشار في
الأرض انبرى من الجماعة كهل حلو البراعة لامع السمت الحسن

ذلاقة اللسن وفصاحة الحسن فقال يا جيرتي الذين
اصطفيتهم على أعيان نجرتي وجعلت حلتهم دار
هجرتي واتخذتهم كرشي وعيبتي وأعددتهم لحضرتي و
غيبتي أما تعلمون أن لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة
وأن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وأن الدين
إمحاض النصيحة والإرشاد عنوان العقيدة الصحيحة وأن
المستشار مؤتمن والمسترشد بالنصح قمن وأن أخاك هو
الذي عذلك لا الذي عذرك وصديقك من صدقك لا من صدقك
فقال له الحاضرون أيها الخل الودود والخدن المودود ما سر
كلامك الملغز وما شرح خطابك الموجز وما الذي تبتغيه
منا لينجز فوالذي حبانا بمحبتك وجعلنا من صفوة أحبتك

ما ألوناك نصحا ولا ندخر عنك نصحا فقال لهم جزيتم خيرا و
وقيتم ضيرا فإنكم ممن لا يشقى بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس
ولا يخيب فيهم مظنون ولا يطوى دونهم مكنون وسأبثكم
ما حك في صدري واستفتيكم فيما عيل له صبري اعلموا أني كنت
عند صلود الزند وصدود الجد أخلصت مع الله نية العقد وأعطيته
صفقة العهد على أن لا أسبأ مداما ولا أعاقر نداماي و لا
أحتسي قهوة ولا أكتسي نشوة فسولت لي النفس المضلة
والشهوة المزلة أن نادمت الأبطال وعاطيت الأرطال و
أضعت الوقار وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت
وتناسيت التوبة تناسي الميت ثم لم أقنع بما يسكر المرة في طاعة
لي مرة حتى عكفت على الخندريس في يوم الخميس وتصريع الصهباء

فی لیلة الغرا وها انا بادی الکابة لرفض الانابة نامی الندامة لوصل المدامة معترف بالاسراف فی غب السلاف شدید الاشفاق من نقض المیثاق فیا قوم هل من حیلة تعرفونها

تباعد من ذنبی و تدنی الی ربی

قال ابو زید فلما حلا انشوطة نفثه وفرغ من اشتکا بثه ناجتنی نفسی یا ابا زید هذه نهزة صید فشمر عن ید وایدٍ فانتهضت من مجثمی انتهاض الشهم وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت

ایها الاروع الذی فاق فضلا وسوددا

والذی یبتغی الرشاد لینجو به غدا

لک عندی علاج ما بت منه مسهدا   فاستمعها عجیبة غادرتنی ملددا

فاستمع قصتی ومل الی نحوی بدا   انا من ساکنی سروج ذوی الدین والهدی

کنت ذا ثروة بها ومطاعا مسوّدا   مربعی مألف الضیوف ومالی لمن جدی

اشتری الحمد باللهی واقی العرض بالجدی

لا ابالی بمنفس طاح فی البذل والندی

اوقد النار بالیفاع اذا النکس اخمدا   ویرانی المؤملون ملاذا ومقصدا

لم یشم بارق صد فانثنی یشتکی الصدی

لا ولا رام قابس قدح زندی فاصلدا

طالما ساعد الزمان واضحی مسعدا   فقضی الله ان یغیر ما کان عودا

نزل الروم ارضنا بعد ضعن تولدا

واستباحوا حریم من صادفوه موحدا

وحووا کل ما انتشر بهالی وملبدا

فتطوحت فی البلاد طریدا مشردا

اجتدی الناس بعد ما کنت من قبل مجتدی   وتری بی خصاصة امنی لها الردی

والبلا الذی شملنی تبددا   اسبا ابنتی اسروها لتفتدی

فاستبن محنتی التی جاوزت غایة المدا

واجرنی من الزمان فقد جار واعتدی

واعنی علی فکاک ابنتی من ید العدی

فبذا تمحی المآثم عمن تمردا   وبه یقبل الانابة ممن تزهدا

وهو کفارة لمن زاغ من بعد ما هدی   ولئن تمت منشدا فلقد فهت مرشدا

فامتثل النصح واغتنم فی اجرا مخلدا

واسمح الآن بالذی یشتری لتحمدا

قال ابو زید فلما اتممت هذرمتی وتوهم المسؤول صدق کلمتی اعراه الغرام الی الکرم بمواساتی ورغبه الکلف بحمل

الکلف فی مقاساتی فرضخ لی علی الحافرة ونفح لی بالعترة الوافرة فانقلبت الی وکری فرحا بنجح مکری قد حصلت من صوغ المکیدة علی سوغ الثریدة ووصلت من حوک القصیدة الی لوک العصیدة قال الحرث بن همام فقلت سبحان من ابدعک فما اعظم خدعک فاستغرب فی الضحک ثم انشد غیر مرتبک

عش بالخداع فانت فی دهر بنوه کاسد بیشة

وادر قناة المکر حتی تستدیر رحی المعیشة

واجن الثمار فان تفتک فرض نفسک بالحشیشة

وصد النسور فان تعذر صیدها فاقنع بریشة

وارح فؤادک ان نبا دهر من الفکر المطیشة

فتغاير الاحداث يؤذن باستحالة كل عيشة

المقامة التاسعة والاربعون

حدث الحارث بن همام قال بلغني ان ابا زيد حين ناهز القبضة
وابتزه قيد الهرم النهضة احضر ابنه بعد ان استجاش
ذهنه وقال له يا بني انه قد دنا ارتحالي من الفنا واكتحالي
بمرود الفناء وانت بحمد الله ولي عهدي وكبش الكتيبة
الساسانية بعدي ومثلك لا يقرع له العصا ولا ينبه
بطرق الحصا ولكن قد يندب الى الادكار ويجعل صيقلا للافكار
واني اوصيك بما لم يوص به شيث الانباط ولا يعقوب الاسباط
فاحفظ وصيتي وجانب معصيتي واحذ مثالي . واقف امثالي
فانك ان استرشدت بنصحي واستصبحت بصبحي طاب معاشك

وطال انتعاشك وامرع خوانك وارتفع دخانك وان تناسيت
سودني وتنكبت مشورتي قل رماد اثافيك وذهل اهلك
ورهطك فيك يا بني اني جربت حقائق الامور وبلوت تصاريف
الدهور فرايت المرء بنشبه لا بنسبه والفحص عن مكسبه
لا عن حسبه وكنت سمعت ان المعايش امارة وتجارة
وزراعة وصناعة فمارست هذه الاربع لانظر ايها اوفق
وانفع فما احمدت منها معيشة ولا استطبت فيها
عيشة اما فرص الولايات وخلس الامارات فكاضغاث
الاحلام والفيء المنتسخ بالظلام وناهيك غصة بمرارة
الفطام . واما بضائع التجارات فعرضة للمخاطرات
وطعمة للغارات وما اشبهها بالطيور الطيارات ۞

واما اتخاذ الضياع والتصدي للازدراع فمنهكة للاعراض
وقيود مانعة عن الارتكاض وقلما خلا ربهما من الاذلال
او رزق روح بال . واما حرف اولي الصناعات فغير فاضلة
عن الاقوات ولا نافقة في جميع الاوقات ومعظمها معصوب
بشبيبة الحياة ۞ ولم ار ما هو لذيذ المطعم بارد المغنم صافي
المشرب وافي المكسب الا الحرفة التي وضع ساسان اساسها ونوع
اجناسها واضرم في الخافقين نارها واوضح لبني غبرا منارها
فشهدت وقائعها معلما واخترت سيماها لي ميسما اذ كانت
المتجر الذي لا يبور والمنهل الذي لا يغور والمصباح الذي
يعشو اليه الجمهور ويستصبح به العمي والعور وكان اهلها
اعز قبيل واسعد جيل لا يرهقهم من حيف ولا يقلقهم

سل سيف ولا يخشون حمة لاسع ولا يدينون للدان والشاسع
ولا يرهبون من برق وراعد ولا يحفلون بمن قام
وقعد انديتهم منزهة واسرارهم مرفهة وطعمهم
معجلة واوقاتهم غر محجلة اينما سقطوا لقطوا واني
انخرطوا خرطوا لا يتخذون اوطانا ولا يتقون سلطانا
ولا يمتازون عمن يغدو خماصا ويروح بطانا فقال له
ابنه يا ابه لقد صدقت فيما نطقت ولكنك رتقت
وما فتقت فبين لي كيف اقتطف ومن اين يؤكل
الكتف فقال يا بني ان الارتكاض بابها والنشاط جلبابها
والفطنة مصباحها والقحة سلاحها فكن اجول من قطرب
وانشر من جندب وانشط من ظبي مقمر واوقح من ذيب

متنمر واقدح زند جدك واقرع باب رزقك بسعيك
وجب كل فج وخض كل لج وانتجع كل ارض ودل دلوك في كل حوض
رض
ولا تسأم الطلب ولا تمل الداب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا
ساسان من طلب جلب ومن جال نال واياك والكسل فانه
عنوان النحوس ولبوس ذي البوس ومفتاح المتربة ولقاح المتعبة
وشيمة الوكل التكلة وشنشنة العجزة الجهلة وما استشار
العسل من اختار الكسل ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة
اذا اخرج العسل ظرفه
وعليك بالاقدام ولو على الضرغام فان جراة الجنان تطلق
العنان وتنطق اللسان وبها يدرك الحظوة وتملك
الثروة كما ان الخور صنو الكسل وسيف الفشل ومبطاة
العمل ومخيبة الامل ولهذا قيل في المثل من جسر ايسر ومن هاب

خاب ثم كن يا بني في حيلة قصير ودهاء عمرو وفطنة
اياس وطماعية اشعب ولطف الشعبي ومجانة ابي نواس
وحرص ابي عقبة ونشاط ابي وثاب ومكر ابي الحصين
وصبر ابي ايوب وتطفل ابي غزوان وتلون ابي براقش و
اخلب بصوغ اللسان واخدع بسحر البيان وارتد السوق
قبل الجلب وامتر الضرع قبل الحلب وسائل الركبان قبل
المنتجع ومهد لجنبك قبل المضطجع واشحذ بصيرتك للعيافة
وانعم نظرك في القيافة فان من صدق توسمه طال تبسمه
ومن اخطأت فراسته ابطأت فريسته وكن يا بني خفيف
الكل قليل الدل راغبا عن العل راضيا من الوبل بالطل
وعظم وقع الحقير واشكر على النقير ولا تقنط عند الرد ولا تستبعد

رشح الصلد ولا تياسن من روح الله انه لا يياس من
روح الله الا القوم الكافرون واذا خيرت بين درة منقودة
ودرة موعودة فمل الى النقد وفضل اليوم على الغد فان
للتاخير آفات وللعزائم بدوات وللعدات معقبات وبينها
وبين النجز عقبات وعليك بصبر اولي العزم ورفق اولي
الحزم وجانب خرق المشتط وتخلق بالخلق السبط وقيد الدراهم
بالربط وشب البذل بالقبط ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط ومتى نابك بلد او نابك فيه كمد فبت
منه املك وارحل عنه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقل
الرحلة ولا تكره النقلة فان اعلام شريعتنا واشياخ عشيرتنا
اجمعوا على ان الحركة بركة والنقلة مثلة وقالوا [illegible] تعلة
وذروا على من زعم ان الغربة كربة

من اقنع بالرذيلة ورضي بالحشف وسوء الكيلة واذا ازمعت
الاغتراب واعددت له العصا والجراب فتخير الرفيق المسعد
قبل ان تنجد او تصعد فقد قيل في المثل الجار قبل الدار
والرفيق قبل الطريق ثم قال

خذها اليك وصية لم يوصها قبلي احد غراء حاوية خلاصات المعاني والزبد
نمقتها تنقيح من محض النصيحة والجهد
فاعمل بما مثلته عمل اللبيب اخي الرشد
حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الاسد

ثم قال يا بني قد اوصيت واستقصيت فان اهتديت فواها لك
وان اعتديت فآها منك والله خليفتي عليك وارجو ان
لا يخلف ظني فيك فقال له ابنه يا ابه لا ثل عرشك ولا ربع
نغشر

فقد قلت سدادا وعلمت رشدا ونحلت ما لم ينحل والد ولدا و
لئن امهلت بعدك ولا ذقت فقدك فلاهتدين بآدابك الصالحة
ولاقتدين بآثارك الواضحة حتى يقال ما اشبه الغادية بالرائحة
والليلة بالبارحة فارتاح ابو زيد لجوابه وابتسم وقال
من اشبه اباه فما ظلم قال الحرث بن همام فاخبرت ان
بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا الحسان فضلوها على
وصايا لقمن وحفظوها كما تحفظ ام القران حتى انهم ليرونها
الى الآن اولى ما لقنوه الصبيان وانفع من نحلة العقيان

المقامة الخمسون

حكى الحرث بن همام قال اشعرت في بعض الايام همّا
برّح بي استعاره ولاح عليّ شعاره وكنت سمعت ان
(اشعال)

غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر فلم ار لاطفاء
ما بي من الجمرة الا القصد للجامع بالبصرة وكان اذ ذاك ماهول
(بلد ماهول اي مجتمع فيه الناس)
المساند مشفوه الموارد يجتنى من رياضه ازاهير الكلام ويسمع
(اذا كثر شفاه الناس عليه)
في ارجائه صرير الاقلام فانطلقت غير وان ولا لاو على شان
فلما وطيت حصاه واستشرفت اقصاه تراءى لي ذو طمرين بالية
فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدها
ولا ينادى وليدها فابتدرت قصده وتوردت ورده ورجوت
ان يكون شفاء علته ولم ازل اتنقل في المراكز واتخطى
اللاكز والواكز الى ان جلست تجاهه وحيث امنت اشتباهه
فاذا هو شيخنا ابو زيد السروجي لا ريب فيه ولا لبس يخفيه
فسرى بمرآه همي وارفضت كتيبة غمي وحين رآني وبصر
(تفرق)

بمكاني قال يا اهل البصرة رعاكم الله ووقاكم وقوى تقاكم
فما اضوع رياكم وافضل مزاياكم بلدكم اوفى
البلاد طهرة وازكاها فطرة وافسحها رقعة وامرعها
نجعة واقومها قبلة واوسعها دجلة واكثرها انهارا
ونخلة واحسنها تفصيلا وجملة دهليز البلد الحرام وقبالة
البيت والمقام واحد جناحي الدنيا والمصر المؤسس على التقوى
لم تدنسه بيوت النيران ولا طيف فيه بالاوثان ولا
سجد على اديمه لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة والمساجد المقصودة
والمعالم المشهورة والمقابر المزورة والآثار المحمودة
والخطط المحدودة به تلتقي الفلك والركاب والحيتان
والضباب والحادي والملاح والقانص والفلاح والناشب

والرامح والسارح والسابح وله المد الفائض والجزر
الغائض وانتم من لا يختلف في خصائصهم اثنان ولا آية
ينكرها ذو شنآن فيهما وكم اطوع رعية لسلطان
(البغضاء) (الجماعة)
واشكرهم لاحسان وزاهدكم اورع الخليقة
واحسنهم طريقة على الحقيقة وعالمكم علامة كل زمان
والحجة في كل اوان ومنكم من استنبط علم النحو ووضعه والذي
ابتدع ميزان الشعر واخترعه وما من فخر الا ولكم فيه اليد
الطولى والقدح المعلى ولا نسب الا وانتم احق به واولى
ثم انكم اكثر اهل الارض مؤذنين واحسنهم في النسك قوانين
وبكم اقتدي في التعريف وعرف التجمير في الشهر الشريف
(الوقوف)
ولكم اذا اقضت المضاجع وهجع الهاجع تذكار يوقظ النائم

ويؤنس القائم وما ابتسم ثغر فجر ولا نبغ في بر ولا بحر
الا ولبلادكم في الاسحار دوي كدوي الرياح في البحار
وبها صدع عنكم النقل واخبر النبي عليه السلام من قبل
وبين ان دويكم في الاسحار كدوي النحل فشرنا لكم ببشارة
المصطفى وواها لمصركم وان كان قد عفا ولم يبق
منه الا شفا ثم انه خزن لسانه وختم بيانه حتى
حيج بالابتصار وقرف بالاقتصار فنقش شغف من قيد
لغرد اوعلقت به براثن اسد ثم قال اما انتم
يا اهل البصرة فما فيكم الا العلم المعروف ومن له المعرفة
والمعروف واما انا فمن عرفني فانا ذاك ومن العارف
من اذاك ومن لم يثبت معرفتي فساصدقه صفتي

انا الذي انجد واتهم وايمن واشام واصحر وابحر وادلج
وانجر نشأت بسروج ودببت على الرزوج ثم ولجت على
المضايق وفتحت المغالق وشهدت المعارك والنت العرائك
واقتدت الشوامس وارغمت المعاطس واذبت الجوامد واماعت
الجلامد سلوا عني المشارق والمغارب والمناسم والغوارب
والمحافل والجحافل والقبائل والعقائل واستوضحوني
من نقلة الاخبار ورواة الاسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان
لتعلموا كم فج سلكت وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت و
ملحمة الحمت وكم الباب خدعت وبدع ابتدعت وفرص
اختلست واسد افترست وكم محلق غادرته لقى وكامن
استخرجته بالرقى وجحر حرته حتى انصدع واستنبطت

زلاله بالخدع ولكن فرط ما فرط والغصن رطيب والعود غريب وبرد
الشباب قشيب فاما الآن فقد استشن الاديم وتاود القويم و
استنار الليل البهيم فليس الا الندم ان نفع ورقع الخرق الذي قد
اتسع وكنت قد رويت في الآثار المسندة والاخبار المعتمدة ان
لكم من الله تعالى في كل يوم نظرة وان سلاح الناس كلهم الحديد و
سلاحكم الادعية فقصدتكم انضي الرواحل واطوى المراحل حتى
قمت هذا المقام فيكم ولا من لي عليكم اذ ما سعيت الا في حاجتي ولا
تعبت الا لراحتي ولست ابغي اعطيتكم بل استدعي ادعيتكم
ولا اسئلكم اموالكم بل اسئل سؤالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي
للمتاب والاعداد للمآب فانه رفيع الدرجات مجيب الدعوات
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيآت ثم انشد

استغفر الله من ذنوب افرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلا ورحت في الغي واغتديت
وكم خلعت العذار ركضا الى المعاصي وما ونيت
وكم اطعت الهوى اغترارا واختلت ولغات وافتريت
وكم تناهيت في التخطي الى الخطايا وما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم اجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خير من المساعي التي سعيت
يا رب عفوا فانت اهل للعفو عني وان عصيت
قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء وهو يقلب
وجهه الى السماء الى ان دمعت اجفانه وبدا رجفانه
فصاح الله اكبر بانت امارة الاستجابة وانجابت غشاوة

الاستزابة فخرجت يا أهل البصرة جزاء من هدي من الحيرة فلم
يبق في القوم إلا من سُرّ لسروره ودعا بميسوره فقبل عفو
برّهم وأقبل يعرف في شكرهم ثم انحدر من الصخرة يؤم
شاطئ البصرة فتبعته إلى حيث خالينا وأمنّا المتجسس والتحسس
علينا فقلت له قد أغربت في هذه النوبة فما رأيك في التوبة
فقال أقسم بعلام الخفيات وغفار الخطيئات إن شأني لعجاب
وإن دعائي لمجاب فقلت زدني إيضاحا زادك الله صلاحا
فقال لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع ثم انقلبت
بقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم إليه وويل لمن
باتوا يدعون عليه ثم ودّعني وانطلق وأودعني القلق
فلم أزل أعاني لأجله الفكر وأستوري الجمرة ما ذكر

وكلما استنشيت خبره من الركبان وجوّابة البلدان كنت
كمن حاور عجماء ونادى صخرة صماء إلى أن لقيت بعد تراخي
الأمد وتنافي الكمد ركبا قافلين من سفر فقلت هل من مغربة
خبر فقالوا إن عندنا الخبر أغرب من العنقاء وأعجب من نظر
الزرقاء فسألتهم إيضاح ما قالوا وأن يكيلوا لي كما اكتالوا
فحكوا أنهم ألموا بسروج بعد ما فارقها العلوج فرأوا أبا زيدها
المعروف قد لبس الصوف وأمّ الصفوف وصار بها الراهب
الموصوف فقلت أتعنون ذا المقامات فقالوا إنه الآن ذو الكرامات
فحفزني إليه النزاع ورأيتها فرصة لا تضاع فارتحلت رحلة
المُغِذّ وسرت نحوه سير المُجِدّ حتى حللت بمسجده ومراد متعبّده
فإذا هو قد نبذ صحبة أصحابه وانتصب في محرابه وهو ذو عباءة

مخلولة وشملة موصولة فهبته مهابة من ولج على الأسود
وألفيته ممن سيماهم في وجوههم من أثر السجود ولما فرغ من سبحته
حياني بمسبحته من غير أن نغم مع حديث ولا استخبر عن قديم ولا حديث
ثم أقبل على أوراده وتركني أعجب من اجتهاده وأغبط من يهدي الله
من عباده ولم يزل في قنوت وخشوع وسجود وركوع وإخبات
وخضوع إلى أن أكمل إقامة الخمس وصار اليوم أمس فحينئذ
انكفأ بي إلى بيته وأشركني في قرصه وزيته ثم نهض
إلى مصلاه وتخلّى بمناجاة مولاه حتى إذا لاح سنا الفجر وانقلب
المتهجدون بذخيرة الأجر عقّب تهجده بالتسبيح ثم اضطجع
ضجعة المستريح وجعل يرجّع بصوت فصيح

خلّ ادّكار الأربع والمعهد المرتبع والظاعن المودّع
وعدّ عنه ودع

واندب زمانا سلفا سوّدت فيه الصحفا ولم تزل معتكفا
على القبيح الشنع
كم ليلة أودعتها مآثما أبدعتها لشهوة أطعتها
في مرقد ومضجع
وكم خطى حثثتها في خزية أحدثتها وتوبة نكثتها
لملعب ومرتع
وكم تجرأت على رب السموات العلى ولم تراقبه ولا
صدقت فيما تدّعي
وكم غمطت برّه وكم أمنت مكره وكم نبذت أمره
نبذ الحذاء المرقّع
ولم رعيت ما يجب وفهت عمدا بالكذب وخضت خوضا في اللعب

فالبس شعار الندم واسكب شآبيب الدم قبل زوال القدم وقبل سوء المصرع

واخضع خضوع المعترف ولذ ملاذ المقترف

واعص هواك وانحرف عنه انحراف المقلع

الام تسهو وتني ومعظم العمر فني فيما يضر المقتني ولست بالمرتدع

اما ترى الشيب وخط وخط في الراس خطط ومن يلح وخط الشمط بفوده فقد نعي

ويحك يا نفس احرصي على ارتياد المخلص

وطاوعي واخلصي واستمعي الوعظ وعي

واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى واخشي مفاجاة القضا وحاذري ان تخدعي

وانتهجي سبل الهدى وادكري وشك الردى وان مثواك غدا في قعر لحد بلقع

آها له بيت البلى والمنزل القفر الخلا

ومورد السفر الالى واللاحق المتبع

بيت يرى من اودعه قد ضمه واستودعه بعد القصور والسعة
قيد ثلاث اذرع

لا فرق ان يحله داهية او ابله او معسر او من له ملك كملك تبع

وبعده العرض الذي يحوي الحيي والبذي والمبتدي والمحتذي
ومن رعى ومن رعي

فيا مفاز المتقي وربح عبد قد وقي سوء الحساب الموبق وهول يوم الفزع

ويا خسار من بغى ومن تعدى وطغى وشب نيران الوغى لمطعم او مطمع

يا من عليه المتكل قد زاد ما بي من وجل

لما اجترحت من زلل في عمري المضيع

فاغفر لعبد مجترم وارحم بكاه المنسجم فانت اولى من رحم وخير مدعو دعي

قال فلم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير وشهيق

حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من قبل ابكي عليه ثم برز الى

مسجده بوضوء تجدده فانطلقت ردفه وصليت مع من صلى خلفه

فلما انفض من حضر وتفرقوا شغر بغر اخذ يهينم بدرسه ويبكي يومه

في قالب امسه وفي ضمن ذلك يدمن ادمان ايوب ويبكي ولا بكاء يعقوب

حتى استبنت انه قد التحق بالافراد واشرب قلبه هوى الانفراد

فعزمت اذ اعجل تنائي لكي لا يستثقل مقامي فكانه تفرس ما نويت

او كوشف بما اخفيت فزفر زفير الاواه ثم قرا واذا عزمت فتوكل على الله

فاسجلت عند ذلك تصداق المحدثين وايقنت ان في الامة محدثين

ثم دنوت اليه كما يدنو المصافح وقلت له اوصني ايها العبد الصالح

فقال اجعل الموت نصب عينك وهذا فراق بيني وبينك فودعته

وعبراتي يتحدرن من الماقي وزفراتي يتصعدن من التراقي

وكانت هذه خاتمة التلاقي

قال القسم بن علي هذا آخر المقامات التي انشاتها بالاغترار و

امليتها بلسان الاضطرار وان الجئت الى ان ارصدتها للاستعراض

وناديت عليها في سوق الاعتراض مع معرفتي بانها من سقط المتاع ومما

يستوجب ان يباع ولا يبتاع ولو غشيني نور التوفيق ونظرت لنفسي

نظر الشفيق لسترت عواري الذي لم يزل مستورا ولكن كان ذلك في الكتاب

مسطورا وانا استغفر الله مما اودعتها من اباطيل اللغو و

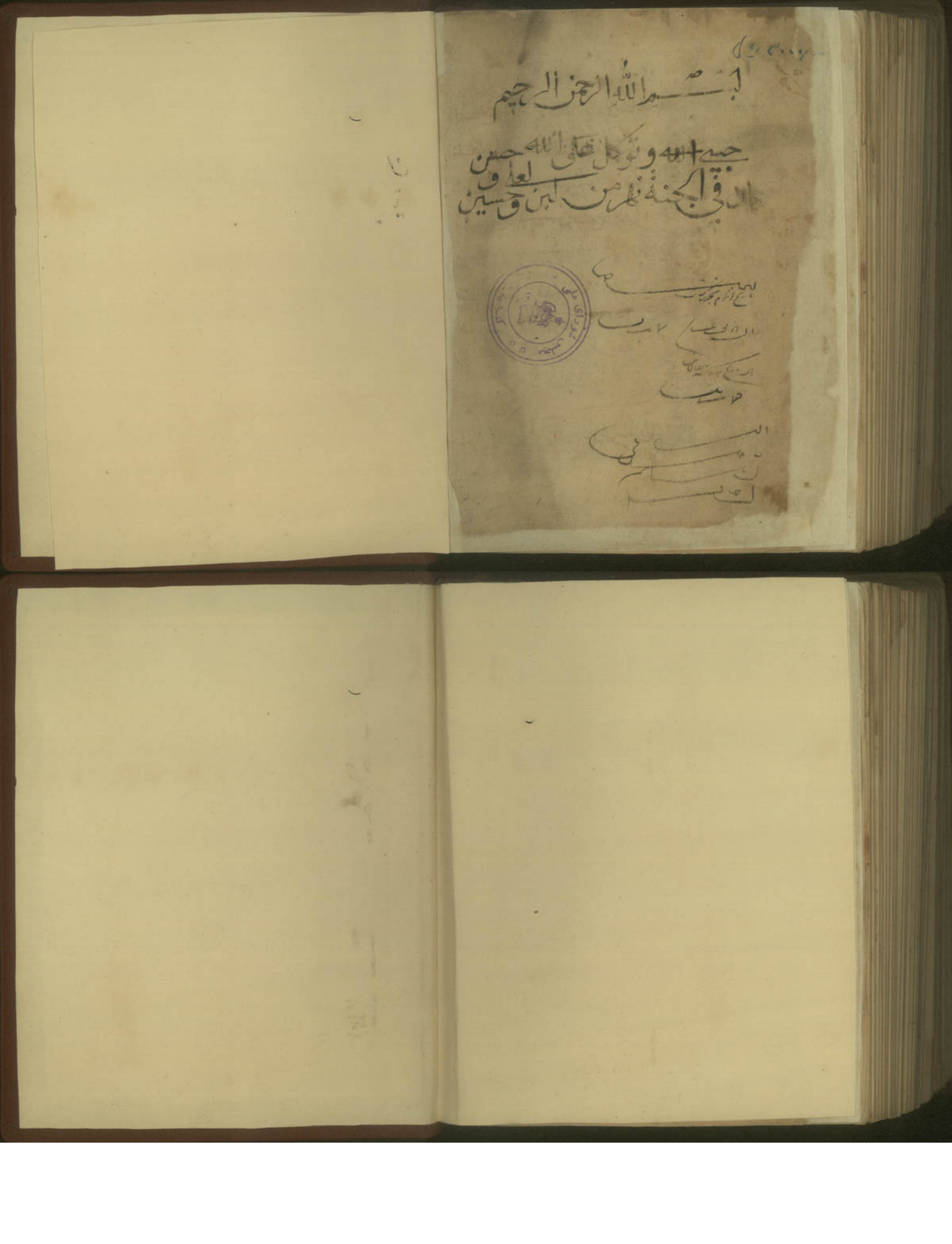
اضاليل اللهو واسترشده الى ما يعصم من السهو ويحظي بالعفو

انه اهل التقوى واهل المغفرة

وولي الخيرات في الدنيا والآخرة

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

في منتصف شهر الله الاصب رجب من شهور سنة ثلث وثمانين وستمائه


بسم الله الرحمن الرحيم

حسبي الله وتوكلت على الله حسن

ان في الجنة نهر من لبن لعلي وحسين

